عيون الأخبار

تأليف

أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِيّ

٢١٣ — ٢٧٦ هـ

المجلد الثالث

كتاب الإخوان — كتاب الحوائج — كتاب الطعام

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

STATE CENTRAL LIBRARY
CAIRO

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

فهرس

المجلد الثالث من كتاب عيون الأخبار

لابن قتيبة

كتاب الإخوان

	صفحة
الحث على اتخاذ الإخوان واختيارهم	١
المودّة بالتشاكل	٧
باب المحبة	٩
ما يجب للصديق على صديقه ...	١٤
الإنصاف فى المودّة	١٨
مداراة الناس وحسن الخلق والجوار	٢١
التلاقى والزيارة	٢٤
المعاتبة والتجنّى	٢٨
باب الوداع	٣١
الهدايا	٣٤
العيادة	٤٣
التعازى وما يمثل به فيها	٥٢
التهانى	٦٨
باب شِرار الإخوان...	٧٣
باب القرابات والولد	٨٤
الأعمام	٦٦
عتب الإخوان والتباغض والعداوة	١٠٧
شماتة الأعداء	١١٤

كتاب الحوائج

استنجاح الحوائج	١١٩
الاستنجاح بالرشوة والهدية ...	١٢٢
الاستنجاح بلطيف الكلام .	١٢٤
من يعتمد فى الحاجة ويستعمل فيها	١٢٣
الإجابة الى الحاجة والردّ عنها ...	١٣٦
المواعيد وتنجزها	١٤٤
حال المسئول عند السؤال ...	١٥٢
العاده من المعروف تُقطع ...	١٥٦
الشكر والثناء	١٥٨
الترغيب فى قضاء الحاجة واصطناع المعروف	١٧٤
القناعة والاستعفاف...	١٨٢
الحرص والإلحاح	١٩١

كتاب الطعام

	صفحة
صنوف الأطعمة...	١٩٧
أخبار من أخبار العرب فى مآكلهم ومشاربهم	٢٠٩
آداب الأكل والطعام	٢١٤
الجوع والصوم...	٢٢٢
أخبار من أخبار الأكلة	٢٢٤
باب الضيافة وأخبار البخلاء على الطعام	٢٣٣
باب القدور والجفان	٢٦٥
سياسة الأبدان بما يصلحها من الطعام وغيره	٢٧٠
باب الحمية	٢٧٢
باب شرب الدواء	٢٧٣
الحدث والحقنة والتخمة ...	٢٧٥
باب القىء	٢٧٧
النكهة	٢٧٧

	صفحة
باب المياه والأشربة	٢٧٨
باب الفجان وما شاكلها	٢٨٠
مضار الأطعمة ومنافعها...	٢٨١
البصل والثوم	٢٨٣
الكراث	٢٨٦
الكرنب والقنبيط	٢٨٦
السلجم والعجل...	٢٨٧
الباذنجان	٢٨٨
الخيار والقثاء	٢٨٨
السلق	٢٨٨
الهليون	٢٨٩
القرع	٢٨٩
البقول	٢٨٩
باب الحبوب والبزور	٢٩٢
باب الفاكهة	٢٩٤
باب مصالح الطعام	٢٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الاخوان

الحثّ على اتخاذ الإخوان واختيارهم

حدّثنا سَهْل بن محمد قال حدّثنا الأصمعيّ قال أخبرنا العِجْليّ قال بعض الأدباء لابنه : يا بنيّ ، إذا دخلت المصرَ فاستكثرْ من الصديق فأمّا العدوّ فلا يَهُمنَّكَ ؛ وإياكَ والخُطَبَ فإنها مِشْوَار[1] كثيرُ العِثَارِ .

قال : وبلغنى عن الأوزاعيّ عن يحيى بن كَثير : أن داود النبيّ عليه السلام قال لابنه سليمان عليه السلام : " يا بُنيّ ، لا تَستَبدِلنّ بأخٍ لك قديم أخا مُستفادًا ما استقامَ لك ، ولا تَستقِلّنّ أن يكون لك عدوٌّ واحدٌ ، ولا تَستكثِرَنّ أن يكون لك ألفُ صديقٍ " .

وكان يقال : أعجزُ الناس مَنْ فرّط فى طلب الإخوان ، وأعجزُ منه مَنْ ضَيّع مَنْ ظَفِر به منهم .

وفى الحديث المرفوع : " المرءُ كثيرٌ بأخيه " . وأنشد ابن الأعرابيّ :

لعمرُكَ ما مالُ الفتى بذخيرةٍ * ولكنّ إخوانَ الثقاتِ الذخائرُ

---

(١) هكذا فى لسان العرب مادّة « شور » والمشوار : الشوط . وفى الأصل : « مشوا » .

قال أبو الخرّح العُقَيلي وحدثُ أعراض الذئب ودحائرها يعرِّض المتالف لا دحيرةَ الأدب وعَقيلةَ الحُلَّة ، فاستكثِروا من الإخوان و ستعصموا بعُرَا الأدب .

وكان يقال . الرحلُ بلا إخوانٍ كالتميم بلا يَمَالٍ . وقال الشاعر .

إذا لم يكن للقوم عزٌّ ولم تكن * لهم رَحَلٌ عند الإمام مَكينُ

فكونوا كأيدٍ أوهَى الله بطشَها * تُرى أشْلًا ليستْ لهنّ يمينُ

قال أبو السَّمح . يعني موت أخٍ لى فكأنما سقط عصوٌ منّى .

وقال القطاميّ :

وإذا يُصيبُكَ حادثٌ حمّ القضا * حَدثُ حدَاكَ إلى أحبك الأوثق

وقال آخر[٣]

أخاك أخاك إنّ من لا أخا له * كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح

وإنّ ابن عم المرء فاعلَمْ جَنَاحه * وهل ينهَض البازى بغير جَناح

قال الثّقفى

من كان ذا عضدٍ يُدْرِكْ ظُلَامتَهُ * إنّ الذليلَ الذى ليستْ له عَضُدْ

تَنْبُو يداهُ إذا ما قَلّ ناصِرُهُ * ويأنَفُ الضَّيمَ إن أثرَى له عَدَدْ

وقال آخر .

وبَغضاءُ التِقىّ أقلُّ ضَيراً * وأسلَمُ من مودّة ذى الفُسُوقِ

ولن تَنفَكَّ تُحْسَدُ أو تُعادَى * فأكثِرْ ما استطعتَ من الصّديقِ

---

(١) فى الأصل : « إذ ... ... كأنما ... ... » . (٢) بفتح القاف وضمها وهو عمير ابن شُيَيم التغلبىّ من بنى جشم بن بكر بن الأرقم ، وقد ورد البيت فى ديوانه المطبوع بليدن هكذا : وإذا أصابك الخ . وهذا البيت من قصيدة له مطلعها :

طرقت حنوب رحالنا من مطرق * ما كنت أحسبها قريب المعنق

(٣) هو مسكين الدارمىّ واسمه ربيعة بن عامر (أنظر خزانة الادب للبغدادى طبع بولاق ج ١ ص ٤٦٦) .

وقرأتُ فى كتاب العتّابىّ : تأنّينا إفاقتَكَ من سكرغفلتك، وترقّبنا آنتباهك من وَسَنِ رَقدتك، وصبَرنا على بجرّع الغيظ فيك حتى بان لنا اليأسُ من خيرك، وكشَف لنا الصبرُ عن وجه الغلطِ فيك، فها نحن قد عرفناكَ حقَّ معرفتكَ فى عَدْبِكَ لِطويلِ حقِّ مَنْ غَلِط فى آختيارك .

وقال الشاعرُ : ٥

فأيُّهما يا لَيــلَ إن تَفعلى بنا * فآخرُ مهجورٍ وأوّلُ معتب

وكتب محمد بن عبد الملك الى الحسن بن وهب . يَجب على المرءوس اذا تجاوزَ به الرئيسُ حقَّ مرتبته بعمله ، وكان تفضيلُه إنمـا وقع له بحجته على القلب ومحلّه من الأدب ، أن يقابل ذلك بمثله إن كان محامياً على محلّه ، وإلا فلن يؤمَنَ عليه . معنى بيتِ شريح : ١٠

فإنى رأيتُ الحبَّ فى الصّدر والأدى * اذ آجتمعا لم يَلْبَث الحبُّ يَذهب

باب الوَداع

قال حدّثنى محمد بن حالد بن خِداش قال حدّثنا مسـم حدّثنا سَلْمُ بن قتيبة عن إبراهيمَ بن عبد الرحمن بن يزيدَ[1] بن أمية عن نافع عن آبن عمر : أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسـلم كان يقول اذا ودّع رجلا "أَسْتَودِعُ اللهَ دينَـكَ وأمانتكَ وخواتيمَ عملِكَ وآخرَ عمرِكَ[2]" . ١٥

قال وحدّثنى محمد بن عبد العزيز قال حدّثنا مسلم بن ابراهيم عن سعيد بن أبى كعب الأزدىّ عن موسى بن مَيْسرة عن أنس بن مالك . أن رجلا أتى النبىَّ

(١) كذا فى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى والخلاصة فى أسماء الرجال للخزرجى فيمن اسمه إبراهيم . وفى الأصل : «إبراهيم بن عبد الرحمن عن زيد بن أمية» وهو تحريف . (٢) ذكر هذا الحديث فى الجامع الصغير ج ١ ص ١٠٠ ولم تذكر فيه هـذه الجملة الأخيرة . ٢٠

صلى الله عليه وسلم فقال : إنّى أُريدُ سفرًا غدًا فقال " فى حفظ الله وكنَفِه زوّدك اللهُ التقوى وغفرَ ذنبَكَ ووجّهكَ للخير حيثُ كنتَ " .

المعتمِرُ عن إياس بن دَغْفَلٍ قال : رأيت الحسَـنَ ودّع رجلا وعيناه تَهْمِلان وهو يقول :

وما الدهرُ إلا هكذا فاصطَبِرْ له . رَزِيئَـةُ مالٍ أو فِراقُ حبيبِ

قال وودّع رجلٌ صديقا له وهو يقول :

وَدَاعُكَ مثـلُ وداع الربيع * وفقدُكَ مثـلُ افتقاد الديمْ[1]

عليـكَ السـلامُ فكَمْ من وفاءٍ . نُفَارِقُه منـكَ أو من كـرَمْ

وقال الطـائى :

بيَّنَ البينُ فَقْـدَها ، ثمَّ تعـ . ـرِفُ فقـدًا للشمسِ حتى تغيبا

وقال جريرٌ :

يا أختَ ناجيـةَ السـلام عليكُمُ * قبلَ الرحيل وقبـلَ لَوْمِ العُذَّلِ

لو كنتُ أعلمُ أنّ آخرَ عهـدكم * يومُ الرحيل فعلتُ ما لم أفعـلِ

أو كنتُ أرهبُ وَشْكَ بَيْنٍ عاجلٍ * لقنِعتُ أو لسألتُ ما لم يُسْأَلِ

وبلغنى عن بكر المـازنىّ أنه قال : دخلتُ على الواثق حين أمر بحملى ، فقال لى : ما اسمُك؟ فقلت : بكرٌ ، قال : مَنْ خلّفت وراءك ، قلتُ[2] : بُنَيَّةٌ ، قال : ما قالت عند وداعك؟ قلتُ : قالت :

اذا غِبتَ عنّا وخلّفتَنا * فإنّا سواءٌ ومَنْ قد يَئِمْ

(١) الديم : جمع ديمة وهى مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق . (٢) فى الأصل : «قال» .

أَبَانا فلا رِمْتَ[1] مِنْ عندنا * فإنا بخيرٍ اذا لم تَرِمْ
أَبانا اذا أضمرتكَ[2] البِلا * دُ نُجْفَى وتُقطَعُ منّا الرَّحِمْ

قال : ما قلتَ لها أنتَ؟ قال : قلت ما قال جرير :

ثِقِي بالله ليس له شريكٌ * ومِنْ عندِ الخليفةِ بالنَّجاحِ

كان لبنى عُقَيلٍ عبدٌ رضيعٌ بلِبانِ بعضهم فباعوه، فقال حين شخص به مواليه شعرا :

أشوقًا ولمَّ يمْضِ بى غيرَ ليلةٍ[3] * فكيف إذا سار المطِيُّ بنا شهرا

وقال مسلمُ بن الوليد :

وإنّى وإسماعيلَ عند وداعه * لكالغِمْدِ يومَ الرَّوْعِ زايَلَه النَّصلُ
فإن أغشَ قومًا بعدهم وأزورَهم * فكالوحش يُدْنِيها من الأَنَسِ[4] المَحْلُ

وقال آخرُ عند توديعه :

عجبتُ لتطويحِ النّوى مَنْ نُحِبُّهُ * وتدنو بمَنْ لا يُستَلَذُّ له قُربُ

وقال آخر :

مالتْ تُودّعنى والقلب يَغْلِبُها * كما يَميل نسيمُ الريح بالغُصُن
ثم ٱستمرّتْ وقالتْ وهى باكيةٌ * ياليتَ معسرقتى إيّاكَ لم تكنِ

وقال آخرُ لرجل ودّعه : بقى علينا أن نَكْفَّ من غَرْبِ[5] الشُّؤونِ، ونَستعينَ على فُرْقةِ الوَحْشة بالكُتُب، فإنها ألسُنٌ ناطقة، وعيونٌ رامقة .

(١) يقال : ما رمت من عند فلان أى ما برحت . (٢) الذى فى اللسان مادّة «ضمر» : أراما اذا أضمرتك الخ بدل «أبانا» . وقال : وأضمرته الأرض : غيبته إمّا بموت أو سفر .
(٣) الرواية المشهورة : أشوقا ولم يمض لى غير ليلة * فكيف اذا خب المطى بنا عشرا
(٤) الأنس : الإنس . (٥) الغرب : مسيل الدمع ، والشؤون : الدموع .

وقال البُحترى :

اللهُ جارُكَ فى انطِـلاقِكْ * تِلْقَاءَ شَامِكَ أو عِرَاقِكْ
لا تَعــذُلَنِّى فى مَسِـيـ * ـرِى يوم سِرتُ ولم أُلاقِكْ
إنّى خشِـيتُ مَوَاقِفًـا * لِلبَيْنِ تسفَحُ غَرْبَ مَاقِكْ
وعلمتُ ما يَلـقَى المـوَدِّعُ عنـدَ ضَمِّكَ (١) واعتِناقِكْ
فتركـتُ ذاكَ تَعمُّـدًا * وخَرَجْتُ أهرُبُ من فِراقِكْ

الهـــدايا

قال حدّثنا يزيدُ بن عمرو قال حدّثنا عُمير بن عِمْران قال حدّثنا الحارث بن عتبة عن العَلاء بن كَثيرٍ عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تصافَحُوا فإنّ المصافحةَ تُذْهب غِلَّ الصدور، وتَهادَوْا فانّ الهديّةَ (٢) تَذهَبُ بالسَّخِيمة" .

وحدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا بِشْر بن المفضّل عن يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لو أُهدِيَتْ لى ذِراعٌ (٣) لقَبِلت، ولو دُعيتُ الى كُرَاع (٤) لأجبتُ" .

وفى حديث آخر : "تهادَوْا تحابُّوا فإنّ الهديةَ تفتَحُ البابَ المُصْمَتَ (٥) وتَسُلُّ سَخِيمةَ القلب" .

قال حدّثنا عبـد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعىّ قال : سمعتُ نافعا يحـدّث قال : كان ابن عمر يقول : الهدايا من أمراء الفتنه

(١) كذا فى ديوان البحترى . وفى الأصل : «شمك» . (٢) السخيمة : الصغنية والحقد .
(٣) كذا فى الأصل والمحاسن والأضداد ص ٣٦٦ ؛ وقد ورد هذا الحديث فى البخارى ج ٣ ص ١٥٤ هكذا : "ولو دعيت الى ذراع أو كراع لأجبت ولو أهدى إلىّ ذراع أو كراع لقبلت" . (٤) الكراع بالضم : يد الشاة . (٥) المصمت : المغلق .

وروى الزُّبيرُ بن بَكّار عن عمه قال : كان الحارث بن عبد الله بن أبي رَبيعة يجلس وعمرو بن عبيد الله بن صَفْوانَ، ما يكادان يفترقان ، وكان عمرو يبعثُ الى الحارث في كلّ يوم بقِرْبةٍ من ألبان إبله ، فاختلفَ ما بينهما فأتى عميرٌ أهلَه [فقال](١): لا تبعثُوا للحارث باللبَن فإنا لا نأمنُ أن يَرُدَّه علينا ؛ وانقلب الحارثُ الى أهله فقال : هل أتاكم اللبنُ؟ قالوا : لا ؛ فلما راح الحارثُ بعمرو قال(٢): ياهذا لاتجمعنَّ علينا الهجرَ وحبسَ اللبن ؛ فقال : أمّا اذ قلتَ هذا فلا يحملُها(٣) اليك غيري ، فحملها من رَدْمِ(٤) بني جُمَح الى أجيادٍ(٥) .

وبعث النضرُ بن الحارث الى صديق له يسكن عَبّادانَ(٦) بنعلين مخصُوفتين وكتب اليه : بعثتُ اليك بهما وأنا أعلمُ أن بكَ عنهما غِنًى ، ولكنّي أحببتُ أن تعلمَ أنكَ مني على ذُكْرٍ .

وقال بعضُ الشعراء :

إنّ الهديّةَ حُلوةٌ * كالسِّحر تجتَلِبُ القلوبا
تُدني البغيضَ من الهوى * حتى تُصَيِّرَه قريبا
وتُعيدُ مُضطغِنَ العَدا * وةِ بعد نُفْرَته حبيبا

أهدى رجلٌ إلى صديق له عبدا أسودَ ؛ فكتب إليه : أما بعد، فلو علمتَ عددًا أقلَّ من واحد أو لونا شرًّا من الأسود لبعثتَ به إليّ . وهذا نظيرُ قول الآخر

---

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) في الأصل : «فقال» . (٣) في الأصل : «لا» . (٤) ردم بني جمح : موضع بمكة سمي بذلك لوقعة كانت فيه بين بني جمح بن عمرو وبين محارب بن فهر رُدِمَ فيه كثير من بني جمح . (٥) أجياد : موضع بمكة ، بلى الصفا ، واختلف في سبب تسميته بهذا الاسم فقيل : سمي بذلك لأن تبّعًا لما قدم مكة ربط خيله فيه ، وقيل غير ذلك . (٦) عبادان (بفتح العين وتشديد الباء) : جزيرة أحاط بها شعبتا دجلة ساكبتين في بحر فارس .

وقد سُئِلَ كم لك من الولد ؟ قال : خبيثٌ قليل ؛ قيـل : وكيف؟ فقال : لا أقلّ من واحد ولا أخبثَ من بنت .

أهـدى رجلٌ الى بعض الأمراء هديةً ، فكتب اليه الأميرُ : قد قبلتُها بالموقع ورددتُها بالإبقاء .

وكان ابن عباس يقول : مَنْ أُهدِيَتْ اليه هديّةٌ وعنده قومٌ فهم شركاؤه فيها ؛ فأهدى اليه صديقٌ ثيابا من ثياب مصرَ وعنـده أقوام فأمر برفعها ، فقال له رجل : ألم تُخبِرنا أنّ مَن أُهديَتْ له هديّةٌ وعنده قومٌ فهم شركاؤه فيها ! فقال : إنما ذلك فيما يؤكَلُ ويُشربُ ويُشم ، فأمّا فى ثياب مصر فلا .

وقال خلفٌ الأحمرُ :

أنانى أخٌ من غَيْبـةٍ كان غابهـا . وكنتُ ادا ما غاب أنشُـده رَكْبا[1]
بجاء بمعـروفٍ كثيرٍ فدسّـه * كمادسّ راعى السّوء فى حِضنه الوَطْبا[2]
فقلت له هـل جِئتَنى بهـديّةٍ * فقال بنفسى قلت أتحِفُ بها الكابا
هى النفسُ لا أرثِى لها [من] بليّةٍ[3] * ولا أتمـنى أن رأيتُ لها قُـربا

أهدى رجل إلى صديق له وكتب إليه : الأُنسُ سهّل سبيلَ الملاطفة ، فأهديتُ هديّةَ من لا يَحْتشِم ، إلى من لا يَغْتنِم .

وحدّثنا أحمد بن الخليل قال حدّثنا أبو سَلَمة عن حُبَابة بنت عَجْلان عن أمّها أم حفص عن صفيّة بنت جرير عن أم حكيم بنت وَدَاع الخُزَاعيّـة قالت : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : ما جزاءُ الغنىّ من الفقير ؟ قال : " النصيحة والدعاء "

(١) نشده : عرّفه وسأل عنه . (٢) الوطب : سقاء اللبن . (٣) تكملة يقتضيها المعنى والوزن .

قلت : يُكْرَه ردُّ اللُّطَف[1] ؟ قال : "ما أقبحه، لو أُهـديتْ إليّ ذِراع لقَبِلتُ ، ولو دُعِيتُ إلى كُرَاع لأجبتُ ، تهادَوْا فإنه يُضْعِفُ[2] الحُبَّ ويَذْهَب بغوائل القلوب".

وحدّثنى محمد بن سَلّام الجُمَحيّ قال حدّثنى خلّاد بن يزيد الباهليّ قال : أُهدِيتْ ليزيد بن عمر بن هُبَيْرة فى يوم المِهْرَجان هدايا وهو أمير العراق فصُفّت بين يديه ، فقال خلف بن خليفة وكان حاضرا :

كأنّ شماميسَ فى بِيعـــةٍ * تسبّح فى بعض عِيـداتِها
وقد حضرتْ رسلُ المِهْرجا * نِ وصَـفُّوا كريمَ هَدِيّاتِها
علوتُ برأسىَ فوق الرءوس * فأشخصته[3] فـــوق هاماتِها
لأكسِبَ صاحبتى صَحْفَةً * تغيظ[4] بهـا بعضَ جاراتِها

فأمر له بجامٍ من ذهب، ثم أقبل يفرّق بين جلسائه تلك الهدايا، ويُنشد :

لا تبخَلَنّ بدُنيـا وهى مقبـلةٌ * فليس يَنْقُصها التبذيرُ والسَّرَفُ
فإنْ تولّتْ فأحْرَى أن تجودَ بها * فالحمدُ منها اذا ما أدبرتْ خَلَفُ

كتب رجلٌ من أصحاب السـلطان الى بعض العمال يَستهديه مِهارةً[5] من ناحية عمله . فكتب اليه العامل : أمّا المِهارةُ فإن أهل عملنا يصونونها صيانةَ الأعراض، ويسترونها سَتْرَ الحُرَم، ويسومون بهـا مهور العقائل ؛ وأنا مستخلِص لك منهـا ما يكون زينَ المَرْبَط وحُمْلانَ[6] الصديق، إن شاء الله .

---

(١) اللطف : اسم من ألطفه بكذا اذا برّه . (٢) يضعف الحب : يضاعفه .
(٣) كذا فى الشعر والشعراء، وفى الأصل : «فأشخصتها» والرأس مذكر . (٤) كذا فى الشعر والشعراء . وفى الأصل «تفيض» : وهو تحريف . (٥) المهارة : جمع مهر بالضم ، وهو ولد الفرس . (٦) الحملان : ما يوهب من الدواب كالفرس ونحوه مما يحمل عليه .

وقال بعضهم : الهديّة اذا كانت من الصغير الى الكبير، فكلّما لَطُفتْ ودقّت كان أبهى لها، واذا كانت من الكبير الى الصغير، فكلّما عَظُمتْ وجلّت كان أوقع لها وأنجع.

وكتب أبو السَّمْط :

بدولةِ جعفرٍ حَسُنَ الزمانُ * لنا بك كلَّ يومٍ مِهْـرجانُ
ليومِ المهرجانِ بك ٱختيالٌ * وإشراقٌ ونورٌ يُستبانُ
جعلتُ هديتي لك فيه وَشْيًا * وخيرُ الوَشْيِ ما نَسَج اللسانُ

أهدى حُسَام بن مِصَكّ الى قَتَادَةَ نعلًا رقيقة، فجعل قتادةُ يَزِنها بيده، وقال : إنك تعرف سُخْفَ عقلِ الرجل فى سخف هَدِيّته.

وقال الشاعر :

سـقى حُجّاجَنـا نَوْءُ الثريّا * على ما كان من بُخْلٍ ومَطْلِ
همُ جمعوا النعالَ وأحرزوها * وسـدُّوا دونهـا بَابًا بقُفْلِ
فإن أهديتُ فاكهةً وجديًّا * وعشرَ دجائجٍ بَعثُوا بِنعـلِ
ومِسْـواكَيْنِ طولُها ذِراعٌ * وعشرٍ من رديءِ المُقْلِ(1) حُسْلِ
فإن أهـديتُ ذاك ليحملونى * على نعـلٍ فـدقّ الله رِجْلى
أُناس تائهون(2) لهـم رُواءٌ * تَغيم سماؤهم من غير وَبْلِ
اذا ٱنتسبوا ففرعٌ من قريشٍ * ولكنّ الفِعالَ فِعالُ عُـكْلِ(3)

كتب رجل الى صـديق له : لولا أنّ البضـاعة قَصّرت بى عن بلوغ الهمة لأتعبتُ المسابقين الى بِرّك. وكَرِهتُ أن تُطْوَى صحيفةُ البِرّ، وليس لى فيها ذِكر،

(١) المقل : ثمر الدوم، وحسل : جمع حسيل، والحسيل : رذال الشيء (٢) تائهون : متكبرون، وصف من التيه. (٣) عكل : قبيلة فيهم عماوة وقلة فهم، ولذلك يقال لكل من فيه عملة ويستحمق : عكلىّ.

فبعثت اليك بالمبتدأ بيُمنه وبركته، والمختوم بطيبه ورائحته : جراب مِلْح، وجراب أُشْنان[1] .

أهدى الطائىّ الى الحسن بن وهب قلماً وكتب اليه :

قد بعثنا إليك أكرمك اللـ * ـه بشيءٍ فكن له ذا قَبُولِ
لا تقِسْه الى نَدَى كفّك الغَمْـ * ـر ولا نَيْلِك الكثيرِ الجزيلِ
وٱغتفِر قِلّةَ الهديّةِ مِنّى * إنّ جهدَ المُقِلّ غيرُ قليلِ

وبعث أبو العَتَاهِيَة الى الفضل بن الربيع بنعلٍ وكتب معها :

نعلٌ بعثتُ بها لتلبَسَها * تسعى بها قدمٌ الى المجدِ
لو كان يمكن أن أُشَرِّكَها[2] * جِلْدِى جعلتُ شِراكَها خَدّى

وقال بعض الشعراء فى نحو ذلك :

أوَ ما رأيتَ الوردَ أتحفَنا به * إتحافَ مَنْ خَطَر الصديقُ ببالِهِ
لو كان يُهْدَى لامرئٍ ما لا يُرَى * يُهْدَى لعُظْمِ فِراقِه وزِيالِهِ
لرددتُ تُحفتَه عليه وإن عاتْ * عن ذاك وٱستهديتُ بعض خِصالِهِ

وقال المهدىّ :

تفّاحةٌ من عند تفّاحةٍ * جاءتْ فماذا صنعتْ بالفؤادْ
واللهِ ما أدرى أ أبصرتُها * يقظانَ أم أبصرتُها فى الرقادْ

قال : وكتب بعض العمال إلى صديق له : إنى تصفّحتُ أحوالَ الأتْباع الذين يجب عليهم الهدايا إلى السّادة فى مثل هذا اليوم والتأسّى بهم فى الإهداء، وإن قَصّرتِ الحالُ عن قَدْرك، فرأيتُنِي إن أهديتُ نفسى فهى مِلكٌ لك لا حظّ فيها لغيرك،

(١) الأشنان : نبات وهو أجناس كثيرة، وكلها من الحمض، وتغسل به الثياب وغيرها .
(٢) أشركها : أجعل لها شراكا، والشراك : سير النعل على ظهر القدم .

ورميتُ بطَرْفِي الى كرائم مالى فوجدتُ أكثرَها منك، فكنت إن أهديتُ شيئًا منه كالمُهْـدِى مالَك إليك ومُنفِقِ نفقتِك عليك؛ وفزِعتُ الى مودّتى وشكرى فوجدتُهما خالصَيْنِ لك قديمين غيرَ مستحدثَيْن، ورأيتُ إن أنا جعلتُهما هديّتى لم أُجدِّد لهـذا اليوم الجديد برًّا ولا لَطَفا. ولم أَقِسْ منزلةً من شكرى بمنزلةٍ من نعمتك إلا كان الشكر مُقصِّرا عن الحق، وكانت النعمةُ زائدةً على ما تبلُغه الطاقة؛ ولم أسلك سبيلا أتنفس بها برًّا أعتـدّ به أو لَطَفا أتوصّل إليه، إلا وجدتُ رِضاك قد سبقنى اليه. فجعلتُ الاعتراف بالتقصير عن حقك هديّةً اليك؛ وقد قلت فى ذلك :

إنْ أُهْدِ نفسى فهْى من مِلْكِهِ * أو أُهـدِ مالى فهو من مالِهِ

لمـا قَدِم معاويةُ المدينةَ مُنصرِفا من مكة، بعث إلى الحسن والحُسين وعبد الله ابن جعفر وعبدِ الله بن عمر وعبدِ الله بن الزُّبَير وعبد الله بن صَفْوان بن أُميّة هدايا من كُسًى وطِيبٍ وصِلاتٍ من المال، ثم قال لرسله : ليحفَظْ كلُّ رجلٍ منكم ما يرى ويسمع من الردّ. فلما خرج الرسل من عنـده، قال لمن حضر : إن شئتم أنبأناكم بما يكون من القوم؛ قالوا : أخبِرْنا يا أمير المؤمنين، قال : أمّا الحسن فلعله يُنيـل نساءَه شيئًا من الطِّيب ويُنْهِب ما بَقِى مَنْ حَضَره ولا ينتظر غائبا. وأما الحسـين فيبدأ بأيتامٍ من قُتِل مع أبيه بِصِفّين. فإن بقِىَ شىء نَحر به الجُزُر وسَقَى به اللبن. وأما عبـد الله بن جعفر فيقول : يا بُدَيح[1] ! اقْضِ به دَيْنى. فإن بقى شىء فأنفِدْ به عِدَاتى. وأما عبد الله بن عمر فيبـدأ بفقراء عَدِىّ بن كعبٍ. فإن بقِىَ شىء ادّخره لنفسه ومانَ به عيالَه. وأما عبد الله بن الزبير فيأتيه رسولى وهو يسبّح فلا يلتفت إليه ثم يعاوِده الرسولُ فيقول لبعض كُتّابه : خذوا من رسول مُعاوية ما بعَث به، وصَله الله وجَزاه خيرا، لا يلتفت اليها وهى أعظم فى عينه من أُحُدٍ، ثم ينصرِف الى أهله

(١) بديح : اسم مولى كان لعبد الله بن جعفر.

فيَعْرِضُها على عينه ويقول: ارفعوا، لعلِّي أن أعودَ بها على ابن هِند يوما ما. وأما عبد الله بن صفوان فيقول: قليلٌ من كثير، وما كل رجلٍ من قريش وصل اليه هكذا، رُدّوا عليه؛ فإن رَدّ قَبِلناها. فرجع رسلُه من عندهم بنحو مما قال معاوية؛ فقال معاوية: أبا ابنُ هند! أعلم بقريش من قريش.

قال يونس بن عُبَيد: أتيتُ ابنَ سيرينَ فدعوتُ الجارية، فسمعتُه يقول: قولوا له: إني نائم — يريد: سأنام —؛ فقلت: معي خَبِيص[1]؛ فقال: مكانَك حتى أخرج إليك.

قال رجل لأبي الدَّرْداء: إن فلانا يُقْرِئك السلام؛ فقال: هديّةٌ حسنة وتحفة خفيف.

وبعث رجلٌ الى جارية يقال لها «راح» براجٍ، وكتب اليها:

قل لمن يملك الملو ... كَ وإن كان قد مُلِكْ
قد شَرِبناكِ فاشرَبِي ... وبعثنا إليكِ بِكْ

أهدى رجل الى عُبيد[2] بن الأخطل شاةً مهزولة، فكتب اليه عَبيد:

وهبتَ لنا يا أخا منقَرٍ ... وعِجْلٍ وأكرمَها أوّلا
عجوزًا أضرَّ بها دهرُها ... وأنزلها الذُّلُّ دارَ البِلَى

(١) الخبيص: نوع من الحلواء يصنع في الطناجير، وهو أنواع كثيرة ذكرها ووصف كيفية صنعها صاحب كتاب الأطعمة فراجعها في نسخته المخطوطة المحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٢ ه علوم معاشية.

(٢) نسب أبو الفرج هذا الشعر في الأغاني (ج ٣ ص ٢٢٧ طبع دار الكتب) لبشار بن برد، وروى أنه بعث به الى فتى من بني منقر أمه بجلية، وكان يبعث الى بشار في كل عام بأضحية من الأضاحي التي كان أهل البصرة يسمنونها سنة وأكثر للأضاحي، فأمر وكيله في بعض السنين أن يجريه على رسمه فأرسل اليه نعجة عبدلية من نعاج عبد الله بن دارم وهو نتاج مرذول، فأرسل اليه بشار بهذه الأبيات. وقد وردت هذه القصيدة في الأغاني باختلاف في بعض الأبيات والكلمات عما هنا.

سـلوحًا[1] حسبتُ بأنّ الرِّعاء * سَـقَوْها الغَرِيقَوْنَ[2] والحنظلا
وأجدبَ من ثور زَرّاعةٍ[3] * أصاب على جوعه سُنْبُلا
وأزهـدَ من جِيفةٍ لم تَدَعْ * لها الشمسُ من مَفْصِلٍ مَفْصلا[4]
فاهـوتُ يمينى الى جنبها * نَخلتُ حراقِفَها[5] جَنْـدَلا
وأهوتْ يَسَارى لعُرْقوبها * نَخلتُ عَرَاقيبَها مِغْـزَلا
فقلت أبيـع فـلا مَشْـرِبًا[6] * تُؤَدِّى إلىّ ولا مَأْكلا
أمَ آجعـلُ من جلدها حَنْبَلًا[7] * فأقْـذِرْ بحنبلها حنبـلا
إذا هى مرّت عـلى مجلس * من العُجْبِ كبّر أو هـلّلا
رأوْا آيةً خلفـها سـائقٌ * يَحُثّ وإن هرولتْ هرولا
فكنتَ أمرتَ بها ضَخْمـةً * بشحمٍ ولحـمٍ قد اسْتُكْمِلا
ولكنّ رَوْحًا عَدَا طَـوْرَه * وما كنتُ أحسب أن يفـعلا
فعَـضّ الذى خاننى حاجتى .. بإستِ آمّـه بَظْرَها الأغرّلا[8]
فلولا مكانُك خَضّـبتُها * وعَلّقتُ فى جِيـدها جُلْجُلا
بفـاءت لكيما ترى حالَهـا * فتعـلمَ أنّى بها مُبتـلى
سألتُـك لمّا لِصبيانِنـا * فقـد زِدتَنى فيهـمُ عَيّـلا
نخـذها وأنت بها مُحسِـنٌ * وما زلتَ بى مُحسِـناً مُجْمِـلا

---

(١) سلوح : وصف من السلح ، وهو للطير والبهائم كالتغوط للإنسان ، وقد يستعمل للإنسان تجوزا
(٢) الغريقون : ترياق للسموم مفتح مسهل . (٣) الزراعة : موضع الزرع كالملاحة لموضع الملح .
(٤) فى الأصل : «من مفصل يفصلا» وهو تحريف . (٥) الحراقيف جمع حرقفة وهى رأس الورك .
(٦) كذا فى الأغانى اعتمادا على بعض أصوله الخطية . وفى الأصل : «هلا مشترى» وهو تحريف .
(٧) الحنبل : الغرو . (٨) الأغرل : الذى لم يختن .

وبعث رجل إلى دِعْبِل بأُضحِيّة، فكتب إليه :

بعثتَ إليّ بأُضحِيّــةٍ * وكنتَ حَرِيًّا بأن تفعلا
ولكنها خرجتْ غَثّــةً * كأنك أرعيتَهـا حَرْمَلا[1]
فإن قَبِــلَ الله قُرْبانَها * فسبحانَ ربِّك ما أعدلا

قيل لرجل قَدِم من مكة : كيف أثمان النِّعال بمكة؟ قال : أثمان الجِدَاء[2] بالعراق .

وقال مُسْلم بن الوليد :

جَزَى الله من أهدَى التُّرُنْجَ[3] تحيةً * ومَنَّ بمـا يهوى عليــه وعجّلا
أتتنا هدايا منــه أشبهن رِيحَه * وأشبَهَ في الحسن الغزالَ المكحّلا
ولو أنه أهــدَى إليّ وِصالَه ، لكان إلى قلبي ألذَّ وأوصــلا

وكتب رجل الى صديق له شَرِب دواءً :

تأنَّق في الهــديّةِ كلُّ قومٍ * إليــك غداةَ شُرْبِكَ للدواءِ
فلمّـا أنْ هَمَمتُ به مُدِلًّا * لموضِع حُرْمتي بك والإخاءِ
رأيتُ كثير ما أُهْدِي قليــلًا * لعبدك فاقتصرتُ على الدُّعاءِ

وكتب رجل الى صــديق له : وجدتُ المودّة مُنقطِعة ما كانت الحِشْمةُ عليها متسلّطة ، وليس يُزيل سلطانَ الحِشمة إلا المؤانسةُ، ولا تقع المؤانسةُ إلا بالبِرّ والملاطفــةِ .

العيـــــادة

قال حدّثنا يزيد بن عمــرو قال حدّثنا يزيد بن هارون قال حدّثنا شَرِيك عن أبي نُصَيْر عن أنَس بن مالك، قال : عاد رسولُ الله صلى الله عليــه وسلم رجلا من

(١) الحرمل : حب نبات كالسمسم يمنع عن الأكلة، ولا يأكله إلا المعزى، وقد يداوى به المحموم.
(٢) الجداء : جمع جدي . (٣) الترنج : ثمر شجر بستاني من جنس الليمون نافع الورق والحطب .

الأنصار من رَمَدٍ كان بعينه . ومن حديث أبي هُرَيرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا يُعَادُون صاحبُ الدُّمَّل والرمد والضرس" .

وحدّثني القاسم بن الحسن عن ابن الأصبهانيّ عن إسماعيل بن عيّاش عن أَرْطاةَ بن المُنْذِر : أن أبا الدرداء عاد جاراً له نصرانيا .

قال الشَّعْبيّ : عِيادةُ النَّوْكَى أشدّ على المريض من وَجَعه .

شَيْبان عن أبي هَـدِيّة عن أبي هِلَال قال : قال بكر بن عبـد الله لقوم عادوه فأطالوا عنده : المريضُ يُعاد، والصحيحُ يُزار .

عاد قومٌ عليـلًا فأطالوا عنده، فقال لهم : إن كان لكم في الدار حقٌّ فقـدوه وانصرفوا .

عاد رجل رَقَبَةَ، فنعى رجلًا اعتلّوا مثلَ عِلّتـه، فقال له رقبة : إذا دخلتَ على مريض فلا تَنْعَ إليه الموتى، وإذا خرجتَ من عندنا فلا تَعُدْ إلينا .

عاد أعرابيّ أعرابيًّا فقال : بأبي أنت! بلغني أنك مريض، فضاق والله عليّ الأمرُ العريض، وأردتُ إتيانَك فلم يكن بي نهوض ؛ فلما حملتْني رجلان، وليستا تحملان، أتيتُك بجُرْزةٍ[1] شيح ما مسّها عِرْنِين[2] قطّ، فأشممْها وأذكر نجداً، فهو الشفاء بإذن الله .

قال كُثَيِّر :

ألَا تلك عزّةُ قـد أقبلتْ * تقلّبُ للبين طَرْفًا غَضِيضَا
تقـول مَرِضتُ وما عُدْتَنا * فقلتُ لها لا أُطِيق النهوضا
كلانا مَرِيضانِ في بلدةٍ * وكيف يعود مريضٌ مريضا

(١) الجرزة : الحزمة . (٢) العرنين : الأنف .

وقال آخر[1]:

إذا مَرِضنا أتيناكم نعودكُمُ * وتُذْنبون فنأتيكم فنعتـــذِرُ

وقال بشّار:

لو كانت الفِدْيةُ مقبولةً * لقلتُ بي لا بك حُمّا كا

وكتب آخر الى عليل:

نُبِّئْتُ أنّك معتـــلٌّ فقلتُ لهم * نفسي الفِداءُ له من كلّ محذورِ
ياليت عتّـه بي غيرَ أنّ له * أجرَ العليـلِ وأنّي غيرُ مأجورِ

وكتب آخر الى عليل:

أقولُ بحـقٍّ واجبٍ لك لازمٍ * وإخلاصِ شكرٍ لايغيّره الدهرُ
بيَ السوءُ والمكروهُ لا بك كلّما * أراداك كانا بي وكان لك الأجرُ

وقال آخر في مثله:

فإنْ تكُ حُمّى الغِبِّ[2] شَفّك وِرْدُها[3] * فعُقْباكَ منها أن يطـولَ لك العمرُ
وَقيناك! لو نُعْطى المُنى فيك والهَوَى * لكان بي الشكوَى وكان لك الأجرُ

وفي الحديث المرفوع "حَصّنوا أموالكم بالزكاة، وداوُوا مَرْضاكم بالصدقة، واستَقْبِلوا البلايا بالدعاء". وفي حديث آخر أنه صلى الله عليه وسلم قال يومًا لأصحابه: "مَنْ أصبح منكم صائمًا؟" قال عمر: أنا، قال: "فمن شَيّع جنازةً؟" قال عمر: أنا؛ قال: "فمن عاد مريضا؟" قال عمر: أنا؛ قال: "فمن فيكم تصدّق بصدقة؟" قال عمر: أنا؛ فقال صلى الله عليه وسلم: "وجبتْ وجبتْ وجبتْ". وفي حديث

(١) هو المؤمل بن أميـل (نهاية الأرب ج ٣ ص ٩٢ طبعة أولى).
(٢) حمى الغب: التي تنوب المريض يوما بعد يوم.
(٣) الورد من أسماء الحمى وقيـل: هو يومها الذي تأخذ فيه صاحبها.

آخر : أنه صلى الله عليـه وسلم قال : " إتمامُ عيادتكم المريضَ أن يَضَع أحدكم يده على جَبْهته أو على رأسه أو يدَه فى يده و يسأله كيف هو، وتمـامُ تحيّاتكم المصافحة" .

وقال الشاعر :

إن كنتُ فى ترك العيادةِ تارِكًا * حَظّى فإنى فى الدعاءِ لجاهـدُ
فلربمـا ترَك العيادةَ مُشـــفِقٌ * وأتى على غِلّ الضميرِ الحاسدْ

أبو حاتم قال حدّثنا العُتْبِيّ عن أبيـه قال : كان يقال : إذا اشتكى الرجلُ ثم عُوفِى ولم يُحْدِث خيرًا ولم يَكُفّ عن سُـوء، لقيتِ الملائكةُ بعضُها بعضًا وقالت : إن فلانًا داو بناه فلم ينفَعْه الدواء .

وقال أبو حاتم حدّثنا القَحْذَمىّ قال : أَطْلَع[1] معاويةُ فى بئر بالأَبْواء[2] فأصابته لَقْوة[3]، فاعتمّ بعمامةٍ سوداء وسدَلها على الشقّ الذى أُصيب فيه ، ثم أذِن للناس فقال : أيها الناس، إنّ ابن آدم بعَرَض بلاء : إما مُعاتَبٌ ليُعْتِب، وإما مُعاقَب بذنب، أو مبتلًى ليؤجَر، فإن عُوتبتُ فقـد عُوتب الصالحون قبلى، وإنى لأرجو أن أكون منهم، وإن عُوقبتُ فقـد عوقب الخطّاءُون قبلى، وما آمن أن أكون منهم، وإن مَرِض عضو منّى فما أُحْصِى صحيحى ولَمَـا عُوفيتُ أكثر، ولو أن أمرِىَ الى ما كان لى على ربّى أكثرُ ممـا أعطانى . وإنى وإن كنتُ عاتبًا على خاصّ منكم فإنى حَدِب على جماعتكم، أُحبّ صلاحكم . وقد أُصبتُ بمـا ترَوْن، فرحم الله امرأً دعا لى بعافية ! فرفعوا أصواتهم بالبكاء والدعاء .

---

(١) أطلع : أشرف . (٢) الأبواء : قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها و بين الجحفة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلا، وقيـل : الأبواء : جبل عن يمين آرة و يمين الطريق للصعد الى مكة .

(٣) اللقوة (بالفتح) : داء يصيب الوجه يعوج منه الشدق إلى أحد جانبى العنق .

مَرض أبو عمرو بن العلاء مَرَضةً، فأتاه أصحابه وأبطأ عنده رجل منهم؛ فقال: ما يُبْطئ بك؟ قال: أُريد أن أُساهِرَك؛ قال: أنت مُعافىً وأنا مبتلىً، فالعافية لا ندعُك تسهر والمرض لا يدعني أنام، فأسأل الله أن يسوق الى أهل العافية الشكر، والى أهل البلاء الصبر والأجر.

حدثني عبد الرحمن عن الأصمعيّ قال: اشتكى رجل من الأعراب، فجعل الناسُ يدخلون عليه فيقولون: كيف أصبحت وكيف كنت؟ فلما أكثروا عليه قال: كما قلتُ لصاحبك.

قال: وقع رجل من أهل المدينة فوَثِئَتْ[1] رِجلاه، فجعل الناسُ يدخلون عليه ويسألونه، فلما أكثروا عليه وأضجروه كتب قصّته في رُقعةٍ، فكان اذا دخل عليه [عائد][2] وسأله دفع اليه الرقعة.

الهَيْثم بن عَديّ قال: كان رجل من أهل السَّواد مجهوداً[3] لا يَقْصِد في شيء إلا انصرف عنه، فغاب مرّةً فأطال، فلما قَدِم أتاه الناس فجعلوا يسألونه عن حاله وما كان فيه، وكان فيه بَرَمٌ، فأخذ رُقعةً فكتب فيها:

وما زلتُ أقطع عَرْضَ الفلاةِ * من المَشْرِقَيْنِ الى المَغْرِبَيْنِ
وأطوِي الفيافِيَ أرضًا فأرضًا * وأستمطر الجَدْيَ والفَرْقَدَيْنِ
وأطوِي وأنشُر ثوبَ الهمومِ * الى أن رجعتُ بِخُفَّيْ حُنَيْنِ

(١) وثئت رجله أو يده: أصابها وهن لا يبلغ أن يكون كسرا. (٢) زيادة يقتضيها السياق.
(٣) المجهود: هو الذي نكد عيشه. وفي الأصل «مجدود» بالدال، والمجدود: المحظوظ، والسياق يأباه.

فقـــيرًا وَقِيرًا[1] أحا عُسْرةٍ * بعيدًا من الخير صِفر اليدينِ
كئيبَ الصَّديق بهيجَ العدوِّ * طويلَ الشَّقا زانِيَ الوالدينِ

وطرحها فى مجلسه، فكلّ من سأله عن حاله دفع اليه الرقعة .

قال حدّثنا عبد الرحمن عن عمه أن نَبَطِيًّا وقع من موضع عالٍ، فدخلوا يسألونه : كيف وقعت ؟ فلما أكثروا عليه أخذ جَرّةً وألقاها من يده وقال : هكذا وقعتُ .

أبو الخطاب قال : كان عندنا رجلٌ أحدبُ فسقط فى بئر فذهبت حدبته فصار آدر[2]، فدخلوا يسألونه ويهنئونه بذهاب حَدَبته، فجعل يقول : الذى جاء شرٌّ من الذى ذهب .

المدائنىّ قال : سقط ابن شُبْرُمة العاصى عن دابّته فوَنِئَتْ رجلُه، فدخل نعى ابن نوفل الحِمْيرىّ عليه فقال :

أقول غداةَ أتانى الخبيـ ـر فدسّ أحاديثَـه الهَيْنَمهْ
لك الويلُ من مُخبِرٍ ماتقول؟ * أبِنْ لِى وعَدِّ عن الجَمْجَمهْ
فقال خرجتُ وقاضى القضا * ة مُشْقَلةٌ رِجلُه مُؤلَمَهْ
فمِلت وضاقت علىّ البلاد * وخِفتُ المَجَالَةَ لمعضمهْ
فعَزْوانُ حرٌّ وأمّ الوليـ ـد * إنِ اللهُ عافى أبا شُبْرُمهْ
جزاءً لمعروفه عندنا، * وما عتْق عبدٍ له أو أمَهْ

قال : وفى المجلس جار ليحيى بن نوفل يعرف منزلَه . فلما خرج تبعه وقال : يا أبا معمر، مَنْ غزوان وأم الوليد ؟ فضحك وقال : أوَ ما تعرفهما؟ هما سِتْوَانِ فى البيت .

(١) الوقير : الدليل المهان . (٢) الآدر : المصاب بانفتاح فى أحدى خصيتيه .
(٣) الهينمة : الصوت الخفىّ . (٤) الجمجمة : عدم الإبانة فى الكلام .

قال حدّثنا الرِّياشيّ عن أبي زيد قال دخلنا على أبي الدُّقَيش وهو شاكٍ ، فقلنا له : كيف تجدُك ؟ قال : أجِدُني أجِد ما لا أشتهي وأشتهي ما لا أجِد ، ولقد أصبحتُ في شرّ زمانٍ وشرّ أُناسٍ : مَنْ جاد لم يَجِدْ ومن وَجَد لم يَجُد .

قيل : لعمرو بن العاص وقد مَرِض مرةً : كيف تجِدُك؟ قال أجِدني أذوب ولا أثوب ، وأجد نَجْوِي[1] أكثرَ من رُزْئي ، فما بقاءُ الشيخ على هذا ! .

سئل عليٌّ عن حاله فقال : أنا مُبِلٌّ غير مُستقِلّ ، ومتمائِلٌ غير متحامِل .

وقيل لآخر : كيف تجدك ؟ قال أجِدُني لم أرض حياتي لموتي .

وقيل لرجل من العجم : ما حالك ؟ قال : ما حال منْ يريد سفرًا طويلًا بلا زادٍ ! و ينزل منزلًا مُوحِشا بلا أنيس ! و يَقْدَم على جَبّار قد قدّم العذرَ بلا حجّة ! .

قيل لِعِكْرِمة : كيف حالك ؟ قال : بِشرٌّ ، أصبحت أجرَبَ مبسورا[2] .

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : قيل لشيخ من العُبّاد : كيف أنت ، وكيف أحوالُك ؟ فقال : ما كلُّها كما أشتهي .

قيل لآخر : ما تشتكي ؟ قال : تمامَ العِدّة وانقضاء المدّة .

وبلغني عن مُعاوية بن قُرّة قال : مَرِض أبو الدَّرْداء ، فعاده صديقٌ له فقال : أيَّ شيء تشتكي ؟ قال : ذُنوبي ، قال : فأيُّ شيء تشتهي ؟ قال : الجنة ، قال : فتدعو لك بالطبيب ؟ قال : هو أمرضني .

سئل رجلٌ عن حاله فقال :

كنا اذا نحن أردنا لم نَجِدْ * حتى اذا نحن وجدنا لم نُرِد

(١) النجو : ما يخرج من البطن من ريح أو غائط ، والرزء : ما يناله الانسان من الطعام .

(٢) مبسورا : به داء البواسير .

أرْجف الناسُ بعلّة معاوية وضعفِه ، فدخل عليه مَصْقَلة بنُ هُبَيرة ، فأخذ معاوية بيده ثم قال يا مَصْقل :

أبقى الحـــوادثُ من خليـــلك مثل جَنْدلة المَـرَاجِمْ
قـد رامنى الأقـــوامُ قبـــلك فامتنعتُ من المظالمْ

فقال مَصْقَلة : أمّا قولُ أمير المؤمنين : «أبقى الحوادث من خليلك» ، فقد أبقى الله منك جبلًا راسيًا وكَلَأً مَرْعِيًا لصديقك وسمًّا ناقعًا لعدوّك . وأما قولك : «قد رامنى الأقوام قبلك» ، فمن ذا يَرُومك أو يظلمك ! فقد كان الناس مشركين فكان أبو سفيان سيّدهم ، وأصبح الناس مسلمين وأصبحتَ أميرَهم ؛ فأعطاه معاوية فخرج . فسئل عنه فقال : والله لغَمَزنى غمزةً كاد يكسر منها يدى وأنتم تزعُمونه مريضا .

وقال المَدائنىّ : دخل كُثَيِّر عَزّة على عبدالملك بن مروان ، فقال : يا أميرالمؤمنين ، لولا أنّ سرورك لا يَتمّ بأن تَسْلَمَ وأسقَم لدعوتُ الله أن يَصْرِف ما بك إلىّ ، ولكن أسألُ الله لك أيها الأمير العافيةَ ولى فى كَنَفك النعمةَ ؛ فضحك وأمر له بمال ؛ فقال :

ونعودُ سيِّدَنا وسيِّدَ غيرِنا * ليت التَّشَكّى كان بالعُوّادِ
لو كان يُقْبَلُ فِديةٌ لفديتُه * بالمصطفَى من طارِفِى وتِلادى

وقال آخر :

لا تَشكُوَنْ دهرًا صَحَحتَ به * إنّ الغِنَى فى صحـــة الجسمِ
هَبْكَ الخليفةَ ، كنتَ متفعًا * بلذاذة الدنيا مع السُّـــقْمِ؟

اعتلّ المِسْوَر فجاءه ابنُ عباس يعوده نصفَ النهار، فقال المسور: يا أبا عباس[1] هلّا ساعةً غيرَ هـذه! قال ابن عباس: إنّ أحبَّ الساعاتِ إليّ أنْ أؤدّيَ فيها الحقَّ أشقُّها عليّ.

وكتب رجل إلى صديق له: كيف أنت؟ بنفسي أنت! وكيف كنت؟ لازلت! وكيف قوّتك ونشاطك؟ لا عَدِمتُهما ولا عَدِمْنا هما منك، وأعادك الله الى أحسنِ ما عوّدك! لولا عوائقُ يُوجب العذرَ بها تَفَضُّلُك لم أدَعْ تعرّفَ خبرك بالعين، فإنها أشفى للقلب وأقمع للعليل وأشدُّ تسكينا للاعج الشوق.

وقرأ فصلا فى كتاب[2]: لئن تخلّفتُ عن عيادتك بالعذر الواضح من العلّة لما أغفل قلبي ذكرك ولا لسانى خصّا عن خبرك فى تُمْساك ومُصْبحك وتنقّل الحال بك تبعث من تقسم جوارحه وصبك وزاد فى ألمها ألمك ومن تتّصل بك أحواله فى السراء والضراء. ولما بلغنى إفاقتك كتبت مهنئا بالعافية مخبرًا بالعذر، معفيًا من الجواب إلا بخبر السلامة إرسالا.

وقال عبد بنى الحَسْحَاس:

تَجَمَّعْنَ من شَتّى ثلاثٌ وأربعٌ * وواحدةٌ حتى بلغْنَ ثمانيا
سُلَيْمى وسَلْمَى والرَّبابُ وزينبٌ * وهنـدٌ ودَعدٌ والمُنَى وقَطَامِيا
وأقبلنَ من بعض الخيام يَعُدْنَنِى * ألَا إنّ بعضَ العائداتِ دواثيا

(١) أبو العباس: كنية عبد الله ابن العباس. (٢) كذا ورد هذا الفصل بالأصل، ولم نوفق اليه فى مصدر آخر سوى العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٤١) وورد فيه هكذا: «لئن تخلفت عن عيادتك بالعذر الواضح من العلة لما أغفل قلبي ذكرك ولا لسانى خصا عن خبرك يجب أن تنقسم جوارحه وصبك وإن زاد فى ألمها ألمك وأن تتصل به أحوالك فى السراء والضراء. ولما بلغنى إفاقتك كتبت مهنئا بالعافية معفيا من الجواب إلا بخبر السلامة إن شاء الله». وظاهر أن رواية العقد أوفق من رواية الأصل غير أن فيها كلمة «يجب» نابية، ولعل أصل العبارة: وكيف بمن يجب الخ أو نحو ذلك.

وقال عبد الله بن مُصْعَب الزُّبَيرىّ :

ما لى مَرِضتُ فلم يَعُدْنى عائد * منكم ويمرَضُ كلبكم فأعودُ

فسُمِّى «عائذَ الكلب» ، وولدُه الآن يسمُّون «بنى عائذ الكلب» .

التعازى وما يُتَمَثَّلُ به فيها

حدّثنى محمد بن داود عن غسّان بن الفَضْل قال قال عبد الوهاب الثَّقفىّ : أتانى ابن جُرَيج بمكة يُعَزِّينى عن بعض أهلى ، فقال : إنه مَنْ لم يَسْلُ أهلَه إيمانًا واحتسابا سلا كما تسلُو البهائم .

كتب إبراهيم بن يحيى الأَسْلمىّ إلى المهدىّ يعزّيه عن ابنته : أما بعد ، فإن أحقَّ مَنْ عَرَف حقَّ اللهِ فيما أخَذ منه من عَظّم حقَّ الله عليه فيما أبْقى له . واعلم أنّ الماضى قبلَك هو الباقى بعدك ، وأنّ أجر الصابرين فيما يُصابون به أعظم عليهم من النعمة فيما يُعافَوْن منه .

ونحوه قول سهل بن هارون : التهنئةُ على آجل الثواب ، أولَى من التَّعْزِية على عاجلِ المصيبة .

وقال بعض الشعراء :

كَمْ مِنْ يدٍ لا يُسْتَقَلُّ بشكرها * لله فى ظِلِّ المَكارِهِ كامِنهْ

وسقطت مَقاديمُ فم معاوية فشَقَّ ذلك عليه ، فقال له يزيد بن مَعْمَر السَّلَمىّ : والله يا أمير المؤمنين ، ما بلغ أحدٌ سِنَّك إلا أبغض بعضُه بعضًا ، فقُوك أهونُ علينا من سمعك وبصرك .

وقال صالح المُرّىُّ لرجلٍ يعزّيه : إن لم تكن مصيبتُك أحدثتْ فى نفسك مَوْعظةً فمصيبتُك بنفسك أعظم . ونحوه : شرٌّ من المَرْزِئةِ سوءُ الخلف عنها . ومثله قول الشاعر :

إن يكن ما به أُصبتَ جليلًا * فلَفَقْدُ العزاء فيه أجلُّ

عزّى شَبيبُ بن شَبّة المَهْدِىُّ عن بانُوقة[1] فقال : يا أمير المؤمنين، ما عند الله خير لها مما عندك، وثوابُ الله خيرٌ لك منها .

عزّى رجلٌ عبد الله بنَ طاهر عن ابنه فقال : أيها الأمير، ممّ تجزَع ؟

* الموتُ أكرمُ نَزّال على الحُرَمِ *

وقال جرير :

وأهونُ مفقودٍ اذا الموتُ ناله * على المرء مِنْ أصحابه من تَقَنَّعَا

وقال آخر :

ولم أرَ نعمةً شَمِلتْ كريمًا * كنعمة عورةٍ سُترت بقبرِ

وعزّى رجل رجلا فقال : لا أراك الله بعد هذه المصيبة ما يُنسيكَها .

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز :

تَعَزَّ أميرَ المؤمنين فإنه * لِمَا قد ترى يُغْذَى الصغيرُ ويولَدُ

هَل ابنُك إلّا من سُلالةِ آدمٍ * لكلٍّ على حوض المنيّةِ مَوْرِدُ

عزّى أبو بكر عمرَ رضى الله عنهما عن طفل أُصيب به ، فقال : عوّضك الله منه ما عوّضه منك .

وقال محمودٌ الوَرّاق :

يمثّل ذو اللبّ فى نفسه * مصائبَه قبل أن تَنْزِلا

(١) بانوقة : مات كانت للمهدى .

فإن نزلتْ بغتـــةً لم تَرُعْه * لِمَـا كان فى نفسه مثَّـلَا
رأى الهمَّ يُفْضِى الى آخرٍ * فصـــيَّر آخرَه أوَّلَا
وذو الجهـــل يأمَنُ أيامَه * ويَنْسَى مصارعَ من قدخلَا
فإن بدَهَتْهُ صروفُ الزمانِ * ببعض مصائبـه أعْوَلَا
ولو قـدَّم الحزمَ فى أمره * لعلّمه الصـبرَ عنـد البَلَا

عزّى موسى بنُ المهدىّ سليمانَ بنَ أبى جعفر عن آبنٍ له ،فقال : أيَسُرُّك وهو بليّة وفتنة، ويُحْزِنك وهو صلاة و رحمة! .

وعزّى رجل موسى بنَ المَهْدِىّ عن آبن له فقال : كان لك من زِينه الحيـاةِ الدنيا، وهو اليومَ من الباقياتِ الصالحات .

توفّى سُهَيل بن عـبد العزيز بن مروان ، فكتب الى عمرَ بنِ عبد العزيز بعضُ عمّاله وأطنب فى كتابه؛ فكتب اليه عمر :

حَسبِى حياةُ الله من كلّ ميّتٍ (١) * وحسبِى بقاءُ الله من كلّ هالك
إذا ما لقِيتُ اللهَ عـنّى راضيًا * فإنّ شفاءَ النفس فيا هنـالك

كتب آبنُ السمّاك الى الرشيد يعزّيه بابنٍ له (٢) : أما بعدُ، فإن آستطعتَ أن يكون شـكرُك لله حينَ قبَضـه أكثرَ من شكرِك له حينَ وهبه (٣)، فإنه حينَ قبضه أحرَز لك هِبتَه، ولو سلِم لم تَسْلَم من فِتنته؛ أرأيتَ حزَنك على ذهابه وتلهُّفك لفِراقه! أرضِيتَ الدارَ لنفسك فتَرْضَاها لآبنـك! أمّا هو فقد خلَص من الكدر، وبقِيتَ أنت معلّقا بالخَطَر . وآعلم أن المصيبةَ مصيبتان إن جزِعْتَ، وإنمـا هى واحدة إن صبَرت ، فلا تجمَعِ الأمرين على نفسِك .

(١) دخله الخرم وهو حذف فاء مفعولن . (٢) كذا فى الأصل ولعله «يعزيه عن ابن له» .
(٣) حذف هنا الجواب وهو مفهوم من سياق الكلام .

كتب عبدُ الله بن طاهر إلى أبي دُلَف : المصائب حالّةٌ لابدّ منها ، فمنها ما يكون رحمة من الله ولطفا بعبده ، وآيةُ ذلك أن يوفّقه للصبر ويُلهِمَه الرضا ويبْسُط أملَه فيما عنده من الثواب الآجل والخَلَف العاجل . ومنها ما يكون سُخْطا وانتقاما ، أوّله حُزْن وأوسطه قُنُوط وآخرُه ندامة ، وهي المصيبةُ حقًّا الجامعةُ لخُسْران الدنيا والآخرة . ولم تَزَلْ عادةُ الله عندك الإخلافَ والإئلاف . وإن يَكُ ما نالك الآن أعظمَ مما أتى عليك في مَوَاضي الأيام ، فالأجرُ المأمولُ على قدر ذلك .

وكتب أبو دُلَف اليه : إن تكن المصيبةُ جلّتْ ، فإنّ فيما أكرمني الله به مِنْ جَميل رأي الأمير وما وضع للناس من فضل عنايته وابتدائه[1] إيّايَ بكُتُبه ، ما يجلّ العِوضَ من المفقود .

وفي كتاب آخر : لئن كانت المصيبة جلّت ، إن فيما أبقى اللهُ ببقاء الأمير عوضا وافيا وخَلَفا كافيا . وحقيقٌ بمن عظُمت النعمةُ عليه فيما أبقى اللهُ أن يَحْسُن عَزَاؤُه عما أُخِذ منه . وأحقُّ ما صُبِر عليه ما لا يُستطاع دفعُه .

وقرأت في كتاب لبعض الكتّاب في تعزية : أسأل الله أن يسُدّ بك ما ثلَمتِ الأيامُ من مكانه ، ويعمّر ما أخْلتْ من مَشاهده وأوطانه حتى لا يَعْفُوَ الدائرُ ، وأن يَستقبِلَ لكم أيّامَكم بأحسنِ ما أمْضاها لمن مضى منكم ، فيجعلَكم الخَلَف الذي لا وحشةَ معه ولا وحشةَ عليه ، ويتولّاكم ويتولانا فيكم بما هو أهله ووليُّه .

وقرأت في كتاب تعزية : لا لومَ على دمعةٍ لا تُملَك أن تَسْفَحها ، ولا على ألمٍ في القلب لا يُدْفع أن يظهرَ فيك ، ولا عذر في سواهما مما أحْبَط أجرَك وأشْمت عدوَّك وضعّف رأيَك ، ولم يرجع إليك فائتا ولا الى شقيقك بمكانه رُوحًا ولا الى من خلّف

(١) في الأصل : « ... وما وضع الناس فإن فضل عنايته وابتدايته إياى ... الخ » .

حفظا . واعلم أن فرقَ ما بين ذى العقلِ وذى الجهل فى مصيبتيهما تعجُّل العـاقلِ من الصبرما يتأجّل الجاهلُ .

وقرأتُ فى كتاب تعزية : لو كانت النوائب مدفوعة عن أحدٍ بكثرة مَنْ يَقيهذلك من إخوانه ويَفْديه منه بالأخَصّ من أَعِزّته والأنفَسِ من ماله ، سلِمْتَ من ألمِها ، وكان سَبْقِ الى ذلك أبرزَ سَبْق ، وحظّى بالتقدّم فيه أوفرَ حظّ .

وقرأت فى كِتَاب : مصيبتُك لى مصيبةٌ ، وما نالك من أَلمِها لى مُوجِع . ولو كان فى الوُسْع أن أعلم كُنْهَ ما خامر قلبَك من ألمِها لحَملتُ مثلَه على نفسى ، فإنى أُحِبّ أن أكون أُسْوتَك فى كل ساءٍ وغامٍّ ، وألّا أتمتّعَ بأيام غُمُومِك ، ولا أقصّرَ فيها عن مقدار حالك .

وقرأت فى كتاب : نسـأل اللهَ حسنَ الاستعدادِ لمـا نتوكّفُه(١) ونتوقّع حلولَه ، وألّا يَشْغَلَنابمـا يَقِلّ الانتفاعُ به وتَعْظُمُ التَّبِعةُ فيه عمّا نحتاجُ اليه يومَ تجد كلُّ نفس ما عَملت من خيرٍ مُحْضَرا ، وما عملتْ من سُوءٍ تَودّ لو أنّ بينَها و بينَـه أمدًا بعيدا ، وأن يجعل ما وهب لنا من الصـبر والعزاء إيمانًا و إيقانا ، ولا يجعلَه ذُهُولًا ونِسْيانا .

قال أسماءُ بنُ حارِجه اذا قَدُمتِ المصيبةُ تُرِكت التعزية ، واذا قدُم الإخاء قُبِح الثنـاء .

قيل لأعرابية مات ابنها : ما أحسن عزاءَك ! فقالت : إن فَقْدِى إياه أمنى من المصيبةِ بعده . ونحوه قول الشاعر(٢) :

وكنتُ عليه أحذَر الموتَ وحدَه * فلم يبـق لى شىء عليـه أُحاذِرُ

---

(١) نتوكفه : نتوقعه .

(٢) هوأبو نواس الحسن بن هانئ ، وهذا البيت من أبيات قالها فى محمد الأمين ، وقبل هذا البيت :

طوى الموت ما بينى و بين محمد * وليس لمـا تطوى المنية ناشر

ومثـــله :

وقد كنتُ أستعفى الإلهَ اذا اشتكى * من الأجرِ لى فيه و إن سرَّنى الأجرُ

وقال أبو العتاهيَة :

وكما تَبْـــلى وجوهٌ فى الثَّرَى * فكذا يبـلَى عليهن الحَـزَنْ

وفى الحديث : "مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُصِبْ منه"[1]. ٥

ويقال : المصيبة المُوجِعة تُبدِّد ذكرَ الله فى قلب المؤمن .

قال الأصمعى : مررتُ بأعرابيّـة وبين يديها فتىً فى السِّياق[2]، ثم رجعتُ ورأيتُ فى يدها قدح سَويق تشربه . فقلت لهـا : ما فعل الشابّ ؟ فقالت : وارَيْناه ؛ فقلت : فما هذا السَّويق ؟ فقالت :

على كلِّ حالٍ ما كل القومُ زادَهم * على البؤس والبَـلْوَى وفى الحَدَثانِ ١٠

قيـل لأعرابىّ كيف حزنك اليوم على ولدك؟ فقـال : ما ترك حبُّ الغَداء والعَشاء لى حزنا .

وقال عمر بن عبد العزيز : إنما الجزَعُ قبلَ المصيبة . فإذا وقعتْ فإنَّهُ عمّا أصابك .

اشتكى بعضُ أهل محمد بن علىّ بن الحسين بجَزِع عليه ، ثم أُخبِر بموته فسُرِّىَ عنه . فقيل له فى ذلك . فقـال : ندعو الله فيما نحبّ ، فإذا وقع ما نكره لم نخالف الله فيما أحبّ . ١٥

لمـا مـات عُتْبة بن مسعود قال عبد الله : ما قضى اللهُ فيه ما قضى مما أُحبُّ فى دعوته وأحابنى .

---

(١) يصب منه يبتله بالمصائب لتمحيصه عليها . (٢) السياق : نزع الروح كأن روحه تساق

قال رجل من طيِّئ :

فلولا الأسَى(١) ما عِشتُ فى الناس ساعةً . ولكن إذا ما شئتُ أسعَدنى مثـــلى

وقال آخر :

إذا أنت لم تَسْلُ اصطباراً وحِسْبةً * سلوتَ على الأيام مثلَ البهائم

عزّى محمدُ بن الوليد بن عُتْبة الوليدَ بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين، ليَشْغَلْكَ ما أقبل من الموت اليك، عمن هو فى شُغُل مما(٢) دخل عليك، وأعِدد لنزوله عُدّة تكون لك حجابا من الجزَع وسِترًا من النـار . فقال يا محمد، أرجو ألا تكون رأيتَ غَفْلة تُنبّه عليهـا ولا حرعًا يُستترَ منه، وما توفيقى إلا بالله. فقال محمد : يا أمير المؤمنين، إنه لو استغنى أحدٌ عن مَوْعظةٍ بفضلِ لُكْنَتِه، ولكنّ اللهَ يقول : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وقال الطائىّ :

و يفـــرَح بالشىء المُعَـارِ بقـاؤه . ويحـزن لمّـا صـار وهو له ذخْر

عليك بثوب الصبر إذ فيه ملبَسٌ * فإنّ أبَاك المحمود بعد أبـاك الصبر

وقال أيضا .

أمالِكُ إنّ الحـزنَ أحلامُ نائمِ * ومهما يَدُمْ فالوجدُ ليس بدائم

تأمّلْ رُوَيْدًا هل تَعُدّنّ سالمًـا * الى آدمٍ أم هل تَعُدُّ ابنَ سالم

وقال آخر :

اِصبِرْ لكلِّ مصيبةٍ وتجـلّدِ . واعلم بأن الدهرَ غيرُ مخـلّدِ

---

(١) الأسى : جمع أسوة (بالضم ويكسر) وهى ما يتعزى به الحزين . (٢) كذا فى الأصل ولعله : « عما » .

أوَما ترى أنّ الحوادثَ جمّةٌ * وترى المنيةَ للعباد بمرْصَدِ
واذا أتتْك مصيبةٌ تَشْجَى بها * فاذكر مُصابَك بالنبيّ محمدِ

عزّى رجل الشعبي فقال : يا أمير المؤمنين، كان لك الأجرُ لا بك، وكان العزاءُ منك لا عنك .

يعزّى أهلُ نَجْرانَ بعضُهم بعضًا بهذا الكلام: لا يُحْزِنكم الله ولا يَفْتِنكم، أثابكم الله ثوابَ المتّقين وأوجب لكم الصلاة والرحمة .

عزّى بعضُ الزُّبَيْريّين رجلا فقال : لا يَصْفُرْ (١) رَبْعُك ، ولا يُوحِشْ بيتَك ، ولا يَضِعْ أجرُك، ورحم الله متوفّاك، وأحسن الخلافةَ عليك .

قال بعض الشعراء :

أسُكّانَ بطنِ الأرض لو يُقْبَلُ الفِدَى * فَدَيْنا وأعطينا بكم ساكنَ الظهر
فياليت مَنْ فيها عليها وليت مَنْ * عليها ثوَى فيها مقيمًا الى الحَشْر
وقاسمني دهري بَنِيَّ نِشَطْرِه * فلما توفّى شطرَه مال فى شَطْرِى
فصاروا ديونا للمنايا ومن بكى * عليه لها دين قضاه على عُسْر
كأنّهمْ لم يعرفِ الموتُ غيرَهم * فثُكْلٌ على ثُكْلٍ وقبرٌ على قبرِ
وقد كنتُ حيّ الخوفِ قبل وفاتهم ، فلما تُوُفُّوا مات خوفى من الدهرِ
فلله ما أعطَى ولله ما جزَى * وليس لأيام الرزيّة كالصبرِ
فحَسْبُك منهم مُوحِشًا فقدُ بِرِّهم * وحَسْبُك منهم مُسْلِيًا طلبُ الأجر

عزّى شَبيبُ بن شَيْبة رجلا من اليهود فقال : أعطاك الله على مُصيبتك أفضل ما أعطى أحدًا من أهل مِلّتك .

(١) لا يصفر : لا يخلو .

وقال العُتْبيّ :

ما عالج الحزنَ والحرارةَ فى الـ * ـأحشاءِ مَنْ لم يَمُتْ له ولدُ
جُعتُ بابنيّ ليس بينهما * إلا ليالٍ ليستْ لها عددُ
وكلُّ حزنٍ يَبْلَى على قِدمِ الـ * ـدّهرِ وحُزنى يُجدّده الأبدُ

وقال أيضا :

ألاَ يَزْجُرُ الدهرُ عنا المَنُونا * يُبَقّى البناتِ ويُفْنِى البنينَا
وأنْحَى علىّ بلا رحمةٍ * فلم يُبْقِ لى فى جُفونى جفونَا
وكنتُ أبا سبعةٍ كالبدورِ * أُفَقّى بهم أعينَ الحاسدينا
فمَرُّوا على حادثاتِ الزمان * كمَرِّ الدراهمِ بالناقدينا
فأفْنَتْهمُ واحدًا واحدًا * الى أن أبادتهمُ أجمعينا
وألْقَيْن ذاك الى ضارِحٍ (١) * وألْقَيْن هذا الى دافنينا
وما زال ذلك دَأْبَ الزما * ن يُفْنِى الأوائلَ فالأوّلينا
وحتّى بكى لىَ حُسّادُهم * فقد أقْرَحُوا بالدموعِ الجفونا
وحَسْبُك من حادثٍ بامرئٍ * تَرَى حاسديهِ له راحميا
وكانوا على ظهرها أنجُمًا * فأضْحَوْا الى بطنها يُنْقَلونا
فمن كان يُسْلِيه مَرُّ السنين * فحُزْنِى يجدّده لِى السنونا
ومما يسكّن وجدِى بهم * بأن المَنُون ستَلْقَى المنونا

كان أبو بكر رضى الله عنه إذا عزّى رجلا قال : ليس مع العزاء مصيبةٌ ولامع الجزع فائدة ؛ الموت أهون مما قبله وأشدُّ مما بعده ؛ اذكروا فقدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم تَصْغُرْ مصيبتُكم ؛ وعظّم الله أجركم .

(١) الضارح : وصف من ضرح لليت اذا حفر له .

وكان علي رضي الله عنه إذا عزّى رجلا يقول : إن تجزَعْ فأهلُ ذلك الرَّحِمُ، وإن تصبرْ ففي الله عِوَضٌ من كل فائتٍ؛ وصلى الله على محمد، وعظّم الله أجرَكم .

وقال أعرابيّ :

أيُغسل رأسي أو تَطيبُ مَشَارِبي * ووجهُك معفورٌ وأنت سَليبُ
نَسيبُك من أمسى يُناجِيك طرفُه * وليس لمن وارَى الترابُ نَسيبُ
وإني لأستحيي أخي وهو ميتٌ * كما كنتُ أستحييه وهو قريبُ

وقال أعرابيّ :

وما نحن إلا مثلُهم غيرَ أننا * ألفنا قليلًا بعدهم وتقدموا

وقال آخر :

وقد كنتُ أستعفي الإلٰه إذا اشتكى * من الأجرِ لي فيه وإن سَرَّني الأجرُ
وأجزَع أن يَنأى به بَيْنُ ليلةٍ * فكيف ببَيْن صار مِيعادَه الحشرُ

وقال آخر :

وإنّا وإخواناً لنا قد تتابعوا * لكالمغتدِي والرائحِ المتهجِّرِ

وقال سليمان الأعجميّ :

ربّ مغروسٍ يُعاش به * عَدِمتْه كفُّ مغترِسهْ
وكذاك الدهر ما تمُّه * أقربُ الأشياءِ من عُرُسِهْ

وتمثّل معاويةُ بن أبي سفيان يوما فقال :

إذا سار مَنْ خلفَ امرئٍ وأمامَه * وأَوْحش من جيرانه فهو سائرُ

وقال آخر :

وإذا قيل مات يومًا فلانٌ * راعنا ذاك ساعةً ما نُجِـيرُ
نذكُرُ الموتَ عندِ ذاكَ ونَنْسا * ه اذا غيّبته عنّا القبـورُ

وقال آخر :

تُراع من الجنائز قابلتنا * ونلهـو حين تَخْفَى ذاهباتِ
كَرَوْعةِ ثُلَّةٍ(١) لُغَـارِ سـبع * فلمـا غاب ظلّت راتعاتِ

وقال أبو نواس :

سبقونا الى الرَّحيـ * ـلِ وإنّا لبالأثَرْ

وكتب رجل الى بعض الأمراء فى تعزية : الأمير أَذْكَرُكه من أن يُذَكَّر به، وأعلَمُ بما قضاه على خلقه من أن يُدَلّ عليه، وأسلكُ لسبيل الراشدين فى التسليم لأمره والصبر على قَدَرِه والتنجُّز لوعدِه، من أن يُنَبَّه من ذلك على حظِّه، أو أن يَحْتاج معزِّيه عند حادثِ المصيبة الى أكثرَ من الدعاء فى قضاء حقّه. فزاده الله توفيقًا الى توفيقه، وأَحْضره رشدَه، وسدّد للصواب غرضَه، وتولّاه بالحُسْنى فى جميع أموره، إنه سميعٌ قريب. وقد كان من حادث قضاء الله فى المتوفّى ما أَنْقَصَ(٢) وأَرْمض، وجَعَ وأَوْجع، علما بما دخل على الأمير من النقص، وعلى سروره من اللوعة، وعلى أُنسه من الوحشة، الى ما خصّني منـه بماسّ الرَّحِم وأوشَج القَرابة. فأَعْظم اللهُ للأمير الأجر، وأَجْزل له الذُّخر، وعصَـمه باليقين، وأنجز له ما وعد الصابرين؛ ورحِم المتوفّى ولقّاه الأمنَ والرَّوْحَ، وفسَح له فى المَضْجَع، وجمَعـه(٣) وإيّاه بعد العمر الطويل فى الدار التى لا خوفَ عليهم فيها ولا هم يحزنونَ.

(١) الثلة (بالفتح) : جماعة الغنم الكثيرة، والثلة (بالضم) جماعة الناس. (٢) أنقص : أثقل وأرمض : أوجع. (٣) فى الأصل : «وجمع له وإياه».

وفى كتاب : نحن نحمدُ اللهَ أيّها الأمير إذ أُخِذ على ما أبقَى منك، وإذ[1] سلَب على ما وهَب بك؛ فأنت العِوَضُ من كل فائت، والجابرُ لكلِّ مصيبة، والمؤنِسُ من وَحْشة كلِّ فَقْد؛ وحقٌّ لمن كنت له وليًّا وعَضُدًا أن يَشْغَله حمدُ الله على النعمة بك عن الجزع على غيرك .

وكتب سعيد بن حُميد الى محمد بن عبد الله : ليس المعزّى على سلوكِ السبيل التى سَلَكها الناسُ قبله والمُضِىّ على السنّة التى سنّها صالحو السلف له ؛ وقد بلغنى ما حدث من قضاء الله فى أمر الأمير، فالنى من ألم الرَّزِيّة وفاجع المصيبة ما ينال خَدَمَه الدين يخصُّهم ما حصّه من النعم . ويتصرفون معه فيما تناوله اللهُ به من المِحَن . فأعظم الله للأمير الأجر، وأجزل له المثوبة والذخر، ولا أراه فى نعمةٍ عنده نقصا، ووفّقه عند نعم للشكر الموجب للمزيد، وعند المِحَن للصبر المحرز للثواب، إنه هو الكريم الوهاب . ورحم الله الماضيةَ رحمه مَنْ رضِىَ سعيَه وجازاه بأحسن عمله . ولو كانت السبيل الى الشخوص الى باب الأمير سهلة ، لكان الله قد أجلّ الأميرَ عن أن تعزّيه مثلى بالرسول دون اللقاء، وبالكتاب دون الشَّفَاه، ولكن الكتاب لقاءُ مَنْ لا سبيل له الى الحركة، وقبول العذر عمّن حِيل بينه وبين الواجب .

ولابن مكرم : وممّا حرّكنى للكتاب تعزيتُك بمن[2] لا ترميك الأيامُ بمثل الحادث فيه، ولا تعتاض مما كان الله جمعه لك عنده من الميل اليك والصبر على مكروه جفائك، مع ما كان اللهُ أعاره من قوة العقل وأَصالة الرأى، ومَدّ له من عِنَايه الى قُصْوَى الغايات، فإنا لله وإنا اليه راجعون على ما أفانتْنا الأيامُ منه حين تمّ واستوى، وعالَى فى المروءة وتناهى، وعند الله يُحتسب المصاب به ؛ وعظّم الله لك فيه الأجر، ومهّل لك فى العمر،

(١) فى الأصل : «إذا» .
(٢) لعله «عمن» .

وأجزل لك العوض والذُّخر. فكلّ ماضٍ من أهلك فأنت سِدَادُ ثُلْمته وجابر رزيّته. وقد خلّف من أنت أحقُّ الناس به من عجوزٍ وليتْ تربيتَك وحِيَاطتَك فى طبقات سِنّك، وولَدٍ رُبُّوا فى حِجْرك ونبتوا بين يديك، ليس لهم بعد الله مرجع سواك، ولا مَقيل إلا فى ذَرَاك؛ فأَنْشُدك اللهَ فيهم فإنه أخرب أحوالهم بعِارة مروءته، وقطَعهم بصلة فضله، والله يَجْزيه بجميل أثره ويُخْلِفه فيهم بما هو أهله.

وفى فصل من كتاب: وقد جرى قضاءُ الله فى هذه النازلة ما[1] نطق عما نالك وأبْقَى عندك، وهو حقُّ مِثْلِها وقَدْرُ مُلِمّها.

وفى فصل آخر: لو كان ما يَمسّك من أذى يُشترى أو يُفتدى، رجوتُ أن أكون غيرَ باخلٍ بما تَضَنُّ به النفوس، وأن أكون سِتْرًا بينك وبين كل مُلِمٍّ ومحذورٍ. فأَعْظم الله أجرَك، وأجْزل ذُخْرك، ولا خذَل صبرك ولا فتَنك، ولا جعل للشيطان حظًّا فيك ولا سبيلا عليك.

المدائنى قال: قدِم رجل من عَبْس، ضَريرٌ محطوم الوجه، على الوليد، فسأله عن سبب ضُرّه، فقال: بِتُّ ليلةً فى بطن وادٍ ولا أعلم على الأرض عبسيًّا يزيد مالُه على مالى، فطرَقنا سيلٌ فأذهب ما كان لى من أهلٍ ومالٍ وولدٍ إلا صبيًّا رضيعا وبعيرا صعبًا، فنَدّ[2] البعيرُ والصبيُّ معى فوضعتُه وأتْبَعْتُ البعيرَ لأحبِسه، فما جاوزتُ إلّا ورأسُ الذئب فى بطنه قد أكله، فتركتُه وأتْبعْتُ البعيرَ، فاستدار فرمَى رَمْحةً حطَم بها وجهى وأذهب عينى، فأصبحت لا ذا مالٍ ولا ذا ولد. فقال الوليد: اذهبوا به إلى عُرْوة ليعلمَ أن فى الناس من هو أعظم بلاءً منه؛ وكان عروة بن الزُّبَير أُصيب بابنٍ له وأصابه الداء الخبيث فى إحدى رجليه فقطعها، فكان يقول: كانوا أربعة —

(١) لعله: «بما». (٢) نَدّ البعير: شرد.

يعنى بنيه — فأبقيتَ ثلاثة وأخذتَ واحدا، وكُنَّ أربعا — يعنى يديه ورجليه — فأخذتَ واحدة وأبقيتَ ثلاثاً[1]. أحمَدُك، لئن كنتَ أخذت لقد أبقيت، ولئن كنتَ أبقيت لقد عافَيتَ. وشخص الى المدينة فأتاه الناس يبكون ويتوجّعون، فقال: إن كنتم تُعِدُّونَنِي للسِّباق والصِّراع فقد أَوْدَى، وإن كنتم تُعِدُّونني للّسان والجاه فقد أبقى الله خيرا كثيرا.

وقال علىّ بن الجَهْم:

مَنْ سبَق السَّلوةَ بالصبرِ * فاز بفضل الحمدِ والأجرِ
يا عَجَبًا من هَلِيعٍ جازِعٍ * يُصبح بين الذمّ والوِزْرِ
مصيبةُ الإنسان فى دِينِه أعظمُ من جائحة الدهرِ

وقال بعضُ[2] الشعراء:

ليتَ شعرِى ضَلَّةً * أىُّ شىءٍ قَتَلَكْ
والمنايا رَصَدٌ * للفتى حيث سلَكْ
كلُّ شىء قاتلٌ * حين تلقَى أجلَكْ
ليت نفسى قُدِّمتْ للمنايا بَدَلَكْ
أىُّ شىءٍ حَسَنٍ للفتى لم يَكُ لكْ

وقال آخر:

غُرَّ امرؤٌ مَنَّته نف * سُ أن تدومَ له السلامَهْ
هيهاتَ! أعيا الأوّلِي ن دواءُ دائك يادِعامه

(١) فى الأصل: «ثلاثة» باثبات التاء. (٢) كذا بالأصل. وفى شرح أشعار الحماسة (ص ٤١٤ طبعة أوروبا) أن هذه الأبيات لأم تأبط شرًا، ويقال لأم السليك بن السلكة، وأولها:

طاف يبغى نجوة * من هلاك فهلك

وذكر التبريزى فى نهاية الأبيات أنها لأم السليك وذكر لهذا خبرا.

وقالت صفيّة الباهليّة فى أختها :

كنّا كغصنين فى جُرثومةٍ(١) سَمَوَا * حِينًا بأحسن ما تسمُو له الشجرُ
حتّى إذا قيل قد طالتْ فروعُهما * وطاب قِنْواهما(٢) وآستُنْظِر الثمرُ
أخنى على واحدى ريبُ الزمانِ ولا * يُبقِى الزمانُ على شىءٍ ولا يذَرُ
كنّا كأنجمِ ليلٍ وَسْطَنا قمرٌ * يجلو الدُّجَى فهَوَى من بيننا القمرُ

ومن هذا أخذ الطائىّ قوله :

كأنّ بنى نَبْهانَ يومَ وفاته * نجومُ سماءٍ خَرّ من بينها البدرُ

وقال آخر :

لكلّ أناسٍ مقْبرٌ(٣) بفنائهم * فهم ينقُصون والقبورُ تزيدُ
وما إن يزالُ رسمُ دارٍ قد آخلقتْ * وبيتٌ لمَيْتٍ بالفناء حديدُ
هُمُ جِيرةُ الأحياءِ أمّا جِوارُهم . فدانٍ وأمّا الملتقَى فبعيدُ

وقال آخر :

لا يُبْعِد اللهُ أقوامًا لنا ذهبُوا * أفناهمُ حَدَثانُ الدهرِ والأبدُ
نَمُدُّهم كلَّ يومٍ من بقيّتنا * ولا يَؤوبُ الينا منهمُ أحدُ

وقال النابغة :

حَسْبُ الخليلَينِ أنّ الأرضَ بينهما * هذا عليها وهذا تحتها بالِى

وقال آخر :

وقد كنتُ أرجُو أن أُمَلّاكَ(٤) حِقْبةً * فحال قضاءُ الله دون رجائيَا
ألا لِيَمُتْ مَنْ شاءَ بعدَك إنما * عليك من الأقدارِ كان حِذارِيَا

(١) جرثومة الشىء : أصله . (٢) القنو : العذق وهو من النخل كالعنقود من العنب .
(٣) المقبر : موضع القبور . (٤) أملاك : أمتع بك ، يقال : ملاك الله حبيبك أى متعك به وأعاشك معه طو يلا .

وقال آخر :

لَعَمْرُك ما وارَى الترابُ فعالَهُ * ولكنه وَارَى ثيابا وأعظُما

فَضَالةُ بن شَرِيك[1] :

رمى الحدثانُ نِسوةَ آلِ حربٍ * بفادحةٍ سَمَدْنَ[2] لها سُمُودا

فردّ شعورَهنّ السودَ بيضًا * وردّ وجوهَهن البِيضَ سُودا

وقال آخر :

أمّا القبورُ فإنّهنّ أوانِسٌ * بجِوارِ قبرِك والديارُ قبورُ

عمّتْ مصيبتُه فعمّ هلاكُه * فالناسُ فيه كلُّهم مأجورُ

ردّتْ صنائعُه عليه حياتَه[3] * فكأنه من نَشْرِها منشورُ

منصور النَّمَرِيّ :

فإنْ يَكُ أفنتْه الليالي فأوشكتْ * فإنّ له ذِكرًا سيُفْنِي الليالِيَا

وقال طُفَيْلٌ يذكر الموت :

مَضَوْا سَلَفًا قصدُ السبيل عليهمُ * وصَرْفُ المنايا بالرجال تَقَلَّبُ

وقال هشام أخو ذى الرُّمَّة :

تَعَزَّيتُ عن أوفَى بغَيْلانَ بعدَه * عزاءً وجفنُ العينِ ملآنُ مُتْرَعُ

ولم تُنْسِنِي أوفَى المصيباتُ بعدَه * ولكنّ نَكْءَ[4] القَرْحِ بالقرحِ أوجعُ

(١) نسب هذا الشعر فى أمالى القالى (ج ٣ ص ١١٥ طبعة دار الكتب) للكميت بن معروف الأسدى. ونسب فى شرح أشعار الحماسة (ص ٤٢٧ طبعة أوربا) وشرح القاموس مادة سمد لعبد الله بن الزبير الأسدى.

(٢) السمود : الغفلة وذهاب القلب ومنه قوله تعالى : (وأنتم سامدون) أو هو تغير الوجه من الحزن كأنه أصابها السماد . وقيل معناه وهن رءوسهن يخمن .

(٣) كذا فى نهاية الأرب (ج ٥ ص ١٧٨ طبع دار الكتب المصرية) وهو الذى يستقيم به معنى الشعر . وفى الأصل : «إلى» .

(٤) النكء : مصدر نكأ القرحة اذا قشرها قبل أن تبرأ فتدمى .

وفى فصل من كتاب لبعض الكتّاب : لست أحتاج مع علمك بما فى الصبر عند نازل المصيبة من الفضيلة، وما فى الشكر عن[1] حادث النعمة من الحظ، الى أكثر من الدعاء فى قضاء الحقّين، ولا إلى إخبارك عمّا أنا عليه من الارتماض[2] لضرائك والجذل بسرائك، لمعرفتك بشركتى لك واتصال حالك بى فى الأمرين .

التهانى

حدّثنى زيد بن أخزم[3] قال حدّثنا أبو قتيبة قال حدّثنا ميمون [قال] حدّثنا أبو عبد الله النّاجى قال : كنت عند الحسن، فقال رجل : ليهنئك الفارس، فقال : لعله يكون بغالا[4] . ولكن قل : شكرتَ الواهبَ، وبُورك لك فى الموهوب، وبلغ أشدّه ورزقت برّه .

قال مجاهد : كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اذا دعا لمتزوّج قال : "على يمن والسعادة والطير الصالح والرزق الواسع والمودّة عند الرحم" .

قال أبو الأسود لرجل يهنئه بتزويج : باليمن والبركة، شدّة الحركة، اطعم [illegible] .

وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ينهى أن يقال : « بالرفاء والبنين » .

وكان يقال : إن أوّل من هنّأ وعزّى فى مقام واحد عطاء بن أبى صيفىّ الثّقفىّ، عزّى يزيد بن معاوية بأبيه وهنّأه بالخلافة، ففتح للناس باب الكلام، فقال : أصبحتَ رُزِئتَ خليفةً وأعطيتَ خلافة الله، قضى معاويةُ نحبه، فغفر الله ذنبه، وولِيتَ الرياسة، وكنتَ أحقّ بالسياسة، فاحتسبْ عند الله أعظم الرزيّة، واشكر الله على أعظم العطيّة . وعظّم اللهُ فى أمير المؤمنين أجرَك، وأحسن على خلافته عونك .

وقالت أعرابيّة للمنصور فى طريق مكة بعد وفاة أبى العبّاس : أعظم الله أجرك فى أخيك، لا مصيبةَ على الأمة أعظمُ من مصيبتك، ولا عِوَضَ لها أعظمُ من خلافتك .

(١) لعله : « عند » . (٢) الارتماض : الحزن . (٣) أخزم بمعجمتين .
(٤) البغال : راكب البغال، والبغال تعجز عن شأو الأفراس .

قال الحجّاج لأيّوبَ بن القِرِّيّة: اخطُبْ عليّ هندَ بنتَ أسماء، ولا تَزِدْ على ثلاث كلمات. فأتاهم فقال: أتيتُكم من عند مَنْ تعلمون، والأميرُ معطيكم ما تسألون، أفتُنْكِحون أم تَرُدّون؟ (١) قالوا: بل أنكحْنا وأنعمْنا. فرجع ابنُ القِرِّيّة الى الحجّاج فقال: أقرّ الله عينَك، وجمع شملَك، وأنبت رَيْعَك، على الثبات والنبات، والغنى حتى الممات، جعلها الله وَدُودا وَلُودا، وجمع بينكما على البركة والخير.

كتب بعضُ الكتّاب إلى رجل يهنئه بدار انتقل إليها: بخير مُنتَقِل، وعلى أيمن طائر، ولأحسنِ إبّان، أنزلك الله عاجلًا وآجلًا خيرَ منازلِ المُفلحين.

وقال ابن الرَّقاع لمتزوج:

قُرِ السماءُ وشمسُها اجتمعا * بالسَّعدِ ما غابا وما طَلَعَا
ما وارتِ الأستارُ مثلَهما * فيمن رأيناه ومَنْ سَمِعَا
دام السُّرورُ له بها ولها * وتهنّأا طولَ الحياةِ معًا

وكتب رجل الى صديق له يهنئه بالدخول على أهله: قد بلغني ما هيّأ الله لك من اجتماعِ الشَّمْل، بضَمّ الأهل، فشَرِكْتُك في النعمة، وكنتُ أسوتَك في السرور، وشاهدتُك بقلبي، ومثّلتُ ما أنت فيه لعيني، فخَلَلتُ بذلك محلَّ المُعايِن للحال وزينتها، فهنيئًا هَنَاك الله ما قَسَم لك، و بالرِّفاءِ والبنين، وعلى طول التعمير والسنين.

وكتب آخرُ من الكتّاب الى عامل: بحسب من السرور، بما قد استفاض من جميل أثرك في تَلِي من أعمالك، وخَطْيك وزَمّك إيّاها بحَزْمِك وعَزْمِك، وآنتياشك أهلَها من جور مَنْ وليهم قَبْلَك، وسرورِهم بتطاوُل أيّامك والكونِ في ظلّ جَناحك، في غايةِ مَنْ تخصّه ونُعْمَه نِعَمُك، وتَجْوَل به الحال حيث جالت بك. فالحمد لله الذي جعل العاقبةَ لك، ولم يَرُدّ علينا آمالَنا منكوسةً فيك، كما ردّها على غيرنا في غيرك. وهنيئًا هَنَاك الله نعمَه خاصّها وعامّها، وأوزَعَك شكرَها، وأوجب لك بالشكر أحسنَ المزيدِ فيها.

(١) في الأصل: «أو تردون» والمقام هنا يقتضي «أم» المتصلة.

وكتب رجلٌ من الكتّاب إلى نَصْرانىّ قد أسلم يهنئه : الحمدُ لله الذى أرشَدَ أمرَك ، وخصّ بالتوفيق عزمَك ، وأوضح فضيلةَ عقلك ، ورَجاحةَ رأيك ؛ فما كانت الآدابُ التى حويتَها ، والمعرفةُ التى أُوتيتَها ؛ لتدوم بك على غوايةٍ وديانةٍ شائنةٍ لا تليق بلُبّك ، ولا يبرَح ذوُو الحجا من موجبى حقّك يُنكرون إبطاءَك عن حظّك وتركَكَ البدارَ الى الدّين القيِّم الذى لا يقبَـل الله غيرَه ولا يُثيب إلا به ، فقال : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ ، وقال : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ . والحمد لله الذى جعلك فى سابق علمه ممن هَدَاه لدينه ، وجعله من أهل وِلَايته ، وشرّفه بوَلَاء خليفته . وهنأك الله نعمتَه ، وأعانك على شكره ؛ فقد أصبحتَ لنـا أخًا نَدين بمودّته ومُوالاته بعد التأثُّم من خُلْطتك ومخالفةِ الحقّ بمشايعتك ؛ فإنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ او إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ .

وكتب رجلٌ من الكتّاب تهنئةً بحجّ : الحمدُ لله على تَمـام مُهَاجَرِكَ ، وسلامة بَدْأتك ورَجْعتك ، وإعظامه المِنّةَ بأوْبتك ؛ وشكر الله سعيَك ، وبَرّ حَجّك ، وتقبّل نُسكك ؛ وجعلك ممن قلبه مُفْلِحا مُنجِحا ، قد رَبِحتْ صفقتُه ، ولم تَبُرْ تجارتُه ، ولا أعدمَك نيّةً تفضُلُ عملَك ، وتوفيقًا يَحُوط دِينَك ، وشكرا يرتبط نعمتك ؛ فهنّأكم الله النعمةَ ، وجمعكم فى دار الخلافة ، وجعلكم ساسةَ الامّة والمتقدّمين عند الإمام — أيده الله بالطاعة والنصيحة — فإنكم زَيْنُ السلطان ، وعُمْدةُ الإخوان ، وأضدادُ أكثر أهلِ الزمان .

وكتب الى رجلٍ عن صديق له يهنّئه بفِطام مولود : أنا — أعزّك الله — لمّـا حَمّلنى الله من أياديك ، وأودعنى من إحسانك ، وألزمنى من شكرك ، آخذ نفسى بمراعاة أمورك ، وتفقُّد أحوالك ، وتَعَرُّف كلّ ما يُحدثه الله عندك ، لأقابله بما يَلْزمنى ، وأقضى

الحقّ فيه عنّى بمَبْلَغ الوُسْع ومقدارِ الطاقة، و إن كانا لا يبلُغان واجبَك، ولا يستقِلّان بثقْـل عارفتك . وكلُّ ما نَقَّل الله الفتى [و]بلّغه من أحوال البـلوغ ورقّاه فيه من درجات النموّ، فنعمةٌ من الله حادثةٌ تُلزِم الشكرَ، وحقٌّ يجب قضاؤه بالنهنئة. وكتب الىّ وكيلى المقيمُ ببابك يذكر ما وهبه الله من سلامته عند الفِطَام، وصَلَاح جسمه عند الطعام، وسَلْوته عن أوّل الغذاء، وسروِرك ومنْ بليك بما وهب الله فى هـذه الحال من عافيته وحسنِ المدافعة عنـه ؛ فأكثرتُ لله الحمـدَ . وأسهبتُ فى الدعاء والرغبة، وتصدّقت عنه بمـا أرجو أن يتقبّله ؛ وكتبت مهنئا بتجدّد النعمة عنـدكم فيه . فالحمدُ لله المتطوِّلِ علينا قِبَلَه بمـا هو أهله ، والمُجْرِى لنا فيما يُولِيك على حسن عادته . وهَنَأك الله النعم، وصانها عندك من الغِيَر، وحرَسها بالشكر، و بلّغ بالفتى أقصى مبالغ الشرف، وجعلك من الأمل فيه والرجاء له على العيان واليقين، بمنّه وفضله .

وكتب بعض الكتّاب تهنئةً بحجّ الى صاحبه : الحقُّ للسادة عند ما يجدّده اللهُ لهم من نعمه فى الدعاء، من جلائل حقوقهـم على أوليائهـم. وقد خصّ اللهُ حفّـك بما لا يَسَعُنى معه ٱدّخارُ مجهودٍ فى تعظيمه وشـكره . ولولا أنّ الطاعة من حدوده، لم أنتظر إذنَك لى فى تلقّيك راجلًا بالأوْبة، إذ كان الكتابُ بها دون السـعى بأبلغ نصيبٍ من التقصير. وأنا أسأل الله الذى أوفدك الى بيته الحرام، وعمّر بك مَشَاهِدَه العِظَام، وأوردك حَرَمَه سالمـا، وأصدرك عنه غانما ؛ ومنّ بك على أوليائك وخدمك، أن يَهْنِئَك بمـا أنعم به عليك فى بَدْأتك ورَجْعتك ؛ بتقبُّل السـعى ونُجْح الطِّلبـة وتعريف الإجابة .

وكتب بعض الكتّاب تهنئةً بولاية : فإنه ليس من نعمةٍ يحدّثها الله عندك ، والصنعُ الجميـلُ تُحدثه لك الأيّام، إلّا كان ٱرتياحى له وٱستبشارى به وٱعتـدادى بما يَهَب الله لك من ذلك، حَسَبَ حقّك الذى توجبه، و بِرّك الذى أشكره، و إخائك

الذى يَعِزّ ويَجِلّ عندى موقعُه؛ بجعل الله ذلك فيه وله، ووصَله بتقواه وطاعته. وبلغنى خبرُ الولاية التى وَلِيتَها، فكنتُ شريكَك فى السرور وعديلَك فى الارتياح، فسألت الله أن يُعرِّفك يُمْنَها وبركتَها، ويرزُقك خيرَها وعادتَها، ويُحسنَ معونتَك على صالح نِيَّتك فى الإحسان إلى أهل عملك والتألُّف لهم، واستعمالِ العدل فيهم، ويرزقَك محبتهم وطاعتهم، ويجعلهم خيرَ رعيّة.

وكتب رجلٌ الى معزول: إن أكثرَ الخير(١) فيما يقع بكُرْه العباد. لقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾. وقال أيضا: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. وعندك بحمد الله من المعرفة بتصاريف الأمور، والاستدلال بما كان منها على مايكون، مَغْنًى عن الإكثار فى القول. وقد بلغنى انصرافُك عن العمل على الحال التى انصرفتَ عليها من رضا رعيّتك ومحبّتهم وحسنِ ثنائهم وقولهم، لِمَا(٢) بقّيتَ من الأثر الجميل عند صغيرهم وكبيرهم. وخلّفت من عَدْلك وحسنِ سيرتك فى الدانى منهم والقاصى من بلدهم؛ فكانت نعمةُ الله عليك فى ذلك وعلينا، نعمةً جلّ قدرُها ووجب شكرُها. والحمدُ لله على ما أعطاك، ومَنَح فيك أولياءك وأرغم به أعداءك، ومكّن لك من الحال عند مَنْ ولّاك؛ فقد أصبحنا نعتدّ صَرْفَك عن عملك مَنّا(٣) مجدّدا، يجب به تبتُّلك، كما يجب التوجُّعُ لغيرك.

وكتب رجلٌ من الكتّاب فى تهنئة بحجّ: لولا أنّ عوائقَ أشغالٍ يوجبُ العذرَ بها تفضُّلُك ويَبْسُطه احتمالُك، لكنتُ مكانَ كتابى هذا مهنّئا لك بالأوْبة، ومجدّدًا

(١) فى الأصل: «الحار». (٢) فى الأصل: «ما بقيت» (٣) بالأصل: «معه» بالعين المهملة.

بك عهدًا، ومُحييًا نفسى بالنظر اليك. وأنا أسأل اللهَ أن يشكُر سعيَك، ويتقبّلَ حجَّك، ويُثيبَك فى علّيين أثرَك، ولا يجعله من الوِفادةِ اليه آخرَ عهدِك .

وكتب بعض الكتّاب : لا مُهنِّئَ أولَى ما يكون مهنّئا، تعظيمًا لِنعَمه فيما جدّد الله لك يامولاى بالولاية منّى، إذ كنتُ أرجو بها انضمامَ نَشرى، وتَلافِىَ اللهِ بعنايتك المتشتّتَ من أمرى . فهنّأك الله تجدُّدَ النعم، وبارك لك فى الوِلاية، وافتتحها لك بالصُّنع الجميل، وختَمها لك بالسلامة، إنه سميع قريب .

باب شِرار الإخوان

ذكر خالدُ[1] بنَ صفوان شَبيبُ بن شيبة فقال : ذاك رجلٌ ليس له صديقٌ فى السرّ ولا عدوٌّ فى العلانيَة .

وقال الشاعر :

وإنّ من الخُلّان مَنْ تَشْحَطُ النَّوَى . به وهو داعٍ للوِصالِ أمينُ
ومنهم صديقُ العينِ أمّا لِقاؤُه * فخُلْوٌ وأمّا غَيْبُه فظَنُونُ[2]

أقبل عُيَينة بن حِصْن الى المدينة قبل إسلامه، فلقيه ركبٌ خارجون منها، فقال : أخبرونى عن هذا الرجل (يعنى النبىَّ صلّى الله عليه وسلّم)، فقالوا : الناسُ فيه ثلاثةُ رجال : رجل أسلم فهو معه يقاتل قريشًا وأفناءَ[3] العرب، ورجل لم يُسلم فهو يقاتله، ورجل يُظهر الإسلامَ إذا لقى أصحابَه ويُظهر لقريش أنه معهم اذا لقيهم، فقال : ما يسمّى هؤلاء؟ قالوا : المنافقون، قال : فأشهدوا أنّى منهم، فما فيمن وَصَفْتُم أحزمُ من هؤلاء .

(١) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢٣٨) : « وسئل شبيب بن شيبة عن خالد بن صفوان فقال : ذاك رجل الخ »، وهى تزيد الضبط الذى أثبتناه .
(٢) ظنون : لا يوثق به .
(٣) أفناء العرب : أخلاطهم المتزاعون من هاهنا وهاهنا ولا يُدرى من أىّ القبائل هم .

وكان رجل يدعو فيقول: اللّهم آكفِنى بوائقَ الثّقاتِ، وآحفَظْنى من الصّديق.

وكتب رجلٌ على باب داره: جَزَى الله مَنْ لا يعرِفنا ولا نَعرفه خيراً، فأمّا أصدقاؤنا فلا جُرُوا ذلك، فإنّا لم نؤتَ قطّ إلا منهم.

وكتب إبراهيم بن العبّاس الى محمد بن عبد الملك الزّيات:

وكنتَ أخى بإخاء الزمانِ * فلما نَبَا صِرتَ حربًا عَوانَا
وقد كنتُ أشكو اليك الزمانَ * فأصبحتُ فيك أذُمُّ الزمانا
وكنت أُعِدُّك للنائبات * فهأنا أطلبُ منك الأمانا

وقال محمد بن مهدىّ:

كانَ صديق وكان خالصتي * أيّامَ نجرِى مَجارِىَ السُّوَقِ
حتى اذا راحَ والملوكَ معا * عَدَ آطّراحِى من صالحِ الخُلُقِ
خَلّيتُ ثوب الفِراقِ فى يده * وقلتُ هذا الوداعُ فانطلِق
لَبِستُه لِبْسةَ الحديدِ على الـ * ـقُرِّ وفارقتُ فُرْقةَ الحَلَقِ

وقال آخر:

إذا رأيتَ آمرأً فى حال عُسرتِهِ * مُواصِلًا لك ما فى وُدّه خَلَلُ
فلا تَمَنَّ له أنْ يستفيدَ غِنًى * فإنه بانتقال الحالِ ينتقلُ

وكتب رجلٌ الى صديق أعرض عنه: لولا أنّى أشفقتُ من أشتات ظنى [فى] إجابتك إلى ما يعلم الله براءتى منه فيك ولك لمعجبك(١) ولكفيتك مُؤنتى، ثقةً بأنّ آزديادَك من معرفة الناس سترُدّك إلىّ؛ فان رجعتَ قَبِلتُ وتمسّكتُ وآغتبطتُ، وإن أصررتَ لم أتبَعْ مُوَلِّيا، ولم آسَ على مُدْبِر، ولم أسامح نفسى على تعلّقها بك،

(١) كذا بالأصل ولم نوفق الى هذا الكتاب فى مصدر آخر بعد طول البحث عنه فى مظانّه.

ولم أُساعِدْها على نِزاعها اليك . فكم من زمانٍ تركتُك فيه وسَوْمَك ثم أبى قلبي ذلك ، فكررتُ وعطفتُ أسَى على أيّامى معـك وما تَوَكَّد بينى و بينـك . وما من كَرّةٍ لى اليك إلا وهى داعيةٌ إلى ما أكرَهُه من آستخفافك ونُفورك . ولو فهمتَ ما آستحققتُ به عليك ما أشكوه لخَفّ تَحَمُّلُ ما يكون منك علىّ ولا جعلت[1] فى عتبك و رضاك .

وفى جواب كتابٍ : وقـد وزَعنى ما ضربتَه لى من الأمثال فى كتابك عن آستبطائك . على أنى لا أستزيد إلا من أحتاج الى صَلاحه وأرغب فى بقيّته ؛ وقد قيـــل :

يَأْبَيْنَ إلا جفـــوةً وظلمًا * من كثرة الوصل تَجَنِّى[2] الجُرْمَا

وفى كل ما أجبتنى ظلمت فى معارضتى عن مَسْخى جوابَك بإيحاشى ، وفى اعتدادك علىّ بما أنت جانيه وعليك الحجة فيه . وما أُنكر الخِلافَ بين الأب وآبنه والأخ وشقيقه اذا وقعت المعاملة ، ولذلك سبب لا أعرفه بينى و بينـك قطّ ، فإنى لم أُخالقـك ولم أشاحّكَ ولم أنازعكَ ولم أعارض نعمكَ بِلًا ولا أمرَك بنهى .

وقال الحسن بن وَهْب :

سأُكرِمُ نفسى عنك حَسْبَ إهانتى * لهـا فيك إذ قَرّت وكفّ نِزاعُها
هى النّفسُ ما كلّفتُها قطُّ حُطّـةً * من الأمر إلا قلّ منـه امتناعُها
صدَقت لعمرى أنتَ أكبرُ همِّها * فأجهَـدُها إذ قلّ منـك آنتفاعُها
هَبَ أنّى أعمى فاتنى الشمسُ طَرْفَه * وغُيِّبَ عنـه نورُها وشُـعاعُها

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

رأيتُ فُضَـيلًا كان شيئًا مُلفّقًا * فكشّـفه التمحيصُ حتى بَدَا لِيَـا

(١) كذا بالأصل . (٢) أصله تجنى حذفت إحدى تائيه .

وقال آخر :

لَعَمْـــرُكَ ما وُدُّ اللسان بنـافعٍ * إذا لم يكن أصلُ المودّه فى القلب

وقال أبو حارِثة المَدَنىّ : ليس لمملولٍ صديقٌ، ولا لحسودٍ غِنًى، والنظرُ فى العواقب تلقيح العقول .

قال العباس بن الأحْنَف :

أشكو الذين أذاقونى مودّتَهم * حتى اذا أيْقظونى فى الهوى رقدوا

واستنهضونى فلمّا قمتُ مُنتَهِضًا * بِثِقْلِ (١) ما حمّلونى فى الهـوى قعدوا

ونحوه قول المجنون :

وأدْنَيْتِنى حـــتى إذا ما سَبَيْتِنى * بقَوْلٍ يُحِلُّ العُصْمَ (٢) سهلَ الأباطِحِ

تجافيتِ عنّى حين لا لِىَ حِيـلةٌ * وخلّفتِ ما خلّفتِ بين الجوانح

وقال آخر :

ولا خـــير فى وُدّ إذا لم يكن له * على طول صَدّ الحادثات بقـاءُ

وأنشد ابنُ الأعرابىّ :

لحا الله مَن لا ينفع الودُّ عنـــده * ومَن حبلُه إن مُدّ غيرُ متين

ومن هو إن يُحدِثْ له الغيرُ نظرةً * يُقطِّعْ بها أسباب كلّ قرين

---

(١) فى الأصل : « لثقل » باللام وليس هذا مقامها ، وفى رواية الديوان :

واستنهضونى فلما قمت منتصبا * بثقل ما حملوا من ودّهم قعدوا

(٢) العصم : جمع أعصم ، والأعصم من الظباء والوعول : ما فى ذراعيه أو فى أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر . (٣) نسب القالى فى أماليه (ج ٢ ص ٢٢٨ طبعة دار الكتب المصرية) هذين البيتين لكثير ، وقد نسبهما أبو الفرج فى الأغانى (ج ٢ ص ٩٠ طبعة دار الكتب) للمجنون .

ويقال : صاحب السوء جذوةٌ من النار .

وقال علىّ عليه السلام : " لا تؤاخ الفاجر فإنه يزيّن لك فعله ويحبّ لو أنك مثلُه ويزيّن لك أسوأ خِصاله ، ومَدْخَلُه عليك ومَخْرَجُه من عندك شَيْن وعار . ولا الأحمقَ فإنه يجتهد بنفسه لك ولا ينفعك وربما أراد أن ينفعك فيضرُّك ، فسكوتُه خيرٌ من نطقه ، وبعدُه خير من قُربه ، وموته خير من حياته . ولا الكذّابَ فإنه لا ينفعك معه عيش ، يَنقُل حديثَك وينقل الحديثَ إليك حتى إنه ليحدِّث بالصدق فما يُصَدَّق " .

قال أبو قَبِيل : أَسِرتُ ببلاد الروم فأَصبتُ على ركن من أركانها :

ولا تَصْحَبْ أخا الجهل * وإيّاك وإيّـــاهُ
فكم من جاهـــل أَرْدَى * حليماً حين آخاهُ
يُقَاسُ المرءُ بالمـــرء * إذا ما هـــو مَاشَاهُ
وللشيء عـــلى الشيء * مقـايِيسٌ وأشـــباهُ
وللقلب عـــلى القلب * دليلٌ حينَ يلقـاهُ

وقال عَدِىّ بن زيد :

عن المرء لا تسأل وأبْصِرْ قرينَه[1] * فإنّ القرينَ بالمُقارن مقتـــدِى

وأنشد الرِّياشىّ :

إن كنتَ لا تَصْحَب إلا تقيّ * مثـــلَك لم تُوتَ بأمثـالِكَا

(١) ورد هذا البيت فى حماسة البحترى (ص ٣٠٧ طبعة أوروبا) بلفظ : « وسل عن قرينه » وكتب بهامشه : « ح : وأبصر قرينه » إشارة الى نسخة أخرى . وورد فى ديوان طرفة بن العبد (ص ١٥٣ طبع مدينة شالون سنة ١٩٠٠م) ضمن الأبيات المنسوبة اليه والراجح أنه لعدىّ بن زيد ، من داليته المشهورة ، وهى من مجمهرات أشعار العرب التى ذكرها أبو زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى فى كتابه « جمهرة أشعار العرب » (ص ١٠٢ طبعة بولاق) ومطلعها :

أتعرف رسم الدار من أمّ معبد * نعم ورماك الشوق قبل التجلد

إنّ لك الفضـــلَ على صُحْبتى * والمسكُ قد يَسْتَصْحِب الرّامِكا[1]
هَبْنِى امرأً جئتُ أريد الهدى * فجُـــدْ على ضَعْفى بإسلامكا

وكتب يحيى بن خالد : أُحبّ أن تكونَ على يقين أنّى بك ضَنين ، أُريدك ما أردتَنى ، وأُريدك أن تنوبَ عنّى ما كان ذلك بى وبك جميلا يَحْسُن عند إخواننا ، وإن وقعت المقاديرُ بخلاف ذلك لم أعْدُ ما يجب . والذى هاجنى على الكتاب أنّ أبا نوح معروفَ بن راشد سألنى أن أبوح له بما عندى ، والله يعلم أنّى ما تبدّلت وما حُلْتُ عن عهد ، جمَعنا الله وإيّاك على طاعته ومحبّة خليفته .

وقرأتُ فى كتاب للهند : ثِقْ بذى العقل والكرم واطمئنّ إليه ، وواصل العاقل غيرَ ذى الكرم ، واحترس من سيّئ أخلاقه وانتفع بعقله ؛ وواصل الكريم غير ذى العقل[2] وانتفع بكرمه وانفعه بعقلك ؛ واهرُب من اللئيم الأحمق .

وقال حمّاد عجرد :

كَمْ من أخ لك لستَ تُنكِرُه * ما دمتَ من دنياك فى يُسْر
مُتَصنِّع لك فى مَوَدّته * يَلْقاك بالترحيب والبِشْر
يُطْرِى[3] الوَفاءَ وذا الوفاء ويَلْـ * ـحَى الغَدْر مجتهدا وذا الغدر
فإذا عدا ، والدهرُ ذو غِيَر ، * دهرٌ عليك عَدَا مع الدهر
فارفُضْ بإجمالٍ أُخُوّةَ[4] مَنْ يَقْلِى المُقِلّ ويَعْشَقُ المُثْرِى
وعليك مَنْ حالاه واحدةٌ فى العُسر إمّا كنتَ واليسر
لا تَخْلِطنّهمُ بغيرهم من يَخْلِطُ العِقْيانَ بالصُّفْر[5]!

(١) الرامك : شىء أسود كالقار يخلط بالمسك . (٢) فى الأصل : « لعاقل » وهو تحريف . (٣) كذا فى الأغانى (ج ١٣ ص ٩٠) . وفى الأصل : « يطوى » وهو تحريف . (٤) فى الأغانى (ج ١٣ ص ٩٠) : « مودّة » . (٥) الصفر : النحاس الأصفر .

وقال سُوَيْدُ[1] بن الصامت :

ألَا رُبَّ مَن تدعُو صديقا ولو تَرى ... مقالتَه بالغَيْبِ ساءَك ما يَفْرى
مَقالتُه كالشَّحْم ما كان شاهِدا * وبالغيب مأثورٌ[2] على ثُغْرة النَّحْرِ
تُبِينُ لك العُيْان ما هو كاتِمٌ ... من الضِّغْن والشَّحْناء بالنَّظَر الشَّزْرِ[3]
فَرُشْنِي بخيرٍ طالَما قد بَرَيْتَنِي * وخيرُ الموالى من يَرِيش ولا يَبْرِى

وقال آخر :

وصاحب كان لى وكنتُ له * أَشْفَقَ من والدٍ على وَلَدِ
كَمَا كساقٍ تَسْعى بها قَدَمٌ * أو كَذِرَاعٍ نِيطتْ الى عَضُدِ
حتى اذا دانتِ[4] الحوادثُ من * خَطْوى وحَلَّ الزمانُ من عُقَدِى
اِحْوَلَّ عنّى وكان ينظر من * عَيْنى ويَرْمى بساعِدى ويَدى
وكان لى مُؤنسا وكنتُ له * ليست بنا وَحْشة الى أحدِ
حتى إذا آسترفَدَتْ يدى يَدَه * كنتُ كمسترفِدٍ يَدَ الأسدِ

وقال بعض الأعراب :

إخوانُ هذا الزمان كُلُّهمُ * إخوانُ غَدْرٍ عليه قد جُبِلوا
طَوَوْا ثيابَ الوفاء بينهمُ * وصار ثوبُ الرِّياء يُبْتَذَلُ[5]
أخوهم المستحِقُّ وَصْلَهمُ * مَن شربوا عنده ومَن أكلوا
وليس فيما عَلِمْتُ بينهم * وبين مَن كان مُعْدِما عَمَلُ

(١) ذكر اللسان فى مادة «نشر» هذه الأبيات مع أبيات أخرى من القصيدة ونسبها لنمير بن حباب .
(٢) كذا فى اللسان ، والمأثور : الذى يؤثر عنه شرّ ، تهمة ، وفى الأصل : « مأمون » وهو تحريف ؛ وثغرة النحر : نقرته ؛ يريد أنه يطعنه فى جيبه . (٣) كذا ورد هذا الشطر فى اللسان . وفى الأصل ورد هكذا : * ولاحى البغضاء والنظر الشزر * (٤) دانت : قاربت . (٥) يبتذل : يلبس كثيرا ، ومنه البذلة والمبتذلة من الثياب : ما يلبس ويمتهن ولا يصان .

قال رجل لآخر : بلغنى عنك أمرٌ قبيح ، فقال : يا هذا ، إنّ صُحْبـة الأشرار ربمـا أورثت سوءَ ظنٍّ بالأخيار .

وقال دِعْبِل :

أبا مُسْـلم (١) كنّا حَلِيفَىْ مودّة * هَوَانَا وقَلْبَـانَا جميعا معًا مَعَـا
أحوطُك بالوُدّ الذى لا تَحُوطُنى * وأرأبُ منك الشّعبَ أن يتصدّعَا
فلا تَلْحَيَنّى لم أجد فيك حِيلةً * تَخَرَّقتَ حتى لم أجد فيك مَرْقَعَا
فهَبْك يمينى آستا كلتْ (٢) فآحتسبتُها (٣) * وجشّمتُ قلبى قطعها (٤) فتخشّعا

وقال يزيد بن الحكم الثّقفىّ :

تُكَاشِرُنى (٥) كُشْرًا كأنّك ناصحٌ * وعينُك تُبْدِى أنّ قلبَك لى دَوِى (٦)
لِسـانُك مَاذِىٌّ (٧) وقلبـك عَلْقَمٌ * وشَرُّك مبسوطٌ وخيرُك مُنْطَوِى (٨)
عَدُوُّك يَخْشَى صَوْلتى إن لَقِيتُـه * وأنت عدوّى ليس ذاك بمستوِى (٩)
أراكَ إذا لم أهوَ أمرًا هَوِيتَـه * ولستَ لمـا أهوَى من الأمر بالهَوِى

---

(١) كذا بالأصل . وفى الأغانى (ج ١٨ ص ١٤٧) : « أبا مخلد » . (٢) كذا بالأصل ولم نجد هـذه الصيغة فى كتب اللغة الا بمعنى استأكل الشىء طلب منه أن يأكله ، والمستأكلة : الذين يأخذون أموال الضعفاء كاليتامى و يعيشون عليها ، والظاهر أن المراد هنا فى الشـعر أكل يده ، والصيغة الدالة على هذا المعنى فى كتب اللغة هى ائتكل وتأكل . (٣) فى الأغانى طبع بولاق ج ١٨ ص ٤٧ : « فقطعتها » . (٤) فى الأغانى : * وجشمت قلبى صبرة فتشجعا .

(٥) تكاشرنى : تضاحكنى من قولهم : كشر عن أسنانه اذا كشف عنها . (٦) دوٍ : مُضطغنٌ .

(٧) الماذىّ : العسل الأبيض . (٨) كذا فى الأمالى ج ١ ص ٦٨ طبع دار الكتب وروايةالبيت فيه :

لسانك ماذىّ وغيبك علقم * وشرّك مبسوط وخيرك منطوى

(٩) وفى الأصل : « ملتوى » : روى هذا البيت فى حماسة البحترىّ :

تـــودّ عـــدوّى ثم تزعم أننى * صديقك ليس الفعل منك بمستوى

أراكَ اجْتَوَيْتَ الخير منّى واجْتَوِى * أذاكَ فكُلٌّ يجتوى قُرْبَ مُجْتَوِى[1]
وكم مَوْطِنٍ لَوْلاىَ طِحْتَ كما هَوَى * بأجرامِهِ من قُلَّةِ[3] النِّيقِ مُنْهَوِى[2]

ويقال : إيّاك ومَن مَوَدّتُه على قَدْر حاجته فعند ذَهابِ الحاجة ذَهاب المودّة .

وقال الحكيم : ثلاثة لا يُعرَفون إلا فى ثلاثة مواطن : لا يُعرَف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا فى الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه .

قال جرير :

فأنت[4] أخى ما لم تكن لِىَ حاجةٌ * فإن عَرَضَتْ أيقنتُ أن لا أخا لِيا
تَعَرَّضتُ فاسْتَمَرَرْتَ من دون حاجتى * فذاكَ إنى مستمرٌّ لِحالِيا
وإنّى لَمَغْرورٌ أُعلَّل بالمُنَى * ليالِىَ أرجو أنّ مالكَ مالِيا
بأىّ نِجادٍ[5] تحمِلُ السيفَ بعدما * نزعتَ سِنانا من قَناتِكَ ماضِيا
ألالا تخافا نَبْوَتِى فى مُلِمَّةٍ * وخافا المنايا أن تفوتَكُما بِيا[6]

(١) المجتوى : الكاره .
(٢) كذا فى أمالى القالى . وفى الأصل : «لولاك» .
(٣) القلة : أعلى الجبل ، والنيق : أرفع موضع فيه .
(٤) روى هذا البيت فى النقائض ص ١٧٧ طبع أوروبا :

فأنت أبى ما لم تكن لى حاجة * فإن عرضت فإنى لا أباليا

وهو من قصيدة طويلة مذكورة فى النقائض بين جرير والفرزدق مطلعها :

ألا حىّ رهبى ثم حىّ المطاليا * فقد كان مأنوسا فأصبح خاليا

وقد ذكر المؤلف هذا البيت فيما تقدّم من هذا الجزء ص ٧٥ لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر كما ذكر فى كثير من كتب الأدب مثل الكامل للمبرد والعقد الفريد وزهر الآداب ضمن شعر مطلعه :

رأيت فصيلا كان شيئا ملفقا * فكشّفه التمحيص حتى بدا ليا

(٥) النجاد : حامل السيف ، وقد ورد هذا الشعر فى الأغانى (ج ٧ ص ٥٢) والنقائض (ص ١٧٧) هكذا :

بأى نجاد تحمل السيف بعدما * قطعت القوى من مجمل كان باقيا
بأىّ سنان تطعن القوم بعدما * نزعت سنانا من قناتك ماضيا

(٦) يقول : لا تخافا أن أنبو عنكما إن ألمّت بكما ملمة ما عشت وخافا ذلك منّى اذا مت (راجع كتاب النقائض ص ١٧٨) .

وقال أبو العَتَاهِيَة :

أنتَ ما ٱستغنيتَ عن صا * حبـك الدّهرَ أخُـوهُ
فإذا ٱحتجتَ إليـه * ساعـةً عجّـلَ قُـوهُ

وقال آخر :

مَوَالينـا إذا ٱفتقَروا إلينـا * وإن أثْرَوْا فليس لنا مَوَالِي

والعرب تقول فيمن شَرِكَك فى النِّعْمة وخَذَلَك عند النائبة : يَرْبِضُ (١) حَجْرَةً ويَرْبِضُ وَسَطًـا .

قال المـدائنىّ : لحن الحجاجُ يوما ، فقال الناس : لحن الأمرُ . وأخبره بعض مَن حضر، فتمثّل بشعر قَعْنَب بن أمّ صاحب :

صُمٌّ إذا سَمِعـوا خيرا ذُكِرْتُ به * وإن ذُكِرت بسُوء عندهم أذُنُوا (٢)
فَطَانَةٌ فَطَنوها لو تكون لهم * مروءه أو تُقًى لله ما فَطُنُـوا
إن يسمعوا سَيِّئا طاروا به فَرَحًا . منّى وما سمعو من صالح دفنُـو

باب القرابات والولد

حدّثنى زَيْد بن أَخْرَم قال حدّثنا أبو داود قال حدّثنا إسحاق بن سَعيد القُرشى من ولد سعيد بن العاص قال أخبرنى أبى قال : كنتُ عند ٱبن عبّاس . فأتاه رجل فَمَتّ إليه بِرَحِم بعيدةٍ ، فَلَانَ له وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ٱعْرِفوا أنسابكم تَصِلوا أرحامكم فإنه لا قُرْبَ بالرَّحِم اذا قُطِعَتْ وإن كانت قريبةً ولا بُعْدَ بها إذا وُصِلَتْ وإن كانت بعيدةً" .

---

(١) فى الأصل : «تربض» بالتاء والصاد المهملة وهو تحريف . (٢) أخره . ـ ـ ـ .
(٣) دنوا : استمعوا .

حدّثنى شَبَابة قال حدّثنى القاسم بن الحَكَم عن إسماعيل بن عَيّاش عن عبد الله ابن دينار قال : احذروا ثلاثا ، فإنهنّ معلّقات بالعرش : النعمةَ تقول يا ربّ كُفِرتُ ، والأمانةُ تقول يا ربّ أُكِلتُ ، والرَّحِمُ تقول يا ربّ قُطِعتُ .

حدّثنى الزِّيادىّ قال حدّثنا عيسى بن يونس قال قال مُحارِب بن دِثار : إنما سُمُّوا أبرارا لأنهم برُّوا الآباء والأبناء ، وكما أنّ لوالدك عليك حقًّا ، فكذلك لولدك عليك حقٌّ .

حدّثنى أبو سفيان الغَنَوىّ عن عبدالله بن يزيد عن حَيْوَة بن شُرَيح عن الوليد ابن أبى الوليد عن عبدالله بن عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أبرُّ البِرِّ أن يَصِلَ الرجلُ أهلَ وُدِّ أبيه" .

حدّثنى القُومَسِىّ قال حدّثنا إسماعيل بن أبى أُوَيْس قال حدّثنا كَثِير بن زيد عن أبيه عن جدّه عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : "ابنُ أُختِ القومِ من أنفُسِهم ومَوْلى القوم من أنفسهم وحَلِيفُ القومِ من أنفسهم"[1] .

وحدّثنى أيضا عن خالد بن مَخْلَد عن سليمان بن بِلَال عن عبدالله بن دينار عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : "الرَّحِمُ شُجْنَةٌ[2] من الرحمن قال لها مَنْ وصَلكِ وصَلتُه ومَن قطعكِ قطعتُه" .

حدّثنى الزِّبادىّ قال حدّثنا حمّاد بن زيد عن حبيب عن ابن سِيرِين قال قال عثمان : كان عمر يمنع أقرِباءه ابتغاء وجه الله ، وأنا أُعطِى قَرَابَاتى لوجه الله ، ولن يُرى مثلُ عمرَ .

(١) ورد فى الجامع الصغير : « منهم » بدل « من أنفسهم » ولعلها رواية . (٢) الشجنة : الشعبة من كل شىء ، يقال : بينهما شجنة رحم .

حدّثنى أحمـد بن الخليـل قال حدّثنا ابراهيم بن موسى قال حدّثنا محمد بن ثَوْر عن معمر[1] عن أبى إسحاق عن عاصم بن ضَمْرة عن علىّ عليه السلام عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : "مَنْ سَرّهُ أن يُمَدّ له فى عُمُره و يُوَسَّعَ له فى رزقه فَلْيَصِلْ رَحِمَه" .

حدّثنى أحمـد بن الخليل قال حدّثنا أبو نُعيم قال حدّثنا سفيان عن عبد الله ابن عيسى عن عبيد بن أبى الجَعْد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يزيد فى العُمرِ إلا البِرّ ولا يرد القَدَر إلّا الدعاءُ و إنّ الرجلَ ليُحرَمُ الرزقَ بالذنب يُصيبه" .

حدّثنى محمد بن يحيى القُطَعىّ قال حدّثنا عبد الأعلى قال حدّثنا سعيد عن مَطَر عن الحَكَم بن عُتَيبة[2] عن النَّخَعىّ عن ابن عمر قال : أتى رجل النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : إنّ والدى يأخذ منّى مالى وأنا كاره ؛ فقال : "أَوَ مَا عَلِمتَ أنكَ ومالَكَ لأبيك" .

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعىّ قال : أخبرنى بعض العرب أنّ رجلا كان فى زمن عبد الملك بن مَرْوان ، وكان له أب كبير [illegible] بأبيه ، وكان يقال للشاة "مَنَازِلُ"[3] فقال الشيخ[4] :

جَزَتْ رَحِمٌ بَيْنى وبين مَنَازِلٍ * جزاءً كما يَسْتَنْجِزُ الدَّيْنَ طالبُهْ
تَرَبَّتْ[5] حتى صار جَعْدًا شَمَرْدَلًا * إذا قام ساوَى عَارِبَ الفَحْلِ عارِبُهْ

(١) هو معمر بن راشد ، وهو الذى يروى عنه محمد بن ثور كما فى التهذيب . (٢) فى الخلاصة فى أسماء الرجال للحرر حى وفى الأصل «عيبة» وهو تحريف . (٣) هو [illegible] ابن فرعان ذكره فى القاموس وقال شارحه هو بفتح الميم ومنهم من ضبطه بضمها . (٤) هو [illegible] التميمى كما فى لسان العرب مادة «جعد» . (٥) تربّت : ترّبت . و الجعد طويل . والشمردل : الفتىّ القوىّ ، وقد اختلف اللسان (فى مادة جعد) عما هنا فى إيراد هذا البيت ، وورد معناه فى بيتين وهما :

وربيتـــه حتى إذا ما تركته * حا القوم واستغنى عن المسح شاربه
وبالمحض حتى آض جعدا عطنطا * اذا قام ساوى عارب الفحل عاربه

نَظَلَّمَنى مالى كذا وَلَوَى يَدى * لَوَى يـدَه اللهُ الذى لا يغالبُـهْ
وإنّى لَدَاعٍ دعْـوَةً لو دَعَوْتُهـا ، على جَبَـل الرَّيَّان لانقضّ جانبُـهْ

فبلغ ذلك أميرًا كان عليهم ، فأرسل إلى الفتى ليأخذه ، فقال له الشيخ : أُخرج من خَلْف البيت ، فسبق رُسُلَ الأمير ، ثم آبنُلِيَ الفتى بآبنٍ عَقّه فى آخر عمره فقال :

تَظَلَّمَنِي مالى خَلِيلٌ وعَقَّنِي * على حينَ كانت كالَحَنِيّ عظامى
تَخَيَّرته وآزددتُه لِيَزِيدنى * وما بعضُ ما يزداد غير عُرَامِ[1]

وقال يحيى[2] بن سعيد مولى تَيْم كوفىٌّ لآبنه :

غَدَوْتُكَ مَوْلودًا وعُلْتُكَ يافِعًا * تُعَلُّ بما أَجْنِي[3] عليك وتُنْهَلُ
إذا ليلةٌ نالتك بالشكو لم أَبِتْ * لشكواكَ إلّا ساهرًا أتململُ
كأنّى أنا المطروقُ دونك بالذى * طُرِقْتَ به دونى وعَيْنِيَ تَهْمِلُ
فلمّا[4] بلغتَ الوقت فى الصدّة التى * اليها جَرَى ما أبتغيه وآمَلُ
جَعَلْتَ جَزَائى منك جَبْهًا وغِلْظَةً * كأنكَ أنتَ المنعمُ المتفضّلُ
فليتَكَ إذ لم تَرْعَ حقّ أُبُوَّتى * كما[5] يفعل الجارُ المجاورُ تَفْعَلُ

قال القاسم بن محمد : قد جعل الله فى الصديق البارّ عِوَضا من الرَّحِم المُدْبِرة .

---

(١) العرام : الشراسة والأذى ، وفى الأصل : «عرام» بالنين المعجمة وهو تحريف .

(٢) هذا الشعر لأمية بن أبى الصلت الثقفى كما فى الأغانى (ج ٣ ص ١٩١ طبعة بولاق) وأشعار الحماسة (ص ٣٥٤ طبع أوروبا) ، وقيل : إنها تروى لابن عبد الأعلى ، وقيل : لأبى العباس الأعمى . وليس ليحيى بن سعيد كما ذكر المؤلف لأنه أنشد بين يدى النبىّ صلى الله عليه وسلم فأخذ عليه الصلاة والسلام يتلاعب الولد وسلمه لوالده قائلا له : «أنت ومالك لأبيك» .

(٣) فى أشعار الحماسة «أدنى اليك» .

(٤) رواية هذا البيت فى الحماسة :

فلما بلغت السن والغاية التى * اليها مدى ما كنت فيك أؤمل

(٥) فى الحماسة : «فعلت كما الجار ... الخ» .

كتب عمرُ إلى أبى موسى : مُرْ ذوى القَرَابات أنْ يَتَزَاوَرُوا ولا يتجاوروا .

وقال أَكْثَم بن صَيْفِيّ : تَبَاعَدُوا فى الدّيار تَقَارَبُوا فى المودّة .

قيل لأعرابيّ : ما تقول فى ٱبن عمك ؟ قال : عدوّك وعدوّ عدوّك .

وقال قيسُ بن زُهَير :

شَفَيْتُ النفسَ من حَمَل بن بَدْرٍ * وسَيْفى من حُذَيفة قد شفانِى

قتلتُ بإخْوَتِى ساداتِ قومى * وقد كانوا لنا حَلْىَ الزمانِ

فإنْ أكُ قد بَرَدْتُ بهم غَلِيلِى * فلم أقطعْ بهم إلّا بَنَانِى

قال علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه، حين تصفّح القَتْلَى يوم الجَمَل : شَفَيتُ نفسى وحَدَعتُ أنفى . وفى مثل ذلك قول القائل[1] :

قَوْمِى هُمُ قَتَلوا أُمَيْمَ أخِى . فإذا رَمَيْتُ يُصيبنِي سَهْمِى

ولئن عَفَوْتُ لَأَعْفُوَنْ جَلَلًا * ولئن قَرَعْتُ[2] لَأُوهِنَنْ عَظْمِى

قتل رجلٌ من العرب ٱبنَ[3] أخيه فدُفِعَ إلى أخيه لِيُقِيدَه، فلمّا أَهْوَى بالسيف أُرْعِدتْ يداه، فألقى السيفَ من يده وعفا عنه وقال :

أقولُ للنفسِ تأساةً وتعزِيَةً * إحدى يَدَىّ أصابتنى ولم تُرِدِ

كلاهما خَلَفٌ من فقْد صاحبه * هذا أخِى حين أدعُوه وذا ولدِى

وقال بعضهم :

بكُرِه سَرَاتنا يا آل عمرو * نُفاديكم بمُهَجَة الصّالِ

فنبكى حين نذكركم عليكم * ونقتلكم كأنّا لا نُبالى

وقال عدىّ بن زيد :

وظُلمُ ذَوِى القُرْبَى أشدُّ مَضاضَةً * على المرءِ من وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

(١) هو الحارث بن وعلة الذهلى كما فى الحماسة . (٢) فى الحماسة : «سطوت» .

(٣) فى الأصل : «لابن أخيه» وهو تحريف .

وقال غيره[1] :

سآخُذ منكم آل حَرْنٍ لِحَوْشَبٍ[2] * وإن كان مولاىَ[3] وكنتم ذى أَبِى
إذا كنتُ لا أُرْمَى وتُرْمَى عَشِيرتى[4] * تُصِبْ جائحاتُ[5] النَّبْلِ كَشْحِى ومَنْكِبِى

قال حدّثنا أبو الخطاب قال حدّثنا الوليد بن مسلم عن محمد بن السائب البَكْرىّ عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "حَقُّ كبير الإخْوَةِ على صَغِيرهم كحَقّ الوالد على ولده" .

والعرب تقول فى العطف على القرابة وإن لم يكن وادًّا : "أنفُكَ منكَ وإنْ دَنّ[6]" . ومثله : "عِيصُك[7] منك وإن كان أَشِبًّا" .

وقال النَّمِر بن تَوْلَب :

إذا كنتَ من سَعْدٍ وأُمُّكَ فيهمُ * غريبًا فلا يَغْرُرْك حالُك من سعدِ
فإن ابنَ أُختِ القوم مُصْغًى[8] إناؤه * إذا لم يُزاحِم خالَه بِأَبٍ جَلْدِ

وقال أُمَيّة بن أبى عائذ لإياس بن سَهْم :

أبلغ إياسًا أنّ عِرضَ ابنِ أُختِكم * رِداؤك فاصْطَنْ[9] حُسْنَه أو تَبَدّلِ

---

(١) ذكر هذان البيتان فى الحماسة ضمن أبيات يقال : إنها لخدل بن عمرو . (٢) كذا فى ديوان الحماسة ، وفى الأصل : «آل حرم» . وفيه بدل «لحوشب» «بحوشب» . (٣) فى ديوان الحماسة : «وإن كان لى مولى» . وقد أشار شارحه الى رواية الأصل وقال . إنه ربما دخله الكف وهو حذف السابع الساكن من مفاعيلن ، وهو قبيح فى صدر الهزج . قال شارح الحماسة : «وليس فى الحماسة بيت مكفوف غيره» . ثم قال : «ويروى مولى لى ، فعلى هذا يسلم من الزحاف . والأولى أشبه بطريقة الشعراء ، ألا ترى أنهما معرفتان مضافتان : مولاى وخى أبى» . (٤) فى الحماسة : «كنا فى» وقيل أراد بالكتانة مولاه . (٥) فى الحماسة . «حائجات» بالواو أى كاسرات الجناح ، يقال : حنجه إذا كسر جناحه ، ويجوز أيضا أن يكون حائجات من حنج اليه اذا مال . وأشار شارح الحماسة الى الرواية التى وردت بالأصل ولكنه استحسن الأولى لأنه لا يقال : رماه فأحتاجه . (٦) دنّ : سافل محاطه وفى مجمع الأمثال : «وان كان ادنّ» . (٧) العيص : الجماعة من الشجر تجتمع فى مكان واحد . والأشب : شدة التفاف الشجر حتى لا يحار فيه . (٨) مصغى إناؤه : منقوص حقه ، يقال : أصغى فلان إناء فلان اذا أماله ونقصه حقه . (٩) اصطن : صن واحفظ ، أمر من اصطان ، وهو الافتعال من صان . وتبذل : امتهن .

فإنْ[1] تكُ دا طَوْلٍ فإنّى ٱبنُ أختِكم * وكلُّ ٱبنِ أختٍ من مَدَى الخالِ مُعتَلِي[2]
فكن أسـدًا أو ثعلبًـا أو شبيهَه * فمهما تكن أُنْسَبْ إليـك[3] وأُشْكَلِ
وما ثعلبٌ إلا ٱبنُ أختِ ثعالبٍ * وإن ٱبن أختِ اللّيث رِئبالُ أَشْبُلِ

وكتب بِشر بن المُغيرة بن أبى صُفْرة إلى عمّه بهذه الأبيات :

جفانى الأميرُ والمغـيرةُ قد جفا * وأمسى يزيدُ لى قد ٱزْوَرَّ جانبُهْ
وكُلُّهُمُ قـــد نال شِـبْعا لبطنه * وشِبعُ الفتى لؤمٌ إذا جاع صاحبُهْ
فيـا عَمِّ مَهْلا وٱتّخِـذنى لـوبةٍ * تنوب ، فإن الدّهر جَمٌّ عجائبُـهْ
أنا السيف إلا أن للسيف نَبْوةً * ومثلِىَ لا تنبُـو عليك مَضـارِبُهْ

دخل رجل من أشراف العرب على بعض الملوك ، فسأله عن أخيه ، فأوقع به يَعيبه ويَشتُمه ، وفى المجلس رجل يَشْنَؤه فشرَع معه فى القول ، فقال له : مهلا ! إنّى لآكُلُ لحمى ولا أدَعُه لآكِل .

ويقال : القرابةُ محتاجة الى المودّة ، والمودّةُ أقرب الأنساب . والبيت المشهور فى هذا :

وإذا القرابة لا تُقرِّبُ قاطعًا * وإذا المودّة أقربُ الأنسابِ

وقيل لِبُزُرْجِمِهْر : أخوك أحبّ إليك أم صديقُك؟ فقال : إنما أحِبّ أخى اذا كان صديقا .

وقال خِداشُ بن زُهَيْر :

رأيتُ ٱبنَ عمّى بادِيًا لِىَ صِغْنُـه * وواغِرُه فى الصدر ليس بذاهِبِ

وأنشدنا الرِّياشىّ :

حيـاةُ أبى السيّارِ خـيرٌ لقومه * لمن كان قد ساس الأمورَ وجرّبَا
ونَعتِبُ أحيانا عليـــه ولو مضى * لكنّا على الباقى من النـاس أعتَبَا

(١) كذا فى كتاب أشعار الهذليين ، وهو الذى يتفق مع السياق بعده ، وفى الأصل : «فان أك» ...
(٢) فى كتاب أشعار الهذليين : «معتل» بالعين المعجمة ، واعتل : ارتفع . (٣) كذا فى أشعار الهذليين . وفى الأصل : « اليه » .

وقال الشاعر :

ولم أر عِزًّا لامرئ كعشيرِهِ[1] * ولم أر ذُلًّا مثل نأيٍ عن الأهلِ
ولم أر مثلَ الفقر أوضعَ للفتى * ولم أر مثلَ المالِ أدعَ للرَّذْلِ
ولم أر من عُدْمٍ أضرَّ على الفتى * إذا عاش وسْطَ الناسِ من عَدَمِ العقلِ

كان مُهَلهِلُ صار الى قبيلة من اليمن يقال لهم جَنْبٌ، فخطبوا اليه فزوّجهم وهو كارهٌ لاغترابه عن قومه، ومهروا ابنته أدَماً[2]، فقال :

أنكحها فقدُها الأراقِمَ[3] ى * جَنْبٍ وكان الحِباء من أدَمِ
لو بابَنَيْنِ[4] جاء يخطُبُها * رُمِّلَ[5] ما أنفُ خاطبٍ بدمِ

وقال الأعشى :

ومن يَغْتَرِبْ عن قومه لا يَزَل يَرى * مَصارِعَ مظلومٍ مَحَرًّا ومَسْحَبَا
وتُدْفَنُ منه الصالحات وإن يُسِئْ * يكن ما أساء النارَ فى رأس كَبْكَبَا[6]
وربِّ بقيعٍ لو هتفتُ بجَوِّهِ * أتانى كريمٌ يُنْفِضُ[7] الرأس مُغْضَبَا

وقال رجل من غطَفان :

إذا أنت لم تستبقِ وُدَّ صَحابةٍ * على دَحَنٍ[8] أكثرتَ بثَّ المعاتبِ

---

(١) عشيره : قبيلته . (٢) الأدم : اسم جمع للاديم ، والأديم . الجلد ما كان ، وقيل : الأحمر ، وقيل : المدبوغ . (٣) الأراقم : حيّ من تغلب وهى قبيلته . (٤) أبابين : تثنية أبان ، وهما جبلان يقال لأحدهما : أبان الأبيض ، وللآخر : أبان الأسود . (٥) رمل : خضب بالدم . وفى الأغانى (ج ٤ ص ١٤٦ طبع بولاق) ومعجم البلدان : « ضرّج » .
(٦) ككب . جبل خلف عرفات مشرف عليها . (٧) ينفض الرأس : يحركه كالمستفهم عما يقال له . (٨) على دحن : على كدورة . وأصل الدحن (بالتحريك) : مصدر دحنت النارُ اذا ألقى عليها حطب رطب وكثر دخانها ، وأن يكون لون الدابة أو الثوب كدرا الى سواد .

وإنّى لأستبقِ آمرأً السَّوْءِ عُدَّةً .. لعَدْوة عِرِّيضٍ[1] من الناس عائبِ
أخافُ كلابَ الأبعَدين ونَبْحَها ■ إذا لم تُجاوِبها كلابُ الأقارِبِ

قال رجل لعُبَيْد الله بن أبى بَكْرة : ما تقول فى موت الوالد؟ قال: مِلْك حادث؛ قال : فموت الزوج ؟ قال : عُرْس جـديد ؛ قال : فموت الأخ ؟ قال : قَصّ الجَناح؛ قال : فموتُ الولد ؟ قال : صَدْعٌ فى الفؤاد لا يُجْبر .

وكان يقال : العُقوقُ نَكْل من لم يَنْكَل .

شكا عثمان عليّا الى العباس رضى الله عنهم ؛ فقال : أنا منه كأبى العاقّ ، إن عاش عقّه وإن مات جَفَاه .

وقال رجل لأبيه : يا أبتِ ، إن عظيم حَقّك علىّ لا يُذْهِب صغيرَ حقّى عليك ، والذى تَمُتّ به الىّ أمتّ بمثله إليك ، ولستُ أزعم أنّا على سَوَاء .

وقال زيد بن على بن الحسين لابنه يحيى : إن الله لم يرضَك لى فأوصاك بى ، ورَصينى لك فلم يُوصِنى بك .

غضب معاوية على يزيدَ ابنـه فهجره ؛ فقال له الأحنفُ : يا أمير المؤمنين ، أولادُنا ثِمارُ قلوبنا وعِمادُ ظهورِنا ، ونحن لهم سماء ظليلة ، وأرض ذليلة ، فإن غضبوا فأَرْضِهم ، وإن سألوا فأعْطِهم ، ولا تكن عليهم قُفلا فيَملُّوا حياتك ويَتمنّوا موتَك .

قيل لأعرابىّ : كيف ابنُك؟ — وكان عاقّا — فقال : عذابٌ رَعِفَ[2] به الدهر ، فليتنى قد أودعتُه القبر ، فإنه بَلاء لا يُقاومه الصبر ، وفائدةٌ لا يجب فيها الشكر .

قيل لبعضهم : أىّ ولدك أحبّ اليك ؟ قال : صغيرُهم حتى يكبَر ، ومريضُهم حتى يبرأ ، وغائبُهم حتى يَقدَم .

(١) العريض : الذى يتعرّض للناس بالشرّ . (٢) رعف (بكسر عينه) : سبق وتقدّم .

ناول عمرُ بن الخطاب رجلا شيئا، فقال له : خدمك بنوك ؛ فقال عمر : بل أغنانا الله عنهم .

وُلِد لحسن غلام، فقال له بعضُ جلسائه : بارك الله لك فى هِبَته، وزادك من أحسنِ نعمته . فقال الحسن : الحمد لله على كلّ حسنة ، ونسأل اللهَ الزيادةَ فى كل نعمة . ولا مرحبًا بمن إن كنتُ عائلا أعالنى، و إن كنت غنيا أذهلنى، لا أرضى بسعيي له سعيا، ولا بكدّى له فى الحياة كدّا، حتى أُشفِق له من الفاقة بعد وفاتى، وأنا فى حالٍ لا يصل الىّ من غمّه حزن ولا من فرحه سرور .

قال الأصمعىّ : عاتب أعرابىٌّ ابنَه فى شرب النبيذ، فلم يُعْتِبْ[1] وقال :

أمِن شَربةٍ من ماء كَرْمٍ شربتُها ... عضِبتَ علىّ ! الآن طابَ لىَ الخمرُ
سأشربُ ما عَصَبْ لا رَضِيتَ . كلاهما ... إلىّ لديدُ : أن أعُقّك والسُّكْرُ

وقال الطِّرِمّاح لأمّه ضَمْصامَه :

أضمصامُ إن تشفع لأمّك تَلْقَها * لها شافعٌ فى الصدرِ لم يتبرجِ
هل الحبُّ إلّا أنّها لو تعرّضتْ * لذبحك يا ضمصامُ قلت لها اذبَحِى
أُحاذِر يا ضمصامُ إن مُتُّ أن يلى * تُرائِى وإيّاك امرؤٌ غيرُ مُصْلِحِ
إذا صَكّ وسْط القومِ رأسَك صَكّةً * يقول له الناهى مَلَكتَ فأسْجِحِ[2]

وأنشد ابن الأعرابىّ :

أُحبّ بُنَيّتِى ووددتُ أنى * دَفَنتُ بُنَيّتِى فى قَعْرِ لَحْدِ
وما بِى أن تهونَ علىّ لكن * مخافةَ أن تذوقَ البؤسَ بعدِى

(١) لم يعتب : لم يرضه ولم يرجع عن الشراب الذى عصب عليه من أجله . (٢) أسجح : اعف واصفح .

ونحوه قول الآخر :

لولا أُمَيْمَةُ لم أجزَعْ من العَـدَمِ * ولم أُجُبْ فى الليالى حِندِسَ الظُّلَمِ
وزادنى رغبةً فى العيش معرفتى ،، ذُلَّ اليتيمة يَحفوها ذوُو الرَّحِمِ
أُحاذِر الفقرَ يوما أن يُلِمّ بهـا * فيهتِكَ السِّترَ من لحمٍ على وَضَمِ
تهوَى حياتى وأهوَى موتها شَفَقًا * والموتُ أكرمُ نَزّالٍ على الحُـرَمِ

وقال أعرابىّ فى ابنته :

يا شِقَّةَ النفسِ إن النفس والهـةٌ * حَرّى عليـكِ ودمعُ العين مُنسجِمُ
قد كنتُ أخشى عليها أن تُقَدّمنى * الى الحِمام فيُبدى وجهَها العَـدَمُ
فالآن نِمتُ فـلا هَمٌّ يؤرّقنى * تَهْـدا العيونُ اذا ما أودتِ الحُرَمُ

وقال أعشى سُلَيْمٍ :

نفسى فِداؤكَ من وافدٍ ،، إذا ما البيوتُ لِيسن الجليدا
كفيتَ الذى كنتُ أرْجَى له * فصرتَ أبًا لى وصرتُ الوليدا

وقال أعشى هَمْدان فى خالد [بن عَتّاب] بن وَرْقاء :

فإن يكُ عَتّابٌ مضَى لسبيله ،، فـما مات من يَبْقى له مثلُ خالدِ

وفى الحديث المرفوع : "رِيحُ الولد من رِيح الجنّة" . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد ابنىْ بنته : "إنكم لَتُجَبِّنُون وإنكم لَتُبَخِّلون وإنكم لَمِنْ رَيْحانِ الله".

وقالت أعرابية :

يا حبّـذا رِيحُ الولَدْ * رِيحُ الخُزَامَى بالبَـلَدْ

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : هذا يدلّك على تفضيلهم الخُزَامَى .

وكان يقال : ابنُك رَيحانُك سَبْعا، وخادمك سبعا، ثم عدوٌّ أو صديق .

مرّ أعرابيٌّ ينشُدُ ابنا له بقوم، فقالوا : صِفْه، فقال: دُنَيْنِيرٌ، قالوا : لم نَرَه، فلم يَلبثِ القومُ أن جاء على عُنُقه بجُعَلٍ، فقالوا : ما وجدتَ ابنَك يا أعرابيّ؟ قال: نعم هو هـذا، قالوا : لو سألتَ عن هذا لأخبرناك، ما زال منذُ اليومِ بين أيدينا .

قال الشاعر فى امرأة :

نِعمَ ضجيعُ الفتى اذا بَرد الـ * ـليلُ سُحَيراً وقرقَفَ الصِّرِدُ[1]

زيّنها الله فى العيون كما * زُيِّن فى عين والدٍ ولـدُ

وفى الحديث : "من كان له صبيٌّ فَلْيَسْتَصبِ له" .

وقال الزبير وهو يرقّص ابناً له :

أبيضُ من آل أبى عَتيقِ * مباركٌ من ولد الصِّدّيقِ

* أَلَذُّه كما أَلَذُّ الرِّيقِ *

وقال أعرابيّ :

لولا بُنَيّاتٌ كزُغْبِ القَطَا[2] * حُطِطْن من بعضٍ الى بعضِ

لكان لى مُضْطَرَبٌ واسعٌ * فى الأرض ذاتِ الطُّولِ والعَرْضِ

وإنما أولادُنا بيننا * أكبادُنا تمشى على الأرضِ

لو هبّتِ الريحُ على بعضهم * لامتنعتْ عينى من الغَمْضِ

أنزلنى الدهرُ على حكمه * من مَرْقَبٍ عالٍ الى خَفْضِ

وابتزّنى الدهرُ ثيابَ الغِنى * فليس لى مالٌ سوى عِرْضى

قال بعض النسّابين : إنما قيل : سَعْدُ العشيرة، لأنه كان يركب فى عشرة من ولده، فكأنهم عشيرة .

(١) قرقف : أرعد من البرد . والصرد : الرجل القوىّ على البرد . (٢) رويت هذه الأبيات فى الأمالى ج ٢ ص ١٨٩ طبع دار الكتب المصرية ببعض مخالفة عما هنا، وذكرت أيضا فى الحماسة بشرح التبريزى طبع أوروبا ص ١٤١ وفيها اختلاف فى الرواية وتقديم وتأخير فى ترتيب الأبيات، ونسبت الى حطّان بن المعلى .

وقال ضِرار بن عمرو الضَّبيّ، وقد رُئِى له ثلاثةَ عشَرَ ذكرا قد بلغوا : من سَرّه بنوه سَاءَتْه نفسُه .

قال بِشرُ بن أبى خازم :

اذا ما عُلُوا قالوا أبونا وأُمّنا * وليس لهم عَالِينَ[1] أمٌّ ولا أبُ

وقال آخر :

أنا ابنُ عمّك بن بابتك ثبةٌ * وليس منك اذا ما كَعْبُك اعتدلا

وأنشدنا الرِّياسىّ :

الرَّحْمَ بُلَّهَا بخمير البُلَّانْ[2] * فإن فيها للدِّيارِ العُمْرانْ

وآمر المال و بنت الصَّغرانْ[3] * وإنما اشتُقّت من اسم الرحمنْ

وقال المَعْلُوطُ :

ومَنْ يلقَ ما ألقَى وإنْ كان سيِّدا * ويخشَ الذى أخشَى يَسِرْ سيرَ هارِب

مخافةَ سلطانٍ علىّ أظنُّه * ورَهْطِى ، وما عاداك مثلُ الأقارب

دخل عثمان بن عفّان على ابنته وهى عند عبد الله بن خالد بن أَسِيد، فقال : يا بنيّة : مالى أراكِ مهزولةً ؟ لعلّ بَعْلَكِ يُغيرُكِ[4] ؛ فقالت : لا، ما يُغيرنى ؛ فقال لزوجها : لعلّكَ تُغيرها! قال : فأفعل، فَلَغلامٌ يزيده الله فى بنى أميّة أحبُّ الىّ منها .

---

(١) عالين : حال من الضمير فى «هم» . (٢) بلّ الرحم يبلها (بضم الباء) بلا و بلالا : وصلها وبلّ الدار : قال ابن سيده : «يجوز أن يكون البلان اسما واحدا كالعمران والرجحان وأن يكون جمع بلل» . (٣) كذا بالأصل ولم نوفق اليه فى مصدر آخر، وقد أورد فى اللسان مادة بلل هذا الشعر مقتصرا فيه على صدر البيت الأول وعجز البيت الثانى . (٤) أعار الرجل امرأته : تزوج من أخرى فأحدث عندها الغيرة .

قال النعمانُ بن بَشير :

وإنى لأُعطى المالَ مَنْ ليس سائلا * وأُدرِكُ للمولى المعانِدِ بالظلمِ
وإنى متى ما يَلْقَنى صارما له * فما بيننا عند الشدائد من صُرْمِ
فلا تَعْدُدِ المولى شريكَك فى الغِنى * ولكنما المولى شريكُك فى العُدْمِ
إذا مَتَّ ذو القُرْبى اليك بِرِحْمِهِ * وغَشَّك واستغنى فليس بذى رِحْمِ
ولكنّ ذا القربى الذى يستخفّه * أذاك ومَنْ يرمى العدوَّ الذى تَرمِى

وقال بعضُ الشعراء :

لقد زاد الحياةَ الىّ حبّا * بناتى أنّهن من الضِّعافِ
مخافةَ أن يَرَيْنَ البؤسَ بعدى * وأن يشرَبْنَ رَنْقًا بعد صافِى
وأن يَعْرَيْنَ إن كُسِىَ الجوارِى * فتنبو العينُ عن كَرِمٍ عِجافِ (١)

قيل لعلىّ بن الحسين : أنت من أبرِّ الناس ولا نراك تؤاكل أمَّك؛ قال : أخاف أن تَسبِقَ يدى الى ما قد سبقتْ عينُها اليه فأكونَ قد عَقَقْتُها .

قيل لعمرَ بن ذَرّ : كيف كان برّ ابنك بك؟ قال : ما مشيتُ نهارا قط إلا مشى خلفى، ولا ليلا إلا مشى أمامى، ولا رَقِىَ سطحًا وأنا تحته .

حدّثنى محمد بن عُبَيد عن معاوية بن عمرو عن زائدة عن عَطاء بن السائب عن عثمان بن أبى العاص قال : كنت عند عمر فأتاه وجل فأنشده :

تركتَ أباكَ مُرْعشَةً يداه * وأُمَّك ما تُسيغ لها شرابا
اذا غَنَّتْ حمامةُ بطنِ وَجٍّ * على بَيْضاتها ذكرتْ كِلابا

فقال عمر : ممّ ذاك؟ قال : هاجر الى الشام وترك أبوين له كبيرين ، فبكى عمر وكتب الى يزيدَ بن أبى سفيان فى أن يُرَحِّله ، فقدِم عليه، فقال : بَرّ أبويك وكن معهما

(١) كرم : كريمات : وإذا وصف بالمصدر التزم فيه الإفراد والتذكير .

حتى يموتا . قال أبو اليقظان : مُرَبِّعة كِلاب بالبصرة اليه تنسب، والعوام تقول مُرَبَّعة الكلاب .

قال أبو علىّ الصَّرير :

أتيتُك جَذْلانَ مستبشرًا * لبُشراك لما أتانى الخبرْ
أتانى البشيرُ بأن قد رُزِقْتَ * غلاما فأبهجنى ما ذَكَرْ
وأنّك، والرشدُ فيما فعلـ * ـتَ، أسميتَه باسم خيرِ البشرْ
وطهَّرتَه يوم أسبوعه * ومن قبلُ فى الذِّكْرِ ما قد طَهُرْ(١)
فعمّرك الله حتى ترا * ه قد قارَب الحَطْوَ منه الكِبَرْ
وحتى ترى حولَه من بَنِيه * وإخوتِه وبنيهم زُمَرْ
وحتى يروم الأمورَ الجسامَ * ويُرْجَى لنفع ويُخْشَى لضُرّْ
وأوزعك(٢) اللهُ شكرَ العطاء * فإن المزيد لعبدٍ شَكَرْ
وصلَّى على السَّلَفِ الصالحيـ * ـن منكم وبارَك فيمن غبرْ(٣)

وهذا قد وقع فى باب التهانئ أيضا .

قال المأمون : لم أر أحدًا أبرَّ من الفضل بن يحيى بأبيه، بلغ من برّه به أن يحيى كان لا يتوضّأ إلا بماء مسخَّن وهما فى السجن، فمنعهما السجّان من إدخال الحطب فى ليلة باردة، فقام الفضل حين أخذ يحيى مَضْجَعه الى قُمْقُم(٤) كان يُسَخَّن فيه الماءُ، فملأه ثم أدناه من نار المصباح، فلم يزل قائما وهو فى يده حتى أصبح .

(١) ما هنا زائدة . ولعل المهنأ من آل البيت، فأشار بطهارته فى الذكر الى قول الله تعالى : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) . (٢) أوزعك : ألهمك، وفى الأصل : «أودعك» . (٣) غبر : بقى، ويستعمل كذلك بمعنى مضى وذهب فهو من الأضداد .
(٤) قمقم : إناء من نحاس .

رقص أعرابيٌّ ابنه وقال :

أُحِبّه حبَّ الشَّحيح مالَهْ * قد كان ذاق الفقرَ ثم نالَهْ

* إذا يُريد بَذْلَه بدا لهْ *

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة ، فقال : من هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال : هـذه تُفّاحة القلب ، فقال : انبِذها عنك ، قال : ولم ؟ قال : لأنهنّ يَلِدْن الأعداء، ويُقَرِّبْن البُعَداء، ويُورِثْن الضغائن ، فقال : لا تقُلْ ذاك يا عمرو، فوالله ما مرّض المرضى ولا نَدَب الموتى ولا أعان على الأحزان مثلُهن، وإنك لواجدٌ خالا قد نفعه بنو أُخته ، فقال له عمرو : ما أعلمُك إلا حَبَبْتَهنّ الىّ .

الاعتـــــذار

كان يقال : الاعتراف يَهْدِم الاقتراف .

كتب بعض الكُتّاب الى بعض العمال : لو قابلت حقّـك علىّ بمتقـدّم المودّة ومؤكّد الحُرْمة الى ما جدّده الله لك بالسلطان والولاية ، لم أرْضَ فى قضائه بالكتاب دون تجشّم الرِّحلة ومُعاناة السفر اليك، لا سيما مع قُرْب الدار منك ؛ غير أن الشغل بما ألفيتُ عليه أمورى من الانتشار وعلائق الخراج وغيرِ ذلك ممـا لا خِيار معه، أحلّنى فى الظاهر محلّ المُقَصّرين ؛ وإن وهب الله فُرْجةً من الشـغل وسهّل سبيلا اليك، لم أتخلّف عمّا لى فيه الحظّ من مجاورتك والتنسّم بريحك والتيمّن بالنظر اليك، غاديا ورائحا عليك، إن شاء الله تعالى .

كتب ابن الجهم[1] الى نجاح من الحبس :

إن تَعْفُ عن عبدك المسيءِ ففى * فضـلِك مأوًى للصَّـفْح والمِنَنِ

أتيتُ ما أسـتحقُّ من خطأ * فعُـدْ لمـا تستحقّ من حَسَنِ

(١) فى الأصل : «أبو الجهم» وهو تحريف .

وكتب الحسن بن وهب :

ما أحسنَ العفوَ من القادرِ * لا سيّما عن غير ذى ناصرِ
إن كان لى ذنبٌ، ولا ذنبَ لِى، * فماله غيرك من غافـرِ
أعـوذ بالودّ الذى بيننـا * أن يُفْسَد الأوّلُ بالآخرِ

كتب رجلٌ الى جعفر بن يحيى يستبطئه، فوقّع فى ظهر كتابه : أحتجّ عليك بغالب القضاء، وأعتذر اليك بصادق النيّة .

قال بعض الشعراء :

وتعـذِر نفسَك إمّا أساتَ * وغيرَك بالعُـذرِ لا تعـذِر
وتُبْصر فى العين منه القذى (١) * وفى عينك الجذع لا تُبْصر

وقال بعض الشعراء :

ياذا المُمَـيِّزُ للإخـاءِ ولا * إخوانِ فى التفضيل والقَدْرِ
لا يَقْبِضنّك عن معاشرتِى * بالأُنس أن قَصّرتَ فى بِرّى
إنى اذا ضاق امرؤ بجـدّا (٢) * عنّى استعنتُ عليه بالعذرِ

وفى الحديث المرفوع : " من لم يَقْبَل من معتذرٍ صادقًا كان أو كاذبا لم يَرِدْ علىّ الحوض" . وفيه : "أقِيلوا ذوِى الهَنَاتِ عَثَرَاتِهم" .

اعتذر رجل الى أبى عبيد الله الكاتب فقال : ما رأيتُ عذرا أشبه باستئنافِ ذنبٍ من عُذْرك .

وكان يقال : أعجلُ الذنوبِ عقوبةً العذرُ، واليمينُ الفاجرةُ، وردُّ التائبِ وهو يسأل العفو خائبا .

(١) فى الأصل : «وتبصر فى التبر مك القذى» . وفى الحديث : «يبصر أحدكم القذى فى عين أخيه ولا يبصر الجذل فى عينه» . والجذل : ما عظم من أصول الشجر، وقيل : هو من العيدان ما كان على مثال شماريخ النخل . (٢) الجدا (وزان قنى) : العطية .

وقال مُطَرِّف[1] : المَعاذِرُ مَكاذِبُ .

اعتذر رجل الى إبراهيم[2] فقال له : قد عذرتُك غير معتذِرٍ، إن المعاذير يشوبُها الكذب .

ويقال . ما اعتذر مذنبٌ إلا ازداد ذَنْبا .

وقال الشاعر : ٥

لا تَرْجُ رجعةَ مذنبٍ * خلَط احتجاجًا باعتذارِ

اعتذر رجل الى سَلْم[3] بن قتيبة، فقبل منه وقال : لايدعونّك أمر تخلّصتَ منه الى أمر لعلك لا تخلص منه .

وقال الشاعر :

فلا تَعْـذِرانى فى الإساءة إنه * شِرارُ الرجال مَنْ يُسىء فيَعْذِرُ ١٠

وقال ابن الطَّثَرِيّة :

هَبِينى امرأً إما بريئًا ظلمتِه * وإما مُسيئا تاب بعدُ وأعْتَبا

وكنتُ كذى داءٍ تَبَغّى لدائه * طبيبا فلما لم يجِدْه تَطَبّبا

كتب بعض الكُتّاب معتذرا : توهّمت، أعزك الله، نَفْرَتَك عند نظرتك الى عنوان كتابى هذا بأسمى، لما تضمّنتَه من السَّخيمة علىّ ، فأخليتُه منه؛ وانتظرت باستعطافك من طويّتك فىّ عاقبةَ امتدادِ العهد، وأمِنتُ اضطغانَك لنفى الدّينِ الحقد، واختصرتُ من الاحتجاج المنتسب الى الإصرار، والاعتذارِ المتعاوَدِ بين النُّظَراء، والإقرار المثبّت للأقدام، الاستسلام لك . على أنك إن حرمتَنى رِضاك اتّسعتُ بعفوك، وإن أعْدَمتنيهما تَوَغُّر صدرك لم تَضِقْ من الرِّقّة علىّ من مُصيبة

(١) هو مطرف بن الشخير . والمعاذر : جمع معذرة بمعنى العذر، والمكاذب : جمع الكذب كالمحاسن والمقابح، وهو كقولهم : ان المعاذير يشوبها الكذب . (٢) هو ابراهيم النخعىّ .
(٣) فى الأصل : « سالم » وهو تحريف .

الحِرْمان ؛ و إن قسوتَ رجعتْ بك عواطفُ من أياديك عندى نازعةً بك الى آستتمامها لدىّ . ومن حدود فضائل الرؤساء مقابلةُ سُـوء من خُوّلوا بالإحسان . ولا نعمةَ على مُجْرَم اليـه أجزلُ من الظفر ، ولا عقوبة لمجرِم أبلغُ من النـدم ؛ وقد ظفِرتَ وندمتُ . كتبتُ وأنا على ما تُحِبّ بِشْرًا[1] إن تغمدت زَلّتى ، وكما تُحب ضرًّا إن تركتَ إقالتى ، و بخيرٍ فى كلتا الحالتين ما بقِيتَ .

وكتبتُ فى كتاب آعتذار وآستعطاف : كم عسى أن يكون آنتظارى لعطفك ! وكم عسى أن يكون تمـادِيك فى عَتْبك ؛ لولا أنى مضطرٌّ الى وصلك وأنت مطبوع على هجرى . لقد آستحييتُ وآستحييتَ من ذُلّى وعِزّك ، وخَفْضى جَنـاحى ونأْيِ بجانبـــك .

وفى كتاب آخر : قد أودعنى الله من نِعَمك مابَسَطنى فى القول مُدِلًّا به عليك ، ووَكّد من حُرْمتى لك ماشفَع لى فى الذنوب اليك ، وأعْلَقنى من أسبابك ما لا أخاف معـه نَبَوات الزمان علىّ فيك ، وآمْتَنَى بحلمك وأناتك بادرةَ غضبك ؛ فأقدمتُ ثقةً بإقالتك إن عَثَرتُ ، و بتقويمك إن زُعْتُ ، و بأخذك بالفضل إن زَلَلتُ .

وفى كتاب آعتذار : أنا عليلٌ منذ فارقتُك ؛ فإن تجمعْ علىّ العلّةَ وعتبَك أُفْدَح[2] . على أن ألم الشوق قد بلغ بك فى عقوبتى ، وحضرنى هذا البيتُ على ارتجالٍ فوصلتُ به قولى :

لك الحـقُّ إن تَعْتِبْ علىّ لأننى * جَفَوتُ و إمّا تَغْتفِرْ فلك الفضلُ

أنهيتُ عذرى لأنتهىَ الى تَفَضُّـلك بقبوله و إن أَبَلْكَ[3] يَمْحُ إفراطى فى البرّ بك تفريطى فيه ، والى ذلك ماأسألك تعريفى خيرَك لأُراحَ اليه ، وأستزيدُ اللهَ فى أَسْره لك .

(١) فى الأصل : «شرا» . (٢) أفدح : أهبط وأثقل . (٣) من هنا الى آخر الكتاب غير واضح فى الأصل وقد أثبتناه هكذا جهدنا وصلت اليه الطاقة ، على أنا لم نعثر على هذا الكتاب فى مصدر آخر .

وفى فصل آخر :

أنا المُقِرّ بقصورى عن حقّك، وٱستحقاقى جفاءَك؛ وبفضلك من عَدْلك أعوذ، فوالله لئن تأخّر كتابى عنك، ماأستريد نفسى فى شكر مودّتك، ولطيف عنايتك. وكيف يَسْلاكَ أو يساك أخٌ مُغرَمٌ مك يراك زِينةَ مَشْهده ومَغِيبه ! .

وكيف أساك لا أيديك واحدةٌ * عندى ولا بالذى أوليتَ من نِعَمِ

وفى آخر الكتاب :

إذا ٱعتذر الصديقُ اليك يوما * من التقصير عذرَ أخٍ مُقِرّ
فصُنْه عن عتابك وٱعفُ عنه * فإن الصفح شيمةُ كلِّ حرّ

وقال الخليل بن أحمد :

لو كنتَ تعلم ما أقول عذرتنى * أو كنتُ أجهل ما تقول عَذَلْتُكا (١)
لكن جَهِلتَ مقالتى فعذلتنى * وعلمتُ أنك جاهلٌ فعذرتُكا

قيل لبُزُرْجمِهر : ما بالُكم لا تُعاتِبون الجَهَلَة ، قال : لأنا لا نريد من العُمْيان أن يُبْصِروا .

وقال ٱبن الدُّمَيْنة :

بنفسى وأهلى مَنْ اذا عرَضُوا له * ببعض الأذى لم يَدْرِ كيف يُجِيب
ولم يعتذِرْ عذرَ البرِىء ولم تزل * به ضَعْفةٌ (٢) حتى يقالَ مُرِيبُ

وكتب رجلٌ الى صديق له يعتذر : أنا من لا يُحاجُّك عن نفسه، ولا يُغالِطك عن جُرْمه، ولا يلتمس رضاك إلّا من جِهته ، ولا يستعطفك إلا بالإقرار بالذنب، ولا يستميلك إلّا بالاعتراف بالزّلّة .

(١) فى الأصل : « أو كنت أعلم ما أقول عذلتكا » وهو خطأ من الناسخ . (٢) فى حماسة أبى تمام : « سكتة » . وفى بعض كتب الأدب : « بهتة » .

وقرأت فى كتاب: لستُ أدرى بأىّ شىء آستجزتَ تصديقَ ظنك حتى أنفذتَ علىّ به حكمَ قطيعتِك ، فوالله ماصَدَق علىّ ولا كاد، ولا آستجزتُ ما توهّمتَه فيمن لا يلزمنى حقُّه . وأُعيذك بالله من بِدارٍ الى حكمٍ يُوجب الاعتذار ، فإن الأناةَ سبيلُ أهـلِ التقى والنُّهَى، والظنَّ والإسراعُ الى ذوى الإخاء يُنتجان الجفاءَ، ويُميلان عن الوَفَاءِ الى اللَّفَاء(١) .

قال إسماعيل بن عبد الله وهو يعتذر الى رجل فى آخر يوم من شعبانَ : والله فإنّى فى غُبّ(٢) يومٍ عظيم، وتلقاءَ ليلةٍ تَفْتَرُّ عن أيامٍ عظامٍ، ما كان ما بلغك .

وقرأتُ فى كتاب معتـذرٍ : إنك تُحْسِن مجاورتَك للنعمة، وآستدامتَك لها، واجتلابَك مابَعُد منها بشكر ماقَرُب، واستمالَك الصفحَ لِما فى عاقبتِه من جميل عادة الله عندك؛ ستقبَلُ العذر على معرفةٍ منك بشناعة الذنب، وتُقِيل العثرةَ وإن لم تكن على يقينٍ من صدق النيّة، وتدفع السيئةَ بالتى هى أحسن .

اعتـذر رجلٌ الى جعفر بن يحيى البرمكى، فقال له جعفر : قد أغنـاك الله بالعذر منّا عن الاعتذار، وأغنانا بالمودّة لك عن سوء الظن بك .

وقال بعض الشعراء :

إذا ما آمرؤٌ من ذنبه جاء تائبًا * إليك فلم تَغفِر له فلك الذنبُ

كان الحسن بن زيد بن الحسن واليا للمنصور على المدينة، فهجاه وَرْدُ بن عاصم المُبَرْسَم فقال :

له حقٌّ وليس عليـــه حقٌّ * ومهما قال فالحَسَنُ الجميلُ

وقد كان الرسول يَرى حقوقا * عليـــه لأهلها وهو الرسولُ

(١) اللفاء : اليسير الحقير، يقال : رضى فلان من الوفاء باللفاء، أى رضى من حقه الوافى بالقليل .

(٢) غبّ يوم : بواقيه، جمع عابر .

فطلبه الحسن فهرب منه، ثم لم يشعر إلا وهو ماثل بين يديه يقول :

سيأتى عُذرِى الحسنَ بن زيد * وتَشْهَدُ لى بصِفّينَ القبورُ
قبورٌ لو بأحمـــدَ أو علىٍّ * يلوذ مُجِيرها حُفِظ المُجيرُ
هما أبَوَاك مَنْ وَضَعا تَضَعْه * وأنتَ برفع مارفَعا جديرُ

فاستخفّ الحسنَ كرمُه، فقام اليه فبسط له رداءَه وأجلسه عليه .

وفى كتاب لمعتذر : عُلُوّ الرُّتبة واتّساعُ القدرة وانبساطُ اليد بالسَّطْوة ، ربما أنستْ ذا الحَنَق المُحْفَظ من الأحرار فضيلةَ العفو وعائدةَ الصَّفْح ومافى إقالة المذنب واستبقائه من حسن السماع وجميل الأُحدوثة ، فبعثته على شِفاء غَيْظه، وحرّكته على تبريد غُلّته ، وأسرعتْ به الى مُجانبة طِباعه وركوبِ ما ليس من عادته . وهِمّتك تَجِلّ عن دناءة الحِقد، وترتفع عن لؤم الظَّفَر .

وفى فصل : نَبَتْ بى عنك غِرّة الحَدَاثة فردّتنى اليك الحُنْكة ، وباعدتنى عنك الثقةُ بالأيام فأدنتنى اليك الضرورةُ، ثقةً بإسراعك الىّ وإن كنتُ أبطأتُ منك ، وقبولِك العذرَ وإن كانت ذنوبى قد سَدّت عليك مسالكَ الصَّفح؛ فأىُّ موقفٍ هو أدنى من هذا الموقف لولا أن المخاطبةَ فيه لك! وأىُّ خُطّةٍ هى أودَى بصاحبها من خُطّةٍ أنا راكبُها لولا أنها فى رِضاك ! .

أوقع الحجّاج يوما بخالد بن يزيد يَعيبه وينتقِصُه[1] وعنده عمرو بن عُتْبة : فقال عمرو : إن خالدا أدرك مَنْ قبلَه وأتعب مَنْ بعده بقديم غلَب عليه وحديثٍ لم يُسْبق اليه ؛ فقال الحجّاج معتذرا : يابن عُتْبة، إنا لنَسترضيكم بأنْ نَغْضَبَ عليكم، ونستعطفُكم

(١) الذى فى كتب اللغة : «وقع فيه : أصابه» .

بأن نال منكم، وقد غلبتم على الحلم، فوثقنا لكم به ، وعلمنا أنكم تحبون أن تحلموا ، فتعرضنا للذى تحبون .

قال المنصور لرجل أتاه تائبا معتـذرًا من ذنب : عهدى بك خطيبا فما هذا السكوت ! فقال : يا أمير المؤمنين، لسنا وفدَ مُباهاة وإنما نحن وفد توبة، والتوبةُ تُتلقّى بالاستكانة .

وقع بين أبى مسلم وبين قائد له كلام ، فأربَى عليه القائد الى أن قال له : يا لَقيط ! فأطرق أبو مسلم، فلما سكتتْ عنه فَوْرةُ الغضبِ نَدِم وعلم أنه قد أخطأ واعتذر وقال : أيها الأمير، والله ما انبسطتُ حتى بسطتَنى ولا نطقتُ حتى أنطقتَنى فاغفر لى، قال : قد فعلتُ، فقال : إنى أُحبّ أن أستوثِقَ لنفسى، فقال أبو مسلم : سبحان الله ! كنتَ تُسِيء وأُحسِن، فلما أحسنتَ أُسِيء ! .

قال الطّائى :

وكم ناكثٍ للعهدِ قد نكثتْ به * أمانيهِ واستخدَى بحقك باطلُهْ
فحاطَ له الإقرارُ بالذنب روحَه * وجثمانَه اذ لم تحُطْـه قبائلُهْ

وقال آخر :

حتى متى لا تزال معتـذرًا * من زلّة منك ما تُجانبُها
لا تتّقى عيبَها عليكَ ولا * ينهاك عن مثلها عواقبُها
لتركُكَ الذنبَ لا تقارِفه * أيسرُ من توبةٍ تقارِبُها

قال أعرابىٌّ لابن عمٍّ له : سأتخطّى ذنبَك الى عذرِك، وإن كنتُ من أحدهما على يقينٍ ومن الآخرِ على شك ؛ ليتمّ المعروفُ منّى اليك ، ولتقوم الحجّةُ منّى عليك .

عَتْبُ الإخوان والتباغُض والعداوةُ

حدّثنى الزّيادىّ قال حدّثنا عبد الوارث عن يزيدَ بن القاسم عن مُعَاذة أنها سمعت هشامَ بن عامر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "لا يَحِلّ لمُسلم أن يُصارِم مسلما فوقَ ثلاثٍ ، وأيّهما فعل فإنهما ما كانا عن الحقّ ما داما على صُرْمهما وإن ماتا لم يَدْخُلا الجنة" .

قال بعض الشعراء :

سَنّ الضغائنَ آباءٌ لنا سلَفوا * فلن تَبِيدَ وللآباء أبناءُ

هذا مثل قول أبى بكر الصّدّيق رضى الله عنه : العداوةُ تُتوارثُ .

وقرأتُ فى كتاب للهند : اذا كانت المَوْجِدة عن علّة كان الرضا مرجوًّا ، واذا كانت عن غير علة كان الرضا معدوما . ومن العجب أن يطلب الرجلُ رضا أخيه فلا يَرْضى، وأعجبُ من ذلك أن يُسْخِطَه عليه طلَبُه رضاه .

قال بعض المحدَثين :

فلا تَلْهُ عن كسب وُدّ العدوّ * ولا تجعلنّ صديقًا عدوّا

ولا تَغتَرِرْ بهُدُوّ امرئٍ * اذا هِيج فارق ذاك الهدوّا

وقال آخر :

احذَرْ مودّة ما ذِقٍ[1] * شابَ المرارةَ بالحلاوه

يُحصِى العيوبَ عليك أيـ * ـام الصداقةِ والعداوه

وقال أبو الأسود الدُّؤلىّ :

اذا المرءُ ذو القربى وذو الضِّغنْ أجحفت * به سَنَةٌ حَلّتْ مصيبتُه حِقْدِى

(١) المادق : الذى يشوب الودّ بكدر ولا يخلصه .

وقال محمد بن أبان اللّاحِقى لأخيه إسماعيلَ :

تلومُ على القطيعة مَن أتاها * وأنت سَنَنْتَها فى الناس قَبْلِي

وقال آخر :

ورُوِّعتُ حتى ما أراعُ من النّوى * وإن بان جيرانٌ علىّ كِرامُ

فقد جعلتْ نفسى على اليأس تنطوِى . وعَيْنى على هجر الصديق تنامُ

قال أحمدُ بن يوسف الكاتب :

ما على ذا كنّا افترقْنا بسِنْدا[1] * دَ ولا بيْنَنا عقَدْنا الإخاءَ

نطعنُ الناسَ بالمُثَقَّفةِ السُّمـ * ـرِ على غَدْرهم وننسى الوفاءَ

قيل لأفلاطون : بماذا ينتقم الإنسانُ من عدوّه ؟ قال : بأن يزداد فضلا فى نفسه .

وكان يقال : احذَرْ مُعاداة الذليل، فربما شَرِق بالذّباب العزيزُ .

كتب رجل من الكتّاب الى صديقٍ له تجنّى عليه :

عَتَبْتَ علىّ ولا ذنبَ لِي * بما الذنبُ فيه ولا شكّ لَكْ

وحاذرتَ لَوْمى فبادرتَنى * الى اللوم من قبل أن أبْدَرَكْ

فكنّا كما قيل فيما مضى * خُذِ اللّصّ من قبل أن يأخُذَكْ

وقال آخر :

رأيتُك لما نِلتَ مالًا، ومَسّنا * زمانٌ ترى فى حدّ أنيابه شَغْبا[2]

جعلتَ لنا ذنبا لتمنَعَ نائلا * فأمْسِكْ ولا تجعل غِناك لنا ذنبا

(١) سداد : اسم موضع . (٢) الشغب : تهييج الشرّ، وفى الأصل : «شعبا» .

وقال آخر :

تُريدين أن أرضَى وأنتِ بخيلةٌ * ومَنْ ذا الذى يُرضِى الأخِلاّءَ بالبخلِ
وجَدِّكِ لا يَرْضَى[1] اذا كان عاتبا * خليلُك إلا بالمودّةِ والبَذْلِ
متى تجمعِى مَنًّا كثيرًا ونائلًا * قليلا يُقطَّعْ ذاك باقيةَ الوصلِ

كتب رجل الى صديقٍ له :

لئن ساءنِى أن نِلتنى بمَساءةٍ * لقد سرّنى أنِّى خطرتُ ببالكِ[2]

وقال آخر :

إذا رأيتُ أزورارا من أخى ثِقةٍ * ضاقتْ علىّ برُحْبِ الأرضِ أوطانى
فإن صددتُ بوجهى كى أُكافئه * فالعينُ غَضْبَى وقلبى غيرُ غضبان

وقال إبراهيمُ بن العباس :

وقد غضبتُ فما باليَتُمُ غضبِي * حتى انصرفتُ بقلبٍ ساخطٍ راضِى

وقال زُهَيْرٌ :

وما يك فى عدوٍّ أو صديقٍ * تُخبِّرْك العيونُ عن القلوبِ

وقال دُرَيْد :

وما تُخْفِى الضغينةُ حيث كانت * ولا النظرُ الصحيحُ من السقيمِ

وقال ابن أبى خازم :

خُذْ من الدهرِ ما كَفى * ومن العيشِ ما صفا
لا تُلِحَنّ بالبكا * ء على منزلٍ عفا

(١) فى الأصل : «وجدتك لا ترضى» . (٢) هذا البيت من قصيدة لابن الدمينة مطلعها :
تعنى يا أميم القلب نفس لهانة * وشك الهوى ثم افعلى ما بدالك

حَلِّ عنـــك العتاب إن * خان ذو الـوُدّ أو هفـا
عينُ من لا يُحِبّ وصـ * ـلَك تُبدى لك الجفـا

وقال أعرابىّ يذكر أعداءً :

يُزَمِّلون[1] جَنِينَ الضِّغنِ بينهـم * والضِّغنُ أشْوهُ أوْفى وجهه كَلَفُ[2]
إن كاتَمونا القِـلَى مت عيونُهـم * والعينُ تُظْهِر ما فى القلبِ أو تَصِفُ

وقال آبنُ أبى أميّة :

كم فَرْحةٍ كانت وكم تَرْحةٍ تخرّصَتْهـا لِىَ فيـكَ الظنونْ
اذا قـلوبٌ أظهـرت غيرَما * تُضمره أنبَتْـك عنها العيونْ

وقال آخر :

أما تُبْصِـــر فى عيْـنَىَّ عُنوانَ الذى أُبدى

وقال آخر :

ومولًى كأنّ الشمس بينى وبينه * اذا ما آلتقينا ليس ممّن أُعاتِبُهْ

يقول : لا أقدِر [أن] أنظر اليه، فكأن الشمس بينى وبينه . ومثلُه :

اذا أبصَرْتَنى أعرضتَ عنّى * كأنّ الشمس من قِبَلِى تدورُ

وقال النِّمِر بن تَوْلَب فى الإعراض :

فصدّتْ كأنّ الشمس تحت قِنَاعِها * بَدا حاجِبٌ منها وضَنّتْ بحاجِبِ

أخذه أبو نواس فقال :

يا قمرا للنّصفِ من شَهْرِهِ * أبدى ضِياءً لثمانٍ بَقِينْ

يريد أنه أعرض بوجهه فبدا له نصفُه .

---

(١) زمل الشىء : أخفاه . (٢) الكلف : شىء يعلو الوجه كالسمسم و يعرف بالنمش .

وقال آخر فى الضغينة :

وفينا وإن قيل اصطلحنا تَضَاغُنٌ * كما طَرّ أو بارُ الجرابِ على النَّشْرِ[1]

وقال آخر فى نحوه :

وقد ينبُتُ المرعَى على دِمَنِ الثَّرَى * وتبقَى حَزَازاتُ النفوسِ كما هِيَا

وقال الأخطل :

إنّ الضغينةَ تَلقاها وإن قَدُمتْ * كالعُرّ[2] يكمُنُ حينا ثم ينتشرُ

شُمْسُ العَداوةِ حتى يُستقادَ لهم * وأعظمُ الناسِ أحلاما اذا قَدَروا

وقرأتُ فى كتابٍ للهند : ليس بين عداوةِ الجوهريّة صلحٌ إلا ريثما ينتكثُ، كالماء إن أُطيل إسخانُه فانه لا يمتنع من إطفاء النار اذا صُبّ عليها .

قال سعد بن أبى وقّاص لعمّار بن ياسر : إن كنا لنَعُدُّك من أكابر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، حتى اذا لم يبق من عمرك إلا طِمْءُ[3] الحمار فعلتَ وفعلتَ؛ قال : أيُّما أحبُّ اليك : مودّةٌ على دَخَلٍ أو مُصارمةٌ جميلة ؟ قال : مصارمةٌ جميلةٌ؛ قال : لله علىّ ألّا أُكلّمَكَ أبدا .

وقال بعضُ الشعراء فى صديقٍ له تغيّر :

احْوَلّ[4] عنّى وكان ينظرُ من * عينى ويَرمى بساعدى ويَدى

(١) النشر : الكلأ يهيج أعلاه وأسفله ندىّ أحمر تدقّ منه الابل (يكثر وبرها وشحمها) اذا رعته ؛ كذا ذكره صاحب اللسان فى مادة (نشر)، وقد ساق هذا البيت فى أبيات لعمير بن حباب، وقال فى تفسيره : يقول : ظاهرنا فى الصلح حسن فى مرآة العين وباطنا فاسد كما تحسن أو بار الجرب فى عين آكل النشر وتحتها داء منه فى أحوافها . قال أبو منصور : وقيل النشر فى هذا البيت : نشر الحرب بعد دهابه ونبات الوبر عليه حتى يخفى . قال : وهذا هو الصواب . يقال : نشر الحرب ينشر نشرا ونشورا اذا حيى بعد دهابه» اهـ .

(٢) العرّ : الجرب . (٣) يقال : ما بقى منه إلا قدر طِمْء الحمار أى لم يبق من عمره إلا اليسير لأنه يقال : إنه ليس شىء من الدواب أقصر طِمْأ من الحمار وهو أقل الدواب صبرا على العطش يرد الماء كل يوم فى الصيف مرتين . (٤) احولّت عينه بمعنى حولت ، والمراد الإعراض والانصراف .

وقال المُثَقِّب العَبْدىّ :

ولا تَعِدِى مواعِدَ كاذباتٍ * تمُرّ بها رياحُ الصيفِ دونِى
فإنى لو تُعانِدنى شِمالِى * عِنادَكِ ما وصلتُ بها يمينى
اذًا لقطعتُها ولقلتُ بِينِى * كذلك أجتوِى مَنْ يجتوِينى

وقال الكُمَيْت :

ولكنّ صبرًا عن أخٍ عنك صابرٍ[1] * عَزاءً اذا ما النفس حَنّ طَروبُها
رأيتُ عِذابَ الماءِ إن حِيل دونها * كفاك لِما لا بُدّ منه شَرُوبُها[2]
وإن لم يكن إلا الأسِنّةَ مركبٌ * فلا رأىَ للمَجْهودِ[3] إلا ركوبُها

وقرأت فى كتابٍ للهند : العدوّ اذا أحدث صداقة لعلةٍ ألجأته اليها فمع ذهابِ العلة رجوع العداوة، كالماء يسخن فاذا رُفِعَ عاد باردا .

قال محمد بن يزداد الكاتب : ادا لم تستطع أن تقطعَ يدَ عدوّك فقبِّلها .

قال الشاعر :

لقد زادنى حبًّا لنفسىَ أننِى * بغيضٌ الى كل امرئٍ غيرِ طائلِ
اذا ما رآنى قَطَّعَ الطرفَ دونَه * ودُونىَ فعلَ العارفِ المتجاهل
ملأتُ عليه الأرضَ حتى كأنها * من الضِّيق فى عينيه كِفّةُ حابلِ

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : اِعتزِلْ عدوّك واحذرْ صديقَك إلا الأمينَ، ولا أمينَ إلا من خشِىَ اللهَ .

الهيثم عن ابن عيّاش قال : أخبرنى رجل من الأزْد قال : كنا مع أسد بن عبدالله بخراسانَ، فبينا نحن نسير معه وقد مَدَّ نهرٌ بفاء بأمرٍ عظيم لا يوصفُ، وإذا رجل

(١) كذا فى كتاب الشعر والشعراء (ص ٣٧١ طبع أوروبا) . وفى الأصل : «لك» .
(٢) الشروب والشريب : الماء بين العذب والملح وليس يشربه الناس إلا للضرورة . (٣) فى كتاب الشعر والشعراء : « للصعر » وهى الرواية المشهورة .

يضربه الموج وهو ينادى : الغريقَ الغريقَ ! فوقف أسد وقال : هل من سابح ؟ فقلت : نعم، فقال : ويحك ! الْحَقِ الرجلَ! فوثبتُ عن فرسى وألقيتُ عنّى ثيابى ثم رميتُ بنفسى فى الماء، فما زلتُ أسبَحُ حتى إذا كنت قريبا منه قلت : ممن الرجلُ؟ قال : من بنى تميم ؛ قلت : امضِ راشدًا، فوالله ما تأخرتُ عنه ذراعا حتى غَرِق : فقال ابن عياش : فقلت له : ويحك ! أما اتقيتَ الله ! غرَّقتَ رجلا مسلما ! فقال : والله لو كانت معى لِبنةٌ لَضربتُ بها رأسَه .

طاف رجلٌ من الأزد بالبيت وجعل يدعو لأبيه ؛ فقيل له : ألا تدعو لأمك؟ فقال : إنها تميميةٌ .

وقرأت فى كتاب للهند : جانب الموتورَ وكن أحذرَ ما تكون له ألطفَ ما يكون بك، فإن السلامةَ بين الأعداءِ توحُّشُ بعضِهم (١) من بعض، ومن الأنس والثقةِ حضورُ آجالهم (٢) .

أراد الملكُ قتلَ بُزُرْجمِهْر وأن يتزوج ابنته بعد قتله ؛ فقال : لو كان ملِكُكم حازما ما جعل بينه وبين شعاره مَوْتورة .

قال أبو حازم : لا تُنَاسِبَنَّ رجلا حتى تنظر الى سَرِيرته ؛ فإن تكن له سريرةٌ حسنةٌ فإن الله لم يكن ليخذُله بمَداولتك إياه ، وإن كانت سريرتُه رديئةً فقد كفاك مساويَه، لو أردتَ أن تعمل بأكثرَ من معاصى الله لم تقدِر .

قال رجل : إنى لأغتم فى عدوّى أن أُلقِىَ عليه النملةَ وهو لا يشعُر لتؤذيَه .

وقال الأَفْوه الأَوْدِىّ :

بلوتُ الناسَ قرنا بعد قرنٍ * فلم أر غيرَ خَلّابٍ وقالِى
وذُقتُ مرارةَ الأشياءِ جمعا * فما طعمٌ أمرُّ من السؤالِ
ولم أرَ فى الخطوب أشدَّ هولًا * وأصعبَ من مُعاداةِ الرجالِ

(١) فى الأصل : «توحشة» . (٢) روى هذه الحكاية برواية أخرى فى العقد الفريد ج ١ ص ٧٩

وقال آخر :

بلاءٌ ليس يشـــبهه بلاءٌ * عداوةُ غير ذى حسبٍ ودِينِ
يُبيحكَ منه عِرضا لم يَصُنه * ويرتعُ منك فى عِرضٍ مصون

شماتة الأعـــداء

بلغ عمرو بنَ عتبةَ شماتةُ قومٍ به فى مصائبَ؛ فقـال : والله، لئن عظُم مُصابنا بموت رجالنا لقد عظُمت النعمةُ علينا بما أبقى الله لنا : شُبّانًا يَشُبُّون الحروبَ، وسادةً يُسُدُون المعروفَ، وما خُلِقْنا ومَنْ شَمِتَ بنا إلا للموت .

قيل لأيوبَ النبىّ عليه السلام : أىّ شىء كان أشدَّ عليك فى بلائك ؟ قال : شماتةُ الأعداء .

اِشتكى يزيدُ بن عبد الملك شَكاةً شـديدةً وبلغه أنّ هشاما سُرَّ بذلك ، فكتب الى هشام يعاتبه، وكتب فى آخر الكتاب :

تَمنّى رجالٌ أن أموتَ، وإن أَمُتْ * فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحدِ
وقد علِموا، لو ينفعُ العلمُ عندهم ، * متى مِتُّ ما الداعِى علىّ بُخُلّدِ
مَنيّتُـــه تجرِى لوقتٍ وحتفُـــه * يصـادفُه يوما على غير مَوعِدِ
فقل للذى يبغى خِلافَ الذى مضى * تهيّأْ لأخرى مثلِها فكأنْ قـــد

وقال الفرزدقُ :

اذا ما الدّهرُ جرّ على أُناسٍ * حوادثَه أناخ بآخرينـا
فقل للشامتين بنا أَفِيقُوا * سيلقَى الشامتون كما لَقِينا

أُغير على رجلٍ من الأعراب فذُهب بإبله فقال :

لا والذى أنا عبدٌ فى عِبادته * لولا شماتةُ أعداءٍ ذوِى إحَنِ
لسرّنى أنّ إبلى فى مَبَارِكها * وأنّ شيئًا قضاه الله لم يكنِ

وقال عدىّ بن زيد العبادىّ :

أرَواحٌ مُودِّعٌ أم بُكورُ * لكَ فانظُر لأىّ حالٍ تَصيرُ
وابيضاض السوادِ من نُذُرِ المو * تِ فهل بعده لإنسٍ نَذيرُ
أيّها الشامتُ المعيِّرُ بالدّه * رِ أأنتَ المبرَّأُ الموفورُ
أم لديكَ العهدُ الوثيقُ من الأيّـ * ـام أم أنت جاهلٌ مغرورُ
مَن رأيتَ المنونَ خلّدن أم مَنْ * ذا عليه من أن يُضَامَ مُجيرُ
أين كِسرى كسرى الملوكِ أنوشر * وانُ أم أين قبله سابورُ (١)
وأخو الحَضْرِ (٢) إذ بناه وإذ دِجـ * ـلةُ تُجبَى إليه والخابورُ (٣)
شادَهُ مَرمَرًا وجلّلَه كِلْـ * ـسًا (٤) فللطّيرِ فى ذُراه وُكورُ
لم يَهَبْه ريبُ المنونِ فباد الـ * ـملكُ عنه فبابُه مهجورُ
وتبيَّنْ ربَّ الخَوَرنق إذ أشـ * ـرفَ يوما وللهُدَى تفكيرُ
سَرّه حالُه وكثرةُ ما يَحـ * ـلِك والبحرُ مُعرِضًا (٥) والسَّدير
فارعَوى قلبُه فقال وما غِبـ * ـطةُ حىٍّ الى الممات يصيرُ
ثم بعد الفلاحِ والمُلك والنّعـ * ـمةِ (٦) وارَتْهُمُ هناك القبورُ
ثم أضحَوْا كأنهم وَرَقٌ جَفّ فالوَتْ به الصَّبا والدَّبورُ

(١) سابور الجنود وهو ابن أردشير، وسابور ذو الأكتاف وهو سابور بن هرمز، وكلاهما من ملوك العجم قبل كسرى أنوشروان . (٢) الحضر : قصر بحال تكريت بين دجلة والفرات، ويعنى بأخيه الضيزن بن معاوية بن العبيد، وخبر قصرى الحضر والخورنق مذكور فى الأغانى ج ٢ ص ١٤٠ — ١٤٦ طبع دار الكتب المصرية . (٣) الخابور : اسم نهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة . (٤) الكلس : الصاروج وهو النورة التى تطلى بها المنازل . (٥) معرضا : متسعا، ومنه أعرض الثوب أى اتسع وعرض . (٦) فى الأغانى ج ٢ ص ١٣٩ : «والإتة» وهو بمعناها .

قال ابن الكلبي : لمـا قُبِض النبيّ صلى الله عليه وسلم سمع بموته نساءٌ من كندة وحضرموت فخَضَبْن أيديهنّ وضربْنَ بالدفوف، فقال رجل منهم :

أبلِغْ أبا بكرٍ اذا ما جئتَـــه * أنّ البغـايا رُمنَ أىّ حَرامِ
أطهـرن من موت النبيّ شماتة * وخضـبنَ أيديَهـــنّ بالعُـــلّام (١)
فاقطَعْ، هُديتَ، أكفّهنّ بصارمٍ * كالبرقِ أومضَ من متون غَمـامِ

فكتب أبو بكر الى المهاجر عامله، فأخذهنّ وقطّع أيديهنّ .

وقرأت فى كتاب ذُكر فيه عدوّ : فإنه يتربّص بك الدوائرَ، ويتمنّى لكَ العوائلَ، ولا يؤمّل صلاحًا إلا فى فَسادك، ولا رِعمةً إلا فى سقوط حالك والسّلام .

---

(١) العلام بالتشديد : الحمار، عن ابن الأعرابى .

وجد بالأصل فى آخر هذا الكتاب ما نصّه :

آخر كتاب الإخوان، وهو الكتاب السابع من عيون الأخبار، تأليف أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَرِىّ رحمة الله عليه . وكتبه الفقير الى الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن على الواعظ الجزرىّ، وذلك فى شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة . وصلى الله على سيدنا محمد النبىّ وآله الطاهرين .

وفى هذه الصفحة عينها وجد ما يأتى — وهو من زيادة الناسخ — :

قيل قدم المهدى أمير المؤمنين، وقيل الرشيد[1]، فتلقّاه الناس، وتلقّاه أبو دُلَامة فى جملة الناس، فأنشده :

إنى نذرتُ لئن رأيتُك سالما * بقُرَى العراق وأنت ذو وَفْرِ
لتصلّين على النبىّ محمد * ولتملأن دراهمًا حِجْرِى

فقال له أمير المؤمنين : أما الأولى فنعمْ . اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد ، وأما الأخرى فلست أفعل، فقال أبو دلامة: يا أمير المؤمنين ما نذرت إلا الاثنين، فضحك وأمر حتى ملئوا حجرَه دراهم .

شاعر[2] :

ولقد تنسمتُ الرياحَ لحاجتى * فاذا لها من راحتيكَ نسيمُ
ولربّما استيأستُ ثم أقول لا * إن الذى ضمن النجاحَ كريمُ

(١) لم يدرك أبو دلامة خلافة الرشيد إذ أنه توفى سنة إحدى وستين ومائة ، وتولى الرشيد الخلافة سنة سبعين ومائة، ثم قال ابن خلكان : ويقال إنه عاش الى أيام الرشيد . (٢) هو أبو العتاهية .

كتاب الحوائج

استنجاح الحوائج[1]

حدثنى أحمدُ بن الخليل قال حدثنا محمدُ بن الحَصيبِ قال حدثنى أوسُ بن عبد الله بن بُريدَة عن أخيه سهل بن عبد الله بن بُريدة عن بُريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اِسْتعينُوا على الحوائج بالكتمانِ فإنّ كلّ ذى نِعمةٍ محسودٌ" .

قال خالدُ بن صفوان : لا تَطلُبوا الحوائجَ فى غير حينها، ولا تطلبوها الى غير أهلها، ولا تطلُبوا ما لستم له بأهلٍ فتكونوا لمنع خُلَقَاءَ .

قال شبيبُ بن شبة : إنّى لأعرف أمرًا لا يتلاقَى به آثنانِ إلّا وجب البُجْحُ بينهما؛ فقال له خالدُ بن صفوانَ : ما هو؟ قال : [العقل[2]، فإنّ] العاقل لا يَسأل مالا يجوز ولا يُرَدُّ عما يُمكن، فقال له خالد : تَعَيَّتَ الىّ نفسى ! إنّا أهلُ بيتٍ لا يموتُ منا أحدٌ حتى يرى خَلَفَه .

---

(١) الحوائج : جمع حاجة على غير قياس ، وجمعها القياسى : حاج وحاجات ، وقد أنكر الأصمعى حوائج وقال هو مولد . قال الجوهرى : وإنما أنكره لخروجه عن القياس وإلا فهو كثير فى كلام العرب ، ثم استشهد بكثير من الشعر وبأحاديث ذكرها المؤلف هنا . والنحويون يزعمون أنه جمع لواحد لم ينطق به وهو حاجة . وذكر بعضهم أنه سمع حائجة لغة فى الحاجة . (٢) التكملة من العقد الفريد ج ١ ص ٩٠ طبع ولاق .

أبو اليقظان قال : كان بنو رَبيعة — وهم من بنى عِسْلِ[1] بن عمرو بن يربوع — يُوصونَ أولادهم فيقولون : استعينوا على الناس فى حوائجكم بالتثقيل عليهم، فذاك أنجح لكم .

قال الشاعر :

هَيبـةُ الإخوان مَقْطَعـةٌ * لأنحى الحاجاتِ عن طَلَبِهْ
فإذا ما هِبتَ ذا أمَـلٍ * مات ما أمّلتَ من سببِهْ

وقال أبو نُوَاس :

وما طالبُ الحاجاتِ ممّن يَرومُهـا[2] * من الناس الا المُصبِحونَ على رِجْلِ
تأنّ مواعيـدَ الكرامِ فربّمـا * أصبتَ من الإلحاح سَمْحًا على بُخْلِ

والبيتُ المشهور فى هذا :

إنّ الأمورَ اذا انسدّتْ مَسَالِكُها * فالصـبرُ يفتحُ[3] منها كلّ ما ارتَتجَا
أخْلِقْ بذي الصبر أن يحظَى بحاجته * ومُدمِنِ القَرْع للأبواب أن يلِجَا
لا تيأسَنّ وإن طالتْ مُطالبةٌ * إذا استعنتَ بصبرٍ أن ترى فرجَا

وقال آخرُ :

إنّى رأيتُ، وللأيّامِ تجـرِبةٌ، * للصبرِ عاقبـةً محمـودةَ الأثرِ
وقلّ مَنْ جَدّ فى أمرٍ يُطالبه * واستصحبَ الصبرَ[3] إلّا فاز بالظّفَرِ

---

(١) ورد هذا الاسم بالأصل محرفا هكذا : « غسان » وصوابه كما أثبتناه (انظر القاموس وشرحه مادة عسل) .

(٢) روى هذا فى اللسان مادة رجل هكذا :

* ولا يدرك الحاجات من حيث تبتغى *

(٣) فى العقد الفريد ج ١ ص ٨٩ : « يحاوله » .

والعرب تقول : «رُبَّ عَجَلَة تَهَبُ رَيْثًا» . يريدون أن الرجل قد يَخرَقُ ويعجل فى حاجته فتتأخر أو تبطُل بذلك . وتقول : «الرَّشْفُ أنقَعُ» . يريدون أن الشراب الذى يُترشَّفُ رُويدًا رُويدًا أقطعُ للعطش وإن طال على صاحبه .

وقال عامر بن خالد بن جعفر ليزيدَ بنِ الصَّعِقِ :

إنك إن كلَّفتَنى ما لم أُطِقْ * ساءكَ ما سرَّكَ مِنّى من خُلُقْ

وكانوا يَستنجِحُون حوائجَهم بركعتين يقولون بعدهما : اللهم إنّى بكَ أستفتِحُ ، وبكَ أستنجِحُ ، وبمحمّد نبيك اليك أتوجّه ، اللهم ذَلِّلْ لى صعوبتَه ، وسَهِّلْ لى حُزونتَه ، وارزُقنى من الخير أكثرَ مما أرجُو ، واصرِف عنّى من الشرّ أكثرَ مما أخاف .

وقال القَطامىُّ :

قد يُدرِكُ المتأنّى بعضَ حاجتِه[1] * وقد يكونُ مع المستعجِلِ الزَّلَلُ

عمرُو بن بحر عن إبراهيم بن السِّنْدىّ قال : قلت فى أيام ولايتى الكوفةَ لرجلٍ من وجوهها ، كان لا يجِفّ لِبْدُه ولا يستريح قلبُه[2] ولا تسكن حركته فى طلب حوائج الرجال وإدخال المرافق على الضعفاء وكان رجلا مُفوّهًا ، خبِّرنى عن الشىء الذى هوّن عليك النَّصَبَ وقوّاكَ على التعب ما هو؟ قال : قد والله سمعتُ تغريدَ الطير بالأسحار ، فى أفنان الأشجار ، وسمعتُ خَفْقَ أوتارِ العيدان ، وترجيعَ أصوات القِيانِ الحسان ، ما طرِبتُ من صوتٍ قطُّ طربى من ثناء حسنٍ بلسانٍ حسنٍ على رجلٍ قد أحسن ، ومِن شكرِ حُرٍّ لمنعِمٍ حُرٍّ ، ومن شفاعة مُحتَسِبٍ لطالبٍ شاكرٍ . قال إبراهيم : فقلتُ : لله أبوك لقد حُشِيتَ كرما فزادكَ الله كرما ، فبأىّ شىء سَهُلَتْ عليك المعاودةُ والطلبُ؟

(١) كذا فى ديوان القطامى وهى الرواية المشهورة فى كتب الأدب . وفى الأصل : * قد يدرك المتأنى بعدُ حاجتَه * وهى رواية جيدة . (٢) كذا فى العقد الفريد ج ١ ص ٨٦ ، وفى الأصل : «قلبه» .

قال لأنى لا أمنع المجهودَ ولا أسأل مالا يجور، وليس صدقُ العذر أكرَهَ الىّ من إمحار الوعد، ولست لإ كداء لسائل أكره منّى للإجحاف بالمسئول ، ولا أرى الراعىَ وحىَ علىّ حقًّا للذى قدّم من حسن ظنه من المرعوب اليه الذى احتمل من كَلِّه[1] .

قال ابرهيم . سمعتُ كلاما قطُّ أشدَّ موافقة لموضعه ولا أليق بمكانه من هذا الكلام .

وقال مُصعبٌ

فى القوم مُعتصمٌ بصولة أمره * ومُقصّرٌ أودَى به التقصيرُ
لا ترْض منزلة الذليل ولا تُقِمْ * فى دار مَعجزةٍ وأنتَ حسيرُ
واذا هممت فأمضِ همَّكَ إنما * طلب الحوائج كلُّه تعزيرُ

وكان يقال اذا أحببتَ أن تطاع، فلا تَسألْ ما لا يستطاع .

وقال الحوائج تُطلبُ بالرجاء، وتُدركُ بالقضاء .

الاستنجاح بالرّشوة والهديّة

حدّثنى زيد بن أخرم عن عبد الله بن داود قال سمعتُ سفيانَ الثورىّ يقول: اذا أردتَ أن تروّح فأهدِ للأمّ . والعرب تقول « من ضابع[2] لم يحتشِم مِنْ طلب الحاجة .

قال ميمون بن ميمون اذا كانت حاجتُك الى كاتبٍ فليكن رسولُكَ الطمعَ .

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : نعم الشىء الهديّةُ أمامَ الحاجةِ .

---

(١) الكلّ الضعيف العاجز وهو من كلّ ما يكلف (٢) ضابع هادٍ .

وقال رؤبة :

لما رأيتُ الشُّعَراءَ لَدُّوا[1] * وسألوا أميرَهم فأكدوا[2]
ماسَّتهم[3] برشوةٍ فأقردوا[4] * وسَهَّل الله بها ما شدَّدُوا

وقال[5] آخر :

وكنتُ اذا خاصمتُ خصماً كبتُّه * على الوجه حتى خاصمتني الدراهمُ
فلما تنازعنا الخصومةَ غُلِّبتْ[6] * عليّ وقالوا قم فإنك ظالمُ

والعرب تقول فى مثل هذا المعنى «مَنْ يَخطُبِ الحَسْناءَ يُعطِ مَهرًا» يريدون مَن طلب حاجةً مُهِمَّةً بذل فيها .

وقال بعضُ المُحْدَثين .

ما من صديقٍ وإن تمت[7] صداقته . يومًا بأنجحَ فى الحاجات من طَبَقِ
اذا تلثَّم بالمِنديل مُطلقا * لم يَخشَ سَوْءةَ ثوابٍ ولا غَلَقِ
لا تكدِّنَّ[8] فإنّ الناس مُذ خُلِقُوا * لرعيه يكرمون الناسَ أو فَرَقِ[9]

وقال آخر .

ما أرسل الأقوامُ فى حاجةٍ * أمضى ولا أنجحَ من درهمِ
يأتيك عفوًا بالذى تشتهى * نِعم رسولُ الرجلِ المسلمِ

(١) يقال . لدّ الرجل اذا لم يجد لشىء ، ولدّ اذا كسر فى العمل وضعف . (٢) أى سعوا الحاجة ولم يعطوا . (٣) يقال : ماسّ الرجل صاحبه مماسة وماسا اذا ساوره . (٤) يقال : أقرد الرجل وقرد اذا ذلّ وخضع . (٥) هو رجل من ولد طلحة (سمط فى الكامل بالعلم صحح الطاء وسكون اللام وكسرها وانصر فى المعارف على كسر اللام) بن عبيس بن عاصم (انظر الكامل للمبرد ج ١ ص ٨٤ طبع أوربا) . (٦) يقال غلب الرجل على صاحبه اذا حكم له عليه بالعلة . (٧) فى المحاسن والأضداد للجاحظ ص ٣٦٧ طبع أوربا . « أبدى مودّته » . (٨) فى المحاسن والأضداد « لا تكثرنّ » . (٩) فى المحاسن والأضداد « صنع » .

الاستنجاح بلطيف الكلام

حدثنى سهلُ بن محمد عن الأصمعىّ قال : دخل أبو بكر الهَجَرِىّ على المنصور فقال يا أمير المؤمنين غَصَصْ فى وأنا أكل بلت بركة ، فلو أدِيتَ لى فقبَّلتُ رأسك لعل الله يُشَدِّدُ لى مسه ! فقال أبو جعفر . اختَرْ منها ومن الجائزة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أهون على من ذهابِ درهم من الجائزةِ ألّا تَبْقى فى فمى حاكّةٌ[٢] .

قال أبو حاتم وحدثنا الأصمعىّ عن حنَف قال : كنتُ أرَى أنّه ليس فى الدنيا رُقْية إلا رقية الحيّات ، فاذا رقية لخبرِ أسهلُ ، يعنى ما يتكلّفه الناسُ من الكلام لطلب الحيلة .

قال رجلٌ للفضل بن سَهْل يسأله : الأحلُ آفةُ الأمَل ، والمعروفُ ذخيرةُ الأبد ، والرَّغبةُ غنيمةُ الحازم ، والعزيمةُ مصيدةُ ذوى القدرة ؛ فأمَر وهبًا كاتبَه أن يكتُبَ الكلماتِ . ورفع اليه رُقْعةً[٣] فيها . يا حافظ مَنْ يُضَيِّع نفسَه عنده ، ويا ذاكر مَنْ يَنْسَى نصيبَه منه ، ليس كتابى إذا كتبتُ استبطاءً ، ولا إمساكى إذا أمسكتُ استعفاءً ، لكنّ كتابى اذا كتبتُ تذكِرةٌ لك ، وإمساكى إذا أمسكتُ ثِقةٌ بك .

وقال رجل لآخر : ما قصرتْ بى همّتى صيَّرتنى اليك . ولا أخّرنى ارتيادُ دلّنى عليك ، ولا قعَد بى رجاءُ حدانى الى بابك . وبحَسْبِ معتصِمٍ بك ظَفَرٌ بفائدةٍ وغنيمةٍ ، ونجْحٌ لمؤمِّلٍ وسَعيد .

دخل الهذيل بن زُفر على يزيد بن المُهلَّب فى حَمَالاتٍ[٤] لَزِمنه ، فقال له : قد عَظُم شأنُك عن أن يستعان بك أو يستعانَ عليك ، ولستَ تصنع شيئًا من المعروف إلا وأنت أكثرُ منه ، وليس المَحَكُّ أن تفعل ، وإنما المحكُّ مِن ألّا تفعل .

(١) ما يتعلق به الإنسان من طعام وحرّك . (٢) الحاكة السنّ لأنها تحك صاحبتها أو تحك ما تأكله . صفة غالبة . (٣) فى الأصل : « وقع » . (٤) الحمالات جمع حمالة (بالفتح) وهى ما تحمله الإنسان من دية أو غرامة .

قال الحَمْدُونيّ فى الحسين بن أيوب وإلى البَصْرة :

قُلْ لابنِ أيّوبَ قد أصبحتَ مأمولَا ... لا زال بابُك مَغْشِيًّا وماهُولَا
إن كنتَ فى عُطْلةٍ فالصدرُ متّصلٌ ... وصِلْ وإن كنتَ بالسلطانِ موصولَا
شرُّ الأحِلّاءِ مَنْ وَلّى فقاه اد ... كان لمولًى وأعطَى البِشْرَ معرولَا
مَنْ لم يُسَمِّنْ حوادًا كان يركبُه ... فى الحضبِ قام به فى الجَدْبِ مهزولَا
اِفْرُغْ لحاجاتنا ما دمتَ مشغولا ... لو قد فرغتَ لقد أُلفيتَ مبذولا

وقال آخر :

ولا تَعْتَذِرْ بالشُّغْلِ عنّا فإنما ... تناطُ لك الآمالُ ما اتّصل الشُّغْلُ

وأتى رجلٌ بعضَ الوُلاة، وكان صديقه، فتشاغل عنه، فتراءى له يومًا، فقال: اعذِرْنى فإنّى مشغول، فقال : لولا الشغلُ ما أتيتُك .

وكتب رجلٌ الى صديقٍ له : قد عرضَتْ قِبَلَكَ حاجةٌ، فإنْ نَجَحتْ بك فالفابى منها حَظّى والباقى حظُّك، وإن تَعْتذِرْ فالخيرُ مظنونٌ بك والعذرُ مُقَدَّمٌ لك .

وفى فصلٍ آخر : قد عَذَرك الشُّغْلُ فى إغفالِ الحاجةِ وعذَرنى فى إنكارك .

وفى فصل آخر: قد كان يجب ألّا أشكوَ حالى مع علمك بها، ولا أقتضيَك عمارتَها بأكثرَ من قدرتِك عليها ، فلربّما نِيلَ العِنَى على يَدَىْ مَنْ هو دونَك بأدنى مِن حُرْمتى . وما أستَصْعِرُ ما كان منك إلا عنك، ولا أستقِلُّه إلا لك .

وقال آخر: إن رأيتَ أن تُصَفِّد يدًا بصنيعةٍ باقٍ ذكرُها جميلٍ فى الدهر أثرُها، تَغتنمُ عِزَّه الزمان فيها وتُبادر فَوْتَ الإمكان بها، فافعَلْ .

قَدِم على زِيادٍ نفرٌ من الأعراب فقام خطيبهم فقال: أصلح الله الأميرَ! نحن، وإن كانت نزَعت بنا أنفُسُنا إليك وأنصبا(١) ركائبنا نحوك التماسًا لفضلِ عَطائك ،

(١) أنصبا : أهزلا .

طلون بأنه لا مانِعَ لما أعطى الله ولا مُعْطِيَ لما منَع ؛ وإنما أنت أيها الأميرُ خازنٌ ونحنُ رائدون ، فإنْ أُذِنَ لك فأعطيتَ حَمِدْنا اللهَ وشكرناك ، وان لم يُؤذَنْ لك فمنعتَ حَمِدنا الله وعَذَرناك ، ثم جلس ؛ فقال زياد لجلسائه : تاللهِ ما رأيتُ كلاماً أبلغَ ولا أوجَزولا أنفعَ عاجلةً منه ، ثم أمر لهم بما يُصْلِحُهم .

دخل العَتّابيّ على المأمون ، فقال له المأمون : خُبِّرتُ بوَفاتِك فغَمَّتْنى ، ثم جاءتنى وِفادتُك فسَرَّتْنى ؛ فقال العتابى : لو قُسِمتْ هذه الكلماتُ على أهل الأرض لوَسِعَتْهم ؛ وذلك أنه لا دِينَ إلا بِك ولا دُنْيا إلا معك ؛ قال : سَلْنِي ، قال : يَداكَ بالعطيَّة أطلقُ من لسانى .

قال نُصَيْب لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ، كَبِرتْ سِنِّى ورَقَّ عَظْمِى ، ونُلِيتُ ببُنَيّاتٍ نَفَضتُ عليهنّ من لونى فكَسَدْنَ علىّ ؛ فرَقَّ له عمر ووصَله .

سأل رجلٌ أَسَدَ[1] بن عبد الله فاعتلّ عليه ؛ فقال : إنى سألتُ الأميرَ من غير حاجةٍ ؛ قال : وما حَمَلك على ذلك ؟ قال : رأيتُك تُحِبُّ مَنْ لك عنده حسنُ بَلاء ، فأحببتُ أنْ أتعلّق منك بحبلِ مَوَدّة .

لَزِم بعضُ الحكماءِ بابَ بعض ملوكِ العجم دهرًا فلم يَصِلْ اليه ، فتَلَطّف للحاجب فى إيصال رُقْعةٍ فعل ، وكان فيها أربعةُ أسطُرٍ .

السطرُ الأوّلُ " الأملُ والضّرورةُ أقدماني عليك " .

والسطرُ الثانى " والعُدْمُ لا يكونُ معه صبرٌ على المُطَالبة " .

والسطرُ الثالثُ " الإسرافُ بلا فائدةٍ شماتةٌ للأعداء " .

---

(١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٩٥ طبع بولاق) « سأل رجل خالدا القسرى حاجة الخ » .

والسطرُ الرابعُ " فإمّا نَعَمْ مثمرةٌ ، وإمّا لَا مُرِيحةٌ " . فلما قرأها وَقَع فى كلّ سطرٍ : زه(١) ؛ فأُعطِىَ ستّةَ عَشَرَ ألفَ مِثقالِ فِضّة .

دخل محمد بن واسع على قُتَيبة بن مُسْلِم ، فقال له : أتيتُك فى حاجةٍ رفعتُها الى الله قبلَك ، فإنْ تَقْضِها حَمِدنا الله وشكرناكَ ، وإن لم تَقْضِها حَمِدنا الله وعَذَرناك ؛ فأمر له بحاجته . وقال له أيضا فى حاجةٍ أُخرى : إنى أتيتُك فى حاجةٍ ، فإنْ شئتَ قضيتَها وكّا جميعًا كريمينِ ، وإنْ شِئتَ منعتَها وكّا جميعًا لئيمينِ(٢) .

أتى رجلٌ خالدَ بن عبد الله فى حاجةٍ ، فقال له : أتكلّمُ بُجْراة اليأسِ أم بهيبةِ الأمَلِ ؟ قال : بل بهيبة الأمل ، فسأله حاجتَه فقضاها .

وقال أبو سَمّاكٍ لرجل : لم أُصُنْ وجهى عن الطَّلَبِ اليك ، فصُنْ وجهَك عن ردّى ، وضَعْنى من كرمِك بحيثُ وضعتُ نفسى من رجائك .

قال المنصور لرجل : ما مالُك ؟ قال : ما يَكُفُّ وجهى ويَعْجِز عن بِرِّ الصّديق فقال : لقد تلطّفتَ للسؤال ، ووصَله .

وقال المنصور لرجلٍ أَحْمَدَ منه أمرًا : سَلْ حاجتَك فقال : يُبقيك الله يا أمير المؤمنين ؛ قال : سل ، فليس يمكّك ذلك فى كلّ وقتٍ ؛ فقال : ولِمَ يا أمير المؤمنين !

---

(١) كلمة « ز ه » فى لغة الفرس معناها أحسنت . وفى العقد الفريد ج ١ ص ١٠٠ « فلما قرأها وقع تحت كل سطر منها ألف مثقال وأمر له بها » . (٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٩٠) بعد هذا الكلام تفسير لهذه الجملة هذا نصه : « أراد إن قضيتها كنت أنت كريما بقضائها وكنت أنا كريما سؤالك إياها لأنى وضعت الطلبة فى موضعها ، وإن لم تقضها كنت أنت لئيما بمنعك وكنت أنا لئيما سؤالى إياك لأنى سوء اختيارى لك » والجزء الأخير من هذا الشرح يشبه قول أبى تمام :

عيشى إليك للئيم وإنى * مذ صرتَ موضع حاجتى للئيم

فوالله لا أستقصر عمرَك ولا أرهَبُ بُخْلَك ولا أغتنم مالَك وإنّ سؤالَك لزَيْنٌ، وإنّ عطاءَك لَشَرف، وما على أحدٍ بَذَل وجهَه اليك نقصٌ ولا شَيْنٌ ، فأمَر حتّى مُلِئَ فُوه دُرًّا .

قال أبو العبّاس لأبى دُلَامة : سَلْ حاجتَك. قال : كلبٌ؛ قال : لك كلب. قال : ودابّة أتصيد عليها؛ قال : ودابة. قال : وغلام يركب الدابّة ويصيد؛ قال : وغلام . قال : وجارية تُصْلِح لنا الصيدَ وتُطْعِمنا منه ؛ قال : وجارية . قال : يا أمير المؤمنين، هؤلاء عِيال ولا بدّ من دارٍ؛ قال : ودار . قال : ولا بدّ من ضَيْعةٍ لهؤلاء؛ قال : قد أقطعتك مائةَ جَريبٍ عامرة ومائة جريب غامرة . قال : وأى شيءٍ الغامرة؟ قال : ليس فيها نباتٌ. قال: فأنا أُقْطِعك ألفا وخمسمائةِ جريبٍ من فيافى بنى أسَدٍ؛ قال : قد جعلتُها [كلَّها لك](١) عامرةً . قال : أُقبِّل يدَك ؛ قال : أمّا هذه فدَعْها . قال : ما منعتَ عِيالى شيئًا أهونَ عليهم فقدًا(٢) منها .

قال عبد الملك لرجل : مالى أراك واجِمًا(٣) لاتَنْطِق؟ قال : أشكو اليك ثِقَلَ الشَّرَف؛ قال : أعِينوه على حَمْله .

رأى زياد على مائدته رجلا قبيحَ الوجه كثيرَ الأكل ، فقال له : كم عيالُك ؟ قال : تسع بنات . قال : أين هنّ منك ؟ قال : أنا أجملُ منهنّ وهنّ آكلُ منّى؛ قال : ما أحسَنَ ما تَلَطّفتَ فى السؤال وفَرَضَ له وأعطاه .

---

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٩٨ طبع بولاق ، وقد ذكر هذه الحكاية صاحب الأغانى فى أخبار أبى دلامة بتوسع عما هنا بالجزء التاسع ص ١٢١ طبع بولاق . (٢) فى الأصل : « فقدا منه » وفى الأغانى : « ما منعت عيالى شيئا أقل ضررا عليهم منها » . (٣) الواجم : الذى اشتدّ حزنه حتى أمسك عن الكلام ، وقد ساق صاحب العقد الفريد (ج ١ ص ٩٥) هذه الحكاية بأوسع مما هنا .

To: www.al-mostafa.com

وقفتْ عجوزٌ على قيس بن سعد فقالت : أشكو اليك قِلّة الجِرْذَانِ ؛ قال : ما أحسَنَ هذه الكناية ! املئوا بيتها خبزا ولحما وسمنا وتمرا .

وقال بعض القُصّاص فى قَصَصِه : اللهم أَقِلَّ صِبْيانَنا وأكثِرْ جِرْذانَنا .

كان سليمان بن عبد الملك يأخذ الوليَّ بالولىِّ والجارَ بالجارِ ؛ فدخل عليه رجلٌ وعلى رأسه وَصِيفةٌ رُوقةٌ(١) ، فنظر اليها ، فقال سليمان : أأعجبتك؟ قال : بارك الله لأمير المؤمنين فيها ! قال : هات سبعة أمثالٍ فى الأستِ وخُذْها ، فقال : «صرّ عليه الفنزوُ(٢) أستَه» . قال : واحد . قال : «أستُ البائنِ(٣) أعلم» ، قال : اثنان . قال : «أستٌ(٤) لم تُعوِّدِ المِجمَرَ تَحْتَرِقُ» ، قال : ثلاثة . قال : الحُرُّ يُعْطِى والعبدُ(٥) يَجْمَح بأستِه» ، قال : أربعة . قال : «أستى أخبثى(٦)» ! قال : خمسة . قال : « عادَ سَلَاها فى أستِها(٧) » ؛

(١) الوصيفة : الجارية ، والروقة (بالضم) : الحسناء الجميلة . (٢) يضرب لمن ضيق عليه تصرفه أمره . (٣) البائن : الذى يكون عند حلب الناقة من جانبها الأيسر ، يقال للذى من الجانب الآخر : المعلى أو المستعل ، وهو الذى يعلى العلبة الى الضرع . وأصل المثل أن رجلا أضلّ إبله ووجدها فى مُرّة فاستنجد بالحارث بن ظالم المرّى فردّها عليه إلا ناقة كانت عند رجلين يحلبانها ، فقال لهما الحارث : خليا عنها فليست لكما ، وأهوى اليهما بالسيف فضرط البائن وقال المعلى : والله ما هى لك ، فقال الحارث : "إست البائن أعلم" فأرسلها مثلا : يضرب لمن ولى أمرا وصَلِىَ به فهو أعلم به ممن لم يمارسه ولم يَصْلَ به ، وقيل : يضرب لكل ما ينكر وشاهده حاضر . (٤) يضرب لمن حصل فى نعمة لم يعهدها . وأصله أنّ ماوية بنت عَفْزَر كانت ملكة وكانت تتزوج من أرادت ، وربما بعثت غلمانها ليأتوها بأوسم من يجدونه بالحيرة ، فجاءوها بحاتم الطائى ، فقالت له : استقدم الى الفراش ، فقال هذه الجملة . أراد : إنى أعرابىّ متقهل (يابس الجلد متقشف) لم أتعوّد الطيب والترف . (٥) الذى فى الأمثال الميدانى : « الحرّ يعطى والعبد يأنف قلبه » وقال : يعنى أنّ اللئيم يكره ما يجود به الكريم . وقال فى فرائد اللآل : يضرب لمن يبخل ويأمر غيره بالبذل . (٦) لم يذكر هذا المثل الميدانى ، وذكره الزمخشرى فى كتابه المستقصى فى أمثال العرب ومنه نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٢٣ أدب ؛ وقال فى شرحه : « يضرب فى وضع الشىء فى غير موضعه » ، وأصله أنّ سعد بن زيد مناة زوّج أخاه مالكا التوأم بنت حُلّ بن عدى رجاء أن يولد له ، وكان محمقا ، فانطلق به الى بيت العروس فأبى أن يلج البيت ، فقال له : « لج مالِ ولجت الرجم » (أى القبر) ؛ حتى ولج ونعلاه معلقتان فى ذراعيه ، فقال له : ضع نعليك ، فقال : ساعداى أحرز لهما ، ثم أتى بطيب فجعله فى أسته ، فقالوا له فى ذلك ، فقال : « استى أخبثى » . (٧) السلى : الجلدة التى يكون فيها الولد ، من الناس والمواشى .

قل . سنة . قال : « لا ملك نقيت ولا حرك أنقيت » ، قال : ليس هذا من ذاك ، قال : أحدثُ الحارَ بالحارِ كما يفعلُ أمير المؤمنين ! قل : حذها .

قال يزيد بن المهلب لسليمانَ فى حَمالةٍ[٢] كلمه فيها : يا أميرَ المؤمنين ، واللهِ لحمدُها خيرٌ منها ، ولذِكرُها أحسنُ من جمعها ، ويَدى مبسوطةٌ ببذلك فابسُطْها لسؤالها .

قطع عبدُ الملك بن مروان عن آل أبى سفيان أشياء كان يُجْريها عليهم ، لِتَباعُدِ كان بينه وبين خالدِ بن يزيدَ بن معاوية ، فدخل عليه عمرُو بن عُتْبة فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أدْنَى حقِّك مُتْعِبٌ وتَقَصِّيهِ فادِحٌ ، ولنا مع حقك علينا حقٌّ عليكَ ، لقرابتنا منك وإكرامِ سلَفنا لك ، فأنظر الينا بالعين التى نظروا بها اليك ، وضَعْنا بحيث وضَعَتْنا الرَّحِمُ منك ، وردنا بقدر ما زادك الله ، فقال : أفعلُ ، وإنما يَستحقّ عطيّتى من استعطاها ، فأمّا من ظنّ أنه يَستغنى بنفسه فسَنَكِلُه إليها ، يعترض بخالد ، فبلغ ذلك خالدا ، فقال : أمّا عمرٌو فقد أعطى من نفسه أكثرَ مما أخذ ، أَوَ بالحرمان يتهدّدنى ! يدُ الله فوق يده مانِعةٌ ، وعطاؤه دونه مبذول .

أتى رجل يزيدَ بن أبى مسلم برُقْعةٍ يسأله أن يرفعَها الى الحجّاج ، فنظر فيها يزيدُ فقال : ليست هذه من الحوائج التى تُرفع الى الأمير ، فقال له الرجل : فإنى أسألك أن ترفعها ، فلعلّها توافق قَدَرًا فيقضيَها وهو كارِهٌ ، فأدخَلَها وأخبره بمقالة الرجل ، فنظر الحجاج فى الرُّقعة ، وقال ليزيدَ : قلْ للرجل : إنها وافقتْ قَدَرا وقد قضيناها ونحن كارهون .

---

(١) أصله أن رجلا كان فى سفر ومعه امرأته ، وكانت عاركا (حائضا) فطهرت ، وكان معهما ماء يسير فاغتسلت ، ثم بكعها لغسلها وفقدت الماء فبقيا عطشانين ، فقال لها ذلك .

(٢) الحمالة (بالفتح) : ما يحمله الإنسان عن غيره من دية أو غرامة .

دخل بعض الشعراء[1] على بِشر بن مَرْوان فأنشده :

أَغْفَيْتُ عند الصبح نومَ مُسَهَّدٍ * فى ساعة ما كنتُ قبلُ أنامُها
فرأيتُ أنك رُعْتَنى بوليدةٍ * مَفْنُوجةٍ[2] حَسَنٍ علىّ قيامُها
وبِبَدْرةٍ حُمِلَت الىّ وبغلةٍ * دهماء مُشْرِفةٍ[3] يَصِلُّ[4] لِجامُها
فدعوت ربّى أن يُثيبك جنّةً * عِوضًا يُصيبك بردُها وسلامُها

فقال له بشر : فى كل شىء أصبتَ إلا فى البغلة فإنى لا أملِك إلا شُهْبا : فقال : إنى والله ما رأيتُ إلا شُهْبًا .

قال رجل لمعاوية : أقْطِعْنى البَحْرين، قال : إنى لا أصِلُ الى ذلك . قال : فاستَعمِلْنى على البَصْرة، قال : ماأُريدُ عَزْل عامِلها . قال : تأمرُ لى بألفَيْنِ، قال : ذاك لك . فقيل له : وَيْحَك ! أرضِيتَ بعد الأُولَيَيْنِ بهذا ! قال : آسكتوا لولا الأُوليَان ما أُعطِيتُ هذه .

جاء أعرابىّ الى بعض الكتّاب فسأله ، فأمر الكاتبُ غلامَه بيمينه أن يعطيَه عشرة دراهم وقميصًا من قُمُصه ، فقال الأعرابىّ :

حوِّل العَقْد بالشمال أبا الأصـ * ـبَغ واضْمُمْ الى القميص قميصَا
إن عَقْدَ اليمين يَقْصُر عنّى * وأرى فى قميصكم تَقْليصَا

يقول : حوّل عَقْد اليمين وهو عشرة[5] الى عَقْد الشمال وهو مائة .

(١) هو الحكم بن عبدل كما فى الأغانى (ج ٢ ص ٤٠٧ طبع دار الكتب المصرية) . (٢) لم نعثر على هذه الصيغة فى معاجم اللغة ، والذى بها : امرأة مفتاج ومغنجة : حسنة الدل ، ووجد هذا الشعر منسوبا الى حمزة بن بيض فى الأغانى (ج ١٥ ص ٢٣ طبع بولاق) وروايته مختلفة عن روايتى الأغانى الأولى وهذا الكتاب ، وفيه موسومة بدل مفنوجة . وفى العقد الفريد (ج ١ ص ١٠٣) «مفلوجة» . (٣) مشرفة : سريعة العدو ، والمشرفة أيضا : العالية المرتفعة . (٤) يصل : يصوّت . (٥) كان للعرب حساب غير ما هو معروف اليوم ولهم فى ذلك اصطلاحات فى أصابع اليد ، فالعشرة يُدلّ عليها بجعل السبابة فى اليد اليمنى حلقة فاذا أريد المائة جعلت السبابة اليسرى حلقة وغير ذلك (انظره بتفصيل فى الجزء الثالث من كتاب بلوغ الأرب للآلوسى ص ٣٩٦ — ٤٠٢ طبع بغداد) .

سأل أعرابيّ فقال فى مسألته : لقـد جُعتُ حتى أكلتُ النّوى المُحرَق ولقد مَشَيتُ حتى انتعلتُ الدّمَ وحتى سقط من رجلى بَخَصُ[1] لحمٍ وحتى تمنّيت أنّ وجهى حِذاءٌ لِقَدَمى[2]، فهل من أخٍ يرحمنا ؟ .

وسأل آخرُ قومًا فقال : رَحِم الله امرأ لم تَمْجُجْ أذناه كلامى، وقدّم لنفسه مَعَاذًا من سوء مُقامى، فإن البلاد مُجْدِبة[3]، والحالَ مُضْعِبة، والحياءَ زاجرٌ يمنع من كلامكم، والعُدْمَ[4] عاذِرٌ يدعو الى إخباركم، والدعاء أحدُ الصدَقتين فرحِم الله امرأ أمر بمِيرٍ[5]، ودعا بخير، فقال له رجل من القوم : ممّن الرجل ؟ فقـال : اللهم غَفْرا ممّن لا تَضرُّك جهالتُه، ولا تنفعُك معرفتُه؛ ذُلّ الاكتساب، يمنع من عِزّ الانتساب .

سأل أعرابيٌّ رجلا فحَرَمه؛ فقال : عَلَامَ تَحْرِمُنى ! فوالله ما زِلتَ قِبلةً لأمل لا تَلْفِتُنى عنك المطامعُ ، فإن قلتَ : قـد أحسنتُ بَدْءًا، فما يُنْكَر لِمثلك أن يُحسِن عَـوْدًا ! .

قال ابنُ أبى عَتيق : دخلتُ على أشْعَبَ وعنده مَتَاعٌ حسن وأثاثٌ، فقلت له : ويحك! أما تستحى أن تَسأل وعندك ما أرى! فقال : يا فُدَيتُك! معى والله من لطيف السؤال مالا تَطيب نفسى بِتركه .

قال الصَّلَتَان العَبْدىّ :

تَروح ونغـدو لحاجاتنـا * وحاجةُ مَنْ عاش لا تَنْقضى
تموت مع المـرء حاجاتُه * وتبقَى له حاجةٌ ما بَـقِى
إذا ليـلةٌ هَرَّمتْ يومَها * أتى بعـد ذلك يومٌ فَنى

(١) البخص بالتحريك : لحم القدم . (٢) فى الأصل : «حذاء لدمى» . (٣) فى المحاسن والمساوى للبيهقى طبع أوروبا ص ٦٣١ : «مسغبة» وقد رويت هذه الحكاية فيه باختلاف عما هنا .
(٤) كذا فى المحاسن والمساوى . وفى الأصل : « عار » . (٥) المير : الطعام .

وقال آخر :

وحاجةٍ دونَ أُخرَى قد سَنَحتُ بها[1] * جعلتُها للتى أخفيتُ عُنوانَا

كتب دِعْبِلٌ الى بعض الأمراء :

جئتُك مستشفِعًا[2] بلا سبب * اليك إلا بُحرمةِ الأدبِ

فاقضِ ذِمامى فإنّنى رجلٌ * غيرُ مُلِحٍّ عليك فى الطلبِ

من يُعتَمَد فى الحاجة ويُستَسْعى فيها

روى هُشَيم عن عبد الحميد بن جعفر[3] عن محمد بن عبد الرحمن عن أبى مُصْعَب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اطلُبُوا الحوائجَ الى حِسانِ الوُجوه[4]" .

وفى حديث آخر : "اِعتَمِدْ لحوائجك الصِّباحَ الوُجوهِ ، فإنّ حسنَ الصورةِ أوّلُ نعمةٍ تتلقّاكَ من الرجل" .

قالت امرأةٌ من ولد حسّانَ بن ثابت :

سَلِ الخيرَ أهلَ الخيرِ قِدْمًا ولاتَسَلْ * فتًى ذاقَ طعمَ العيشِ منذُ قريبِ

ومن المشهور قولُ بعض المحدَثين :

حسنُ ظنّى إليكَ أكرمكَ الله دعانى فلا عَدِمتَ الصّلاحَا

ودعانى إليكَ قولُ رسول الله إذ قال مُفصِحًا إفصاحَا

إن أردتُم حوائجًا عند قومٍ * فتنقّوْا لها الوجوهَ الصِّباحَا

---

(١) سنحت بكذا : عرضت ولحت ، وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت فى مادة « سنح » ونسبه لسوّار بن المضرّب . (٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٨٩ طبع بولاق) : «مستوهبا» .

(٣) كذا فى تهذيب التهذيب . وفى الأصل : «جعيفر» وهو تحريف . (٤) فى الجامع الصغير : « اطلبوا الخير الى حسان الوجوه» .

وقال آخر :

إنا سألنا قومَنا خيارَهم * مَن كان أفضلَهم أبوه الأوّلُ
أعطى الذى أعطى أبوه قبلَه * وتبخّلتْ أبناءُ مَن يتبخّلُ

وقال خالدُ بن صفوانَ : فوتُ الحاجةِ خيرٌ من طلبها الى غير أهلها ، وأشدُّ من المصيبة سوءُ الخَلَفِ منها .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : قال مسلمُ بنُ قُتَيبة : لا تَطلُبَنّ حاجتَكَ الى كذّابٍ فإنه يُقرّبُها وهى بعيدٌ[1] ويُبعّدها وهى قريب[1] ، ولا الى أحمقَ فإنه يريد أن ينفعَكَ فيضرُّكَ ، ولا الى رجلٍ له عند من تسأله الحاجةَ ما كَلَةٌ ، فإنه لا يُؤثرُكَ على نفسه .

أنشدَنا الرِّياشىّ لأبى عَوْنٍ :

ولستُ بسائلِ الأعرابِ شيئًا * جَـدتُ الله إذ لم يأكلونى

وقال ميمونُ بن ميمون : لا تَطلُبَنّ الى لئيم حاجةً ، فإن طلبتَ فأجِّلْه حتى يروضَ نفسَه .

هارونُ بن معروفٍ عن ضَمْرة عن عثمانَ بن عَطاء ، قال : عطاء الحوائج عند الشباب أسهلُ منها عند الشيوخ ، ثم قرأ قولَ يوسفَ : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ وقولَ يعقوبَ ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .

وقال بشارٌ :

إذا أيقظَتْكَ حروبُ العِدا[2] * فَنبِّه لها عُمَـرًا ثم نَمْ
فتًى لا يَبيتُ على دِمْنَـةٍ * ولا يشرَبُ الماءَ إلا بِدَمْ
يَلَذُّ العطاءَ وسفكَ الدِّماء * فيغدُو على نِعَم أو نِقَـمْ

(١) بعيد وقريب يوصف بهما الذكر والأنثى والمفرد والجمع ومنه قوله تعالى : ﴿ إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ . (٢) فى الأغانى (ج ٣ ص ٤٦ طبع ولاق) : * اذا دهمتك عظائم الأمور *

وقال أبو عبّادٍ الكاتبُ: لا تُنزِلْ مُهِمَّ حوائجكَ بالجيّد اللسان، ولا المتسرِّع الى الضّمان، فإنّ العجزَ مقصورٌ على المتسرّع ؛ ومَن وَعد ما يَعجِزُ عنه فقد ظلَم نفسَه وأساء الى غيره ؛ ومن وَثِق بجَودةِ لسانه ظنّ أنّ فى فصل بيانه ما ينوبُ عن عذره وأن وعدَه يقوم مَقامَ إنجازه . وقال أيضا : عليك بذى الحَصَرِ البَكِيّ[1]، وبذى الحِيم[2] الرِضِيّ، فإن مثقالًا من شدّة الحياء والعِيّ، أنفعُ فى الحاجة من قِنطارٍ من لسانٍ سَليطٍ وعقلٍ ذكيّ ؛ وعليك بالشّهم النَّدْب[3] الذى إن عجَز أيأسَك، وإن قدَر أطمعك.

قال بعضُ الشعراء :

لا تَطلُبَنّ الى لئيم حاجــة * وٱقعُدْ فإنكَ قائمـا كالقاعدِ
يا خادعَ البُخلاءِ عن أموالهم * هيهاتَ! تضرِبُ فى حديدٍ بارد

وقال آخرُ :

إذا الشافعُ ٱستقصَى لكَ الجُهدَ كلّه * وإن لم تَنَلْ نُجْحاً فقد وجَب الشُّكرُ

وقال آخرُ[4] :

وإذا ٱمرؤٌ أسدَى اليكَ صنيعةً[5] * مِن جاهــه فكأنّها من مالِهِ

ذكر أعرابىّ رجلا، فقال : كان والله إذا نزلَتْ به الحوائجُ قام إليها ثم قام بها، ولم تَقعُد به عِلّاتُ النفوس .

قال الشاعرُ :

ما إنْ مَدَحتُكَ إلا قلتَ تخدَعُنى * ولا ٱستَعنتُكَ إلا قلتَ مشــغُولُ

ابنُ عائشةَ قال : كان شبيبُ بن شيبة رجلا شريفا يَفزَعُ اليــه أهلُ البصرة فى حوائجهــم، فكان إذا أراد الركوبَ تناولَ من الطعام شيئا ثم ركِبَ، فقيل له :

(١) الكىّ : القليل الكلام . (٢) الحيم : السجية والطبيعة . (٣) الندب : الخفيف فى الحاجة . (٤) هو أبو تمام الطائى . (٥) كذا فى ديوانه . وفى الأصل : «أهدى الىّ» .

إنك تُبَاكِر الغداءَ! فقال: أجَلْ! أُطفِئُ به فَوْرَةَ جوعى، وأقطَعُ به خُلوف[1] فمى، وأبلغ فى قضاء حوائجى، فخذ من الطعام ما يُذْهِبُ عنك النَّهَم، ويُدَاوِى من الخَوَى.

قال بعضُ المحدَثين:

لعمرُكَ ما أخلقتُ وجهًا بذلتُه * إليـــكَ ولا عرّضتُه للمَعَـايِرِ
فتًى وفَرتْ أيدى المحامدِ عِرضَه * وحلّت[2] لديه مالَه غيرَ وافِـــرِ

وقال آخرُ:

أتيتُـكَ لا أُدلِى بقُـرْبَى ولا يد * اليك سـوَى أنّى بجُودكَ واثِقُ
فإن تُولِنِى عُرفًا أكنْ لكَ شاكرا * وإن قلتَ لى عدرًا أقلْ أنت صادِقُ

وقال رجلٌ لآخرَ فى كلامه: أيدينا ممدودةٌ اليكَ بالرغبة، وأعناقُنا خاضعةٌ لك بالذِّلّة، وأبصارُنَا شاخصةٌ اليك بالشكر؛ فاعمَلْ فى أمورنا حَسَبَ آمالِنا فيكَ، والسلام.

الإجابة الى الحاجة والردّ عنها

قال رجل للعبّاس بن محمد: إنّى أتيتُكَ فى حاجةٍ صغيرةٍ؛ قال: اطلب لها رجلا صغيرا. وهذا خلافُ قولِ علىّ بن عبد الله بن العبّاس لرجل قال له: إنى أتيتكَ فى حاجةٍ صغيرةٍ، فقال له علىّ بن عبد الله: هاتها، إنّ الرجل لا يصغُر عن كبير أخيه ولا يكبُرُ عن صغيرِه.

قال رجل للأحنف: أتيتُكَ فى حاجةٍ لا تَشْكِيكَ[3] ولا تَرْزَؤك، قال: اذًا لا تُقْضَى! أمثلى يؤتَى فى حاجةٍ لا تَشْكِى ولا تَرزَأ!.

---

(١) الخلوف: رائحة الفم.
(٢) فى العقد الفريد: (ج ١ ص ٩٠):
* عليه وحلت ماله غير وافر *
(٣) لا تشكيك: لا تنال منك، من شكى العدوّ مكاية: أصاب منه. ولا ترزؤك: لا تصيب من مالك شيئا.

جاء قومٌ الى رجل يُكلّمونه فى حاجةٍ لهم ومعهم رَقَبةٌ، فقال لرَقَبَةَ : تضمَنُونَها؟ فقال له رَقَبة : جئناكَ نطلُب منكَ فضلَ التوسُّع فأدخلتَ علينا همّ الضّمان .

أتى عمرُو بن عُبيد حفصَ بن سالم، فلم يسأله أحدٌ من حَشَمِه شيئا إلا قال: لا، فقال عمرو : أقِلّ من قول: «لا» فإنّ «لا» ليستْ فى الجنّة .

كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم اذا سُئل مايَجِدُ أعطَى، واذا سُئلَ مالا يجِد قال : "يصنع الله" .

قال عمرُو بن أبى ربيعةَ :

إنّ لى حاجةً اليــكِ فقالت * بين أُذنى وعاتق ما تُريدُ

أى قد تضمّنتُه لك فهو فى عُنُقى .

سأل رجلٌ قومًا، فقال له رجل منهم : اللهمّ هذا سائلنا ونحن سُؤّالُكَ، وأنت بالمغفرة أجودُ منّا بالعطاء، ثم أعطاه .

سأل رجلٌ رجلا حاجةً، فقال : اذهَبْ بسلام، قال السائلُ : أنصَفَنا مَنْ رَدّنا فى حوائجنا إلى الله عزّ وجلّ .

قال رجل لثُمَامةَ : إن لى اليــكَ حاجةً، قال ثمامةُ : ولى اليكَ حاجةٌ، قال : وما هى؟ قال : لا أذكُرها حتى تتضمّنَ قضاءها، قال : قد فعلتُ، قال : حاجتى ألّا تسألنى هــذه الحاجةَ، قال : رجعتُ عما أعطيتُك، قال ثمــامةُ : لكنّى لا أردّ ما أخذتُ .

قال الجاحظ : تمشّى قومٌ الى الأصمعىّ مع رجل اشــترى منه ثمرةَ نخله، فناله فيها خُسرانٌ وسألوه حسنَ النظر له، فقال الأصمعىّ : أسَمِعتُم بالقِسْمة الضِّيزَى[1]! هى

(١) القسمة الصيزى . الناقصة الجائرة .

ما تُريدونَ شيخَكم عليه، اِشترى منّى على أن يكون الخسرانُ علىّ والربحُ له ! اِذهبوا فاشتروا لى طعامَ السَّواد[1] على هذا الوجه والشرط . ثم قال : ها هنا واحدةٌ هى لكم دونى ، ولا بدّ من الاحتمال لكم اذ لم تحتملوا لى ، هـذا ما مَشَيتم معـه إلا وأنتم تُوجبون حقّه وتُحِبُّون رِفدَه، ولو كنتُ أُوجبُ له مثلَ الذى توجبونَ لقـد كنتُ أغبيتُه عنكم، ولكن لا أعرِفُه ولا يصرّنى بحق؛ فهَلُمّ فلتوزّعْ هـذا الخسرانَ بيننا بالسواء؛ فقاموا ولم يعودوا، وأيس التاجرُ فخرج له من حقّه .

قال يزيدُ بن عُمَير[2] الأَسَدِى لبَنِيه : يا بَنِىّ، تعلّموا الردّ فإنه أشدّ من الإعطاء، ولأن يعلَم بنو تميم أن عند أحدكم مائةَ ألف درهم أعظمُ له فى أعينهم من أن يَقسِمَها فيهم، ولأنْ يقالَ لأحدكم : بخيلٌ وهو غنىٌّ خيرٌ له من أن يقال : سخىٌّ وهو فقير .

وقال إسحاق بن إبراهيم :

النصرُ يُقرئكَ السـلامَ وإنمـا * أهدَى السـلامَ تعرّضًا لِلطَّمَعِ
فاقطَعْ لُبانَتَـه بيأسٍ عاجلٍ * وأرِحْ فؤادَكَ من تقاضِى الأضلُعِ

ذكر ثُمامةُ محمدَ بن الجَهْم فقال : لم يُطمِعْ أحدًا قطّ فى ماله إلا ليشغَلَهُ بالطمع فيه عن غيره، ولا شفّع لصديق ولا تكلّم فى حاجةِ مُتحرِّم به، إلا ليُلقِّنَ المسئولَ حُجّةَ منع، وليفتَح على السائل بابَ حِرمان .

كتب سهلُ بن هارون الى موسى بن عمران :

إنّ الصـميرَ اد سـألك حاجةً * لأبى الهُذَيل[3] حلافُ ما أُبدِى
فأمسِكْه رَوْحِ اليأس ثم آمدُد له * حبـلَ الرجاء لُمخلِفِ الوعـدِ

(١) السواد . ارف (٢) فى الأصل . « عمر » والتصويب عن المعانى .
(٣) هو أبو هذيل العلاف أحد متكلمى البصرة ، وكان يمثل ، (انظر الحيوان ج ٦ ص ١٤٧ ، ١٤٨ طبع أوروبا)

وإنْ له كَتَفًا ليحسُنَ ظنُّه * فى غـــير مَنفعةٍ ولا رِفْـــدِ
حتى اذا طالتْ شـــقاوَةُ جَدّه * وعنـاؤه فأجبهَـــهُ بالرّدّ

قيل لحُبّى المَدينيّةِ : ما الجُرْحُ الذى لا يندمِلُ ؟ قالت : حاجة الكريم الى اللئيم ثم يردّه. قيل لها : فما الذلّ ؟ قالت : وقوف الشريف بباب الدنىء ثم لا يُؤْذَنَ له . قيل : فما الشرَفُ ؟ قالت: اعتقاد المِنَنِ فى رِقاب الرجال .

قال مَعْنُ بنُ زائدة : ما سألنى قطّ أحدٌ حاجةً فرددتُه إلا رأيتُ الغنى فى قفاه.

روى علىّ بن مُسْهِر عن هشام عن أبيه قال: قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه: أعلمتُمْ أن الطمعَ فقرٌ، وأن اليأسَ غِنًى، وأن المرءَ اذا يئس من شىء آستغنى عنه.

وقال آخر فى كلامٍ له : كُلُّ ممنوعٍ مُسْتَغْنًى عنه بغيره ،وكلُّ مانع ما عنده ففى الأرض غِنًى عنه .

وقد قيل : أرخص ما يكون الشىءُ عند غَلَائه .

وقال بشارٌ : * والدرُّ يُترَكُ من غَلائِهْ *

قال شُرَيح : مَنْ سأل حاجةً فقد عرَض نفسَه على الرقّ، فإن قضاها المسئولُ آستعبده بها، و إن ردّه عنها رجع حرًّا وهما ذليلانِ: هذا بذُلّ البخل، وهذا بذلّ الردّ .

وقال بعضُهم: مَن سألكَ لم يُكرم وجهَه عن مسألتكَ، فأكرِم وجهَكَ عن ردّه.

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يردّ ذا حاجةٍ إلا بها أو بميسورٍ من القول .

وقال أسماءُ بن خارجةَ : ما أُحِبُّ أن أردّ أحدا عن حاجةٍ؛ فإنه لا يخلو من أن يكون كريما فأصونَه، أو لئيما فأصون منه نفسى .

وقال أعرابىّ سأل حاجة فرُدّ عنها :

ما يمنعُ الناسُ شـيئا كنتُ أطلبُه * إلا أرَى اللهَ يكفى فقدَ ما منَعُوا

أتى رجلٌ الحسنَ بن علىّ رضى الله عنهما يسأله ؛ فقال الحسن : إن المسألة لا تصلُح إلا فى غُرْمٍ فادح أو فقرٍ مُدْقِع أو حَمالة مُفظِعة ؛ فقال الرجل : ما جئتُ إلا فى إحداهنّ ، فأمر (١) له بمائة دينار . ثم أتى الرجلُ الحسينَ بن على رضى الله عنهما فسأله ، فقال له مثل مقالة أخيه ، فردّ عليه كما ردّ على الحسن ؛ فقال : كم أعطاك ؟ قال : مائة دينار ، فنقصه دينارا . كره أن يساوى أخاه . ثم أتى الرجلُ عبدَ الله بن عمرَ رضى الله عنهما فسأله فأعطاه سبعةَ دنانير ولم يسأله عن شىء ؛ فقال الرجل له : إنى أتيتُ الحسنَ والحسينَ ، واقتصّ كلامَهما عليه وفِعلَهُما به ؛ فقال عبدُ الله : ويحكَ ! وأنّى تجعلنى مثلَهما ! إنهما غُرّا (٢) العلمَ غُرّا المـالَ .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : جاء شيخٌ من بنى عَقيلٍ الى عمرَ بن هُبيرةَ ، فمتّ بقرابةٍ وسأله فلم يعطه شيئا ؛ فعاد اليه بعد أيام فقال : أنا العَقيلىّ الذى سألتَ منذ أيام ؛ فقال عمر : وأنا الفَزَارِىّ الذى منعتك منذ أيام ؛ فقال : معذرةً الى الله ! إنى سألتك وأنا أظنك يزيدَ بن هُبيرة المحارِبىّ ؛ فقال : ذاك الأُمُّ لك ، وأهونُ بك علىّ ، نشأ فى قومك مثلى ولم تعلم به ، ومات مثلُ يزيد ولا تعلم به ! يا حَرَسىّ (٣) اسْفَعْ بيده .

أتى عبدَ الله بنَ الزبير أعرابىٌّ (٤) يسأله ، فشكا اليه نَقَبَ (٥) ناقتِه واستحملَه (٦) ؛ فقال له ابنُ الزبير : ارقَعها بسِبْتٍ (٧) واخصِفْها بهُلبٍ واعمل واعمل ... ؛ فقال الأعرابىّ : إنى أتيتُك مُستوصِلًا ولم آتِكَ مُستوصِفًا ، فلا حملَتْ ناقةٌ حملَتنى إليكَ ! فقال : إنْ (٨) وصاحِبَها .

(١) فى الأصل : « وأمر ... » . (٢) عرّا العلم : ألقاه ، يقال : عرّ الطائر فرخه اذا رقّه ، ومنه حديث معاوية : « كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يعرّ علينا بالعلم » . (٣) سمع ساعيته أو يده : قصها وحذبها . (٤) هو عبد الله بن نصالة بن شريك الوالبى الأسدى كما فى الأغانى ج ١ ص ١٥ طبع دار الكتب المصرية ، وقد رويت فيه هذه الحكاية باختلاف فى بعض ألفاظها . (٥) النقب : رقة وتثقب فى خف البعير . (٦) استحمله : حمله حوائج يقضيها له . (٧) السبت (بالكسر) : جلد البقر المدبوغ بالقرظ تحذى منه النعال السبتية . والخصف : ان يطاهر الجلدين فتصلهما الى بعض ويجررهما ولذلك قيل للخرز : الخصف . والهلب (بالضم) : شعر الخنزير الذى يخرز به . (٨) إنْ بمعنى نعم .

والعربُ تقول لمن جاء خائبا ولم يظفَر بحاجته : «جاء على غُبَيراءِ[1] الظهرِ» .

وتقول هى والعوامّ : «جاء بخُفَّىْ حُنَينٍ» و «جاء على حاجبه صُوفةٌ» .

وقال أبو عطاء السِّنْدِىّ فى عمرَ بن هُبَيرة :

ثلاثُ حُكْمَتُهنّ لقرم[2] قيسٍ * طلبتُ بهـا الأخوّةَ والثناءَ

رجَعْنَ على حواجبهن صُوفٌ * فعند الله أحتسِبُ الجـزاء

والأصـل فى قولهم : « جاء بخُفَّىْ حُنَيْن » أن إسكافاً من أهل الحِيرة ساوَمَه أعرابىٌّ بخفّين ، فأختلفا حتى أغضبه ، فأزداد غيظ الأعرابىّ ؛ فلمـا ارتحل أخذ حُنَيْنٌ أحد خفّيْه فألقاه على طريقه ثم ألقى الآخَرَ فى موضع آخر ؛ فلما مرّ الأعرابىّ بأحدهما قال : ما أشبَهَ هذا بخفّ حنين ! ولو كان معه الآخر لأخذته ، ومضى ؛ فلما انتهى الى الآخر نَدِم على تَرْكه الأوّل ، وأناخ راحلتَه فأخذه و رجع الى الأوّل ، وقد كمَن له حنينٌ فعمَد الى راحلته وما عليها فذهب به ؛ وأقبل الأعرابىّ ليس معـه غيرُ الخفّين ، فقال له قومه : ما الذى أتيتَ به ؟ قال : بخفّى حنين .

قالوا : فإن جاء وقد قُضِيتْ حاجتُـه قيل : « جاء ثانيًا من عِنانه »[3] . فإن جاء ولـمّا تُقْضَ حاجتُه وقد أُصِيب ببعض ما معه ، قالوا : «ذهب يبتغى قَرْنًا فلم يَرْجِع بأُذُنَيْن» . يقول بشّار :

فكنتُ كالعَيْرِ غَدَا يبتغِى * قَرْنًا فلم يَرجِعْ بأُذُنَيْنِ[4]

(١) غبراء الظهر : الأرض ، تصغير العبراء . ويروى : جاء على ظهر العبـيراء ، أى جاء لا يصاحبه غير أرضه التى يجىء و يذهب فيها . (انظر ما يقوّل عليـه فى المصاف والمصاف اليه ، النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٧٨ أدب م) .

(٢) كذا فى الشعر والشعراء للؤلف والقرم من الرجال السيّد المعظم وفى الأصل : «لقوم» .

(٣) فى الأصل : « فلما جاء ... » وهو غير مستقيم .

(٤) رواية هذا البيت فى الأغانى ج ٣ ص ٢٠٦ طبع دار الكتب :

فصرت كالعير غدا طالبا * قرنا فلم يرجع بأذنين

وقد روى أبو الفرج أن عقبة بن سلم دعا بشارا وحمادا عجرد وأعشى باهلة ، وطلب اليهم أن يضمنوا هذا المثل فى شعر ، وعيّن لمخرجه جائزة ، وهددهم إن لم يفعلوا ، فضمنه بشار على البديهة وأخذ جائزته .

سأل أعرابيٌّ قوما، فقيل له : بُورك فيـك ! فقال : وكَلَـكم الله الى دعوةٍ لا تحصُرها نِيّة .

أرسل الوليد خيلا فى حَلْبةٍ[1]، فأرسل أعرابىٌّ فرسًا له فسبقت الخيلَ؛ فقال له الوليد : أحملنى عليها؛ فقال : إن لها حُرمةً، ولكنى أحملك على مُهْرٍ لها سَبَق الخيل عام أوّل وهو رابض .

وتقول العرب فيمن يَشْغَلُه شأنُه عن الحاجةِ يُسْأَلُها : «شَغَلَ الحَلْىَ أهلُه أن يُعَارا» بنَصْب الحلى ، ويعار : من العارية . فأمّا قولهم : « أحقُّ الخيـل بالركض المعار» ، فإنّ المُعار[2] : المَنْوف الذَّنَبِ وهو المَهْلُوب؛ يريدون أنه أخفّ من الدِّيال الذنبِ[3]، يقال : أعَرْتُ الفرس إذا نتفتَه .

وتقول العرب لمن سُئل وهو لا يَقدِر فرَدّ : « بيتى يَحْمَل لا أنا » ؛ يريدون أنه ليس عنده ما يُعطى .

ووعد رجلٌ رجلا فلم يَقدِرْ على الوفاء بما وعده؛ فقال له : كَذَبْتَنى؛ قال: لا ، ولكن كَذَبَك مالى .

وتقول العرب فيمن اعتذر بالمنع بالعُدْم وعنـده ما سُئل : « أبَى الحَقِينُ العِدْرَةَ[4] » . قال أبو زيد : وأصـله أن رجلا ضاف قوما فاستسقاهم لبنًا ، وعندهم لبنٌ قد حَقَنوه فى وَطْبٍ ، فاعتـذروا أنه لا لبنَ عنـدهم ؛ فقال : « أبَى الحَقِينُ العِدْرَةَ » . ويقال : « العِدْرةُ طَرَف النخل » .

(١) فى الأصل «من حلبة» . (٢) ما ذكره المؤلف هنا هو أحد ما فسّرت به هذه الكلمة ، وقيل . المعار . المسن ، يقال : أعرت الفرس اذا سمنته ، وقيل : المعار : المصمر ، من عار الفرس اذا أحد يديه يجيء مرحا ونشاطا ، والمعار : ما ردد الذهاب به والمجيء حتى صمر ، ويروى : المِعارُ — بكسر الميم — وهو الفرس الذى يجيد راكبه عن الطريق ، وكذلك يروى : المُعار — بالعين المعجمة — أى المصمّر من أعرت الحبل اذا مططته . (٣) الديال الذنب : الطويله . (٤) الحقين : اللبن المحقون . والعدرة (بكسر العين) : العذر .

وقال الطائى يذكر المَطْل :

وكان المَطْـــلُ فى بدءٍ وعَوْدٍ * دُحَانًا للصـــنيعةِ وهى نارُ
نسيبُ البخلِ مذكانا وإن لم * يكن نسبٌ فبينهـما جِوارُ
لذلك قيـــل بعضُ المنعِ أدنى * الى جُودٍ وبعضُ الجـود عارُ

قال إسماعيل[1] القراطيسىّ فى الفضل بن الربيع :

لئن أخطأتُ فى مدحِـــك ما أخطأتَ فى منعى[2] *
لقـــد أحللتُ حاجاتى * بـوادٍ غيرِ ذى زَرْعِ

عزا المُنْذِرُ بن الزُّبَيْر [فى] البحر ومعه ثلاثون رجلا من بنى أسد بن عبد العُزّى؛ فقال له حكيم بن حِزام : يابن أخى، إنى قد جعلتُ طائفةً من مالى لله عزّوجلّ، وإنى قد صنعتُ أمرًا ودعوتكم له ، فأقسمتُ عليك لا يردُّه علىّ أحدٌ منكم ؛ فقال المُنْـذِر : لاها اللهِ إذًا[3]، بل نأخذ ما تُعطِى، وإن نَحْتَجْ إليه نَستعِنْ به ولا نكره أن يأجُرَك اللهُ، وإن نستَغْنِ عنه نُعطه من يأجُرنَا اللهُ فيه كما أجرَكَ .

سأل أعرابىٌّ رجلا يقال له : الغَمْر فأعطاه درهمين، فردّهما وقال :

جعلتُ لغَمرٍ درهمَيْـــه ولم يكن * ليُعْيِىَ عـنى فاقتى دِرْهما عَمْـــرِ
وقلت لغمرٍ حدهما فاصْطَرِفْهما * سريعَيْنِ فى نقص المُرُوءة والأجرِ
أتمنَعُ سُؤّال العشيرةِ بعـــد ما * تَسَمَّيْتَ عمرًا وآكتنيتَ أبا بحرِ

(١) نسبهما ابن حجة فى حزانته ص ٥٤٠ طبع بولاق لابن الرومى . وذكر صاحب معاهد التنصيص فى الكلام عليهما ص ٥٦٤ طبع بولاق أنهما يتسابان لابن الرومى ولكنه قال : ورأيت فى الأغانى نسبتهما الى اسماعيل القراطيسى . وقد ذكرا فى ترجمته فى الأغانى ج ٢٠ ص ٨٨ — ٨٩ ولم يذكرا فى ديوان ابن الرومى .

(٢) فيه الكف وهو حذف السابع الساكن، والكف حسن فى هذا البحر وهو الهزج . وفى الأغانى (ج ٢٠ ص ٨٩ طبع بولاق) : « فى مدحيك » وبهذه الرواية لا كف فيه .

(٣) أى لا يردّه عليك أحد والله اذا، فكلمة «ها» هنا للقسم . ويجوز فيها مع كلمة الجلالة، بعد حذف همزة الوصل، إثبات ألفها — ويلفظ بهما كما يلفظ بدامة — وحذفها .

اختلف أبو العَتَاهِيَـة الى الفضـل بن الربيع فى حاجةٍ له زماناً فلم يقضها له ، فكتب :

أكلَّ طُولِ الزمانِ أنتَ اذا * جئتُـكَ فى حاجةٍ تقولُ غدَا !
لا جعل اللهُ لى اليـــك ولا * عندك ما عشتُ حاجةً أبدا !

وقال آخر :

إن كنتَ لم تَنْوِ فيما قلتَ لى صِلةً * فـا انتفاعُك من حَبْسى وتَرديدى
فالمنـعُ أجمَـلُه ما كان أعجَلَه * والمَطْـل من غير عُسْرٍ آفةُ الجودِ

وقال آخر :

بسطتَ لسانى ثم أوثقتَ نصفَه * فنِصفُ لسانى فى امتداحك مُطْلَقُ
فإن أنتَ لم تُنْجِـزْ عِدَاتى تركتَنى * وباقى لسانِ الشـكر باليأسِ مُوثَقُ

وقال آخر :

يا جوادَ اللسانِ من غير فعـلٍ * ليتَ جُودَ اللسانِ فى راحَتَيْكَا

المواعيـــدُ وتَنْجُـــزها

ذكر جبّار بن سُلْمَى[1] عامرَ بن الطُّفَيْل فقال : كان والله اذا وعَد الخيرَ وفَى ، واذا أوْعَد بالشرّ أخلفَ وعفا .

وأنشد أبو عمرو بن العَلاء فى مثل هذا المعنى .

ولا يَرْهَبُ ابنُ العمّ ما عشتُ صَوْلتى * ويأمَنُ منّى صـولةَ المتهـدِّدِ
وإنّى إنْ أوعـدتُه أو وعـدتُه * لَيكذِبُ إيعادى ويَصْـدُقُ مَوْعِدِى

(١) فى الإصابة : « بضم السين وقيل بفتحها »

وكان يقال : وَعْدُ الكريم نقدٌ، ووعدُ اللئيم تسويف .

وقال عبد الصمد بن الفضل الرَّقاشيُّ (أبو الفضلِ والعباس الرَّقاشيَّيْن البغداديَّيْن) لخالد بن دَيْسم عامل الرَّيّ :

أخالدُ إنّ الرَّيّ قد أجحفتْ بنا * وضاق علينا رَحْبُها ومَعَاشُها
وقد أطمعتْنا منك يوما سحابةٌ * أضاء لنا برقٌ وكفّ رِشاشُها
فلا غيمُها يصحو فَيُؤْيَسَ طامعٌ * ولا ماؤها يأتى فتُروَى عِطاشُها

وقال رجل فى الحجّاج .

كأنّ فؤادى بين أظفارِ طائرٍ * من الخوف فى جوّ السماء مُحَلِّقِ
حِذارَ امرئٍ قد كنتُ أعلم أنه * متى مَا يَعِدْ من نَفْسِه الشرَّ يَصْدُقِ

قال عمرو بن الحارث : كنتُ متى شئتُ أجد من يَعِد ويُنجز، فقد أعيانى مَنْ يَعِد ولا يُنجز . قال : وكانوا يفعلون ولا يقولون، فقد صاروا يقولون ويفعلون، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون، ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون .

قال بشّار :

وَعَدتِنِي ثم لم تُوفِي بمَوْعِدَتِي * فكنتِ كالمُزْنِ لم يُمطِرْ وقد رعَدَا

هذا مثل قول العرب لمن يَعِدُ ولا يَفِى : «برقٌ خُلَّب» .

وقال آخر :

قد بَلَوْناكَ بحمد اللهِ إنْ أغنَى البَلَاءُ
فإذا جُلُّ مواعيـ * ـدِكَ والجحدُ سواءُ

وقال آخر :

لها كلّ عامٍ موعدٌ غيرُ ناجزٍ * ووقت اذا مارأْسُ حولٍ تَجَرْجَما(١)
فإن أوعدتْ شرًّا أتى دون وقتِه * وإن وَعَدَتْ خيرا أراثَ وأعتما(٢)

(١) تجرجم : مضى وانقضى . (٢) أراث وأعتم كلاهما بمعنى أبطأ .

وعد عبـد الله بن عمر رجلا من قريش أن يزوجه آبنته ؛ فلما كان عند موته أرسل اليه فزوجه إياها ، وقال : كَرِهتُ أن ألقى اللهَ عزّ وجلّ بثُلُث آنفاق .

وقال الطائىّ :

نقولُ قولَ الذى ليس الوفاءُ له ... خُلْقًا وتُعجزُ إنجازَ الذى حَلَفَا

وأثنى الله تبارك وتعالى على نبيّه إسماعيل صلّى الله عليه فقال : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ .

وقال بشّار يمدح :

اذا قال تَمّ على قَـوْلِه * ومات العَنَـاءُ بِـلَا أو نَعَمْ
وبعضُ الرجالِ بِمَـوْعُوده * قريبٌ وبالفعلِ تحت الرَّجَمْ(١)
كجارى السَّرابِ تَرَى لَمْعَـهُ * ولستَ بواجده عنـد كَمْ

وقال العبّاس بن الأحنف :

ماضرّ مَنْ قطعَ الرجاءَ ببخله * لو كان علّلنى بوعدٍ كاذبِ

وقال آخر :

عسى ملك حيرٌ من نَعَمْ ألفَ مرّةٍ * مِنَ آخَرَ غالَ الصِّدقَ منه غوائلُهْ

وقال نُصَيْب :

يقول فيُحسِنُ القولَ آمرُ يُسىءُ ... ويفعل فوق أحسن ما يقولُ

وقال زيادُ لأعجم :

لله درُّك من فتًى ... لو كنتَ تفعلُ ما تقولْ
لا خير فى كذب حلو ... وحَبَّذا صِدقُ البخيلْ

(١) ارجع (بالجزء ...) ... وضع عليه ... ونصبتين أو نصب فتح : الحجارة التى توضع على القبر ، يريد أنه فى تحقيق وعده كاذب .

والعرب تضرب المثلَ فى الخُلْف بعُرْقوب . قال ابن الكلبيّ عن أبيه : كان عُرْقوب رجلًا من العماليق ؛ فأتاه أخٌ له فسأله شيئا ؛ فقال له عُرْقوب : اذا أطْلَعَ[1] نخلى . فلما أطْلع أتاه ، قال : اذا أبْلح . فلما أبلح أتاه ، فقال : اذا أزْهى[2] . فلما أزهى أتاه ، قال : اذا أرْطَب . فلما أرطب أتاه ، قال : اذا صار تمرا . فلما صار تمرًا جَدّه من الليل ولم يُعطِ أخاه شيئا .

قال كعبُ بن زُهَيْر :

كانتْ مواعيدُ عُرْقوبٍ لها مَثَلًا * وما مواعيدُها إلّا الأباطيلُ

وقال الأشجعىّ :

وعدتِ وكان الخُلْفُ منكِ سجيّةً * مواعيدَ عُرْقوبٍ أخاهُ بِيَثْرِبَ[3]

هكذا قرأته على البِصريين فى كتاب سيبويه بالتاء وفتح الراء .

وقال الشاعر :

متى ما أقُلْ يومًا لطالبِ حاجةٍ * نَعَمْ ، أقضِها قُدْما وذلك من شَكْلى
وإن قلتُ لا ، بيّنتُها من مكانها * ولم أُوذِهِ منها بجرٍّ ولا مَطْلِ
ولَلبَخْلَةُ الأُولى أقلُّ مَلامةً * من الجُود بَدْءًا ثم يُتْبع بالبُخْلِ

وقال أبو نُوَاس لامرأة :

أنضيتِ أحرفَ لا مما لَمِجتِ بها * فحوِّلى رحلَها عنها الى نَعَمِ
أو حوِّليها الى «لا»[4] فهى تَعْدِلُها * إن كنتِ حاولتِ فى ذا قلّةَ الكَلِمِ
قِستُمْ علينا فعارضنا قياسَكُمُ * يا مَن تناهَى اليه غايةُ الكَرَمِ

(١) أطلع النخل : خرج طَلْعه . (٢) أزهى : تلوّن تمره بالحمرة والصفرة . (٣) يترب بالتاء لمثناة : موضع قريب من اليمامة . (٤) كذا فى الأصول ، وفى ديوانه «أو حولوها اليا فهى تعدلها» . والظاهر أنه يريد أن يقول : أو حولوها الى «ها» التى بمعنى «خذ» فكتبت موصولة ليدل ظاهرها على غير باطنها ، و«ها» تعدل «لا» فى قياسها لفظا . وبين ما فى الأصل وما فى الديوان تغيير طفيف فى هذه الأبيات .

وفى هذا معنًى لطيفٌ .

كتب رجلٌ الى صـديق له : قد أوردتك رحائى بعـد الله ، وتعجَّلتُ راحةَ اليأس ممن يجود بالوعد ويَضنُّ بالإنجاز ، ويحسُدُ أن يُفْصَل ، ويَزْهَدُ أن يُفْصِل ، ويعيبُ الكذبَ ولا يصدُق .

وقال آخر :

وذى ثقةٍ تبدَّلَ حين أثرى * ومن شِيَمى مراقبةُ الثِّقاتِ
فقلتُ له عَتَبْتَ علىّ إثمًـا ، فِرارًا من مَؤوناتِ العِدَاتِ
فعُـدْ لمودّتى وعلىّ نَذْرٌ * سألتُك[1] حاجةً حتّى المماتِ

وقال آخر فى أصحاب النبيذ :

مواعيدُهم رِبحٌ لمن يَعِدونَه . بها قطعوُا بردَ الشتاء وقاطُوا

وقال مسلم :

لسانُك أحلَى من جَنَى النحلِ موعدًا * وكفُّكَ بالمعروف أضيقُ من قُفْلِ
تُمَنِّى الذى يأتيـك حتّى اذا انتهَى * الى أملٍ ناولتَـه طَرَفَ الحبـلِ

وسأل حَلَف بن حليفة أبَان بن الوليد أن يَهَبَ له جاريةً ، فوعده وأبطأ عليه ؛ فكتب اليه :

أرى حاجَتِى عند الأميرِ كأنّمَا * تَهُـمُّ زمانًا عنـده بمُقَامِ
وأحْضَرُ من إذكارِه إن لَقِيتُـهُ * وصـدقُ الحيـاءِ مُلْجِمٌ بلِجامِ
أراهـا اذا كان النهـارُ تَسِيئَةً . وباللّيـلِ تُقضَى عندَ كلِّ مَرامِ
فيارَبِّ أخرِجْها فإنك مُخـرِجٌ * من المَيْتِ حَيًّـا مُفصِحًا بكلامِ

(١) الكلام على تقدير «لا» النافية ، أى لا سألتك .

فتعلَمَ ما شُكرِى اذا ما قَضَيتَها[1] * وكيف صَلاتِى عندها وصيامِى
وإنْ حاجَتِى من بعد هذا تأخّرتْ * خَشيتُ لما بى أن أزور غُلامِى

والعرب تقول : «أنجزَ حُرٌّ ما وَعَدَ» .

وقال أميّة بن أبى الصَّلْت لعبد الله بن جُدْعان :

أذكرُ حاجَتِى أمْ قد كفانى * حَياؤك إنّ شيمتَكَ الحياءُ
إذا أثنَى عليك المرءُ يومًا * كفاه من تعرُّضه الثناءُ

وقال الطائىّ :

واذا المجدُ كان عَوْنِى على المر * ءِ تقاضَيْتُهُ بترك التّقاضِى

وقال الزُّهْرِىّ : حَقيقٌ[2] على مَنْ أَوْرَقَ بوعدٍ، أن يُثمر بعمل .

وقال المُغيرةُ : من أخّر حاجةَ رجلٍ فقد تضمّن قضاءها .

وقال الشاعر :

كفاكَ مُذَكّرًا وجهى بأمرِى * وحَسْبِى أنْ أراكَ وأنْ تَرانِى
وكيف أحُثّ من يُغْنَى بشأنى * ويَعرِف حاجتى ويرى مكانى

وقال الشاعر :

ياصاحِ قُلْ فى حاجتى * أذكَرْتَنِيها فيا ذكرتَا
إنّ السّراحَ[3] من النجا * ح إذا شَفَيتَ[4] ما طلبتَا

(١) فى الشعر والشعراء (ص ٤٤٩ طبعة أوربا) : «قضيتها» ، وورد فيه بعد ذكر الأبيات : «فصحك أبان وبعث اليه بجارية» . (٢) كذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٩٠ و ٩١ طبع بولاق) وفى الأصل : «حصه من أزهر الخ ...» وظاهر أنه تحريف . (٣) قال فى اللسان مادة (سرح) : «وفى المثل السراح من الصباح ، أى اذا لم تقدر على قضاء حاجة الرجل فأيسه ، فإنّ ذلك عنده بمنزلة الإسعاف» . وقال الميدانىّ بعد ذكر هذا المثل : «يضرب لمن لا يريد قضاء الحاجة ، أى ينبغى أن تؤيسه منها اذا لم تقض حاجته» . (٤) فى الأصل : «شفيت» بالفاء .

وقال آخر :

فى تَصـدِّيكَ للطـالبِ إذْكا * رٌ بوعدٍ جرى به المِقـــدارُ

وكتب بعضُ الكتّاب إلى صديقٍ له : إن من العَجَب إذكارَ مَعْنِيٍّ، وحَث مُتَيَقِّظٍ، واستِبْطاءَ ذاكرٍ ؛ إلّا أن ذا الحاجة لا يَدَعُ أن يقولَ فى حاجته ، حَلَّ بذلك منها أو عَقَدَ . وكتابى تذكِرةٌ والسلام .

وقال الطِّرِمّاحُ :

أَلِحُسْنِ مَـــنزِلِى تُؤَخِّرُ حاجتى * أم ليسَ عندكَ لى بخيرٍ مَطْمَعُ

وقال حمزةُ بن بَيْضٍ لمَخْلَدِ بن يزيدَ بن المُهلَّب :

أتيناكَ فى حاجـــةٍ فاقضِها * وقُلْ مَرْحبًا يَجِبُ المرحَبُ

ولا تَكِلَنّـا إلى مَعْشَـــرٍ * متى يَعِـــدِوا عِدَةً يكذِبوا

وقال بعض المحدَثين :

حوائجُ الـــناسِ كُلُّهـا قُضِيَتْ * وحاجتى لا أَرَاكَ تَقْضِـــيها

أناقـــةُ[1] الله حاجتى عُقِـــرَتْ * أم نَبَتَ الحُـرْفُ[2] فى نواحِيها

وقال جريرٌ لعمرَ بن عبد العزيز :

أأذكُرُ الضُّرَّ والبَـلْوَى التى نزلتْ * أم تكتفِى بالذى بُلِّغْتَ من خبَرى

وقال آخر :

أروحُ لتسليمٍ عليك وأغتـدِى * وحسبُك بالتّسليم منّى تقاضِـيَا

كفى بِطِلابِ المرءِ ما لا يَنـالُه * عناءً وباليأسِ المصرِّح[3] ناهِيَـا

(١) يعنى ناقة الله هما ناقة صالح التى عقرتها ثمود . (٢) الحرف : حب الرشاد أو الخردل . ولعله يريد : أم أهملت ، فكنى بنبات الحرف فى نواحيها عن الإهمال ، كما يهمل كريم النبات فينبت حوله أردله . (٣) اليأس المصرح : الخالص الذى ليس للإنسان معه أمل فى شىء ، يقال : صرح الشىء تصريحا اذا صار خالصا .

وقال آخر :

ما أنتَ بالسّبب الضّعيف وإنما * نُجْحُ الأمورِ بقوّةِ الأسبابِ
فاليومَ حاجتُنا اليك(١) وإنما * يُدعَى الطبيبُ لكثرة الأوْصَابِ

كتب بعضُ الكتّاب الى بعض السلطان : أنا أنزّهك عن التجمّلِ لى بوعدٍ يطول به المَدَى و يَعْتَرِله الوفاء، وأُحِبّ أن يتقرر عندك أن أملِ فيك أبعدُ من أن أختلِسَ الأمورَ منك اختلاسَ من يَرى فى عاجلِكَ عِوضًا من آجلك، وفى الراهنِ من يومِك بدلا من المأمول فى غَدِك، وألّا تكون منزلتى فى نفسك منزلةَ مَنْ يُصرَفُ الطرفُ عنه وتُستكرَهُ النفسُ عليه ويُتكلّفُ ما فوق العفوِ له، وأن تَختارَ(٢) بين العذرِ والشكرِ؛ فاللهُ يعلمُ أنّ آثرَ الحظّينِ عندى أحقُّهما عليكَ، وأصوبُهما لحالى عندك .

وفى كتاب : ذو الحرمة مَلُومٌ على فَرْطِ الدّالّة، كما أنّ المتحرّمَ به مذمومٌ على التناسى والإزالة . ومن مذهبى الوقوفُ بنفسى دون الغايةِ التى يُقْتَمنى إليها حقّ، لأمرين : أحدُهما ألّا أرضى بدون الحقّ أزيدَ فى الحقّ . والثانى أن أرى النفيس من الحظّ زهيدا اذا أتَى من جهة الإرهاقِ. ولِى ذِمامُ المودّةِ الصادقةِ التى كلُّ حُرْمةٍ تَبَعٌ لها ، وحق الشكرِ الذى جعله الله وفاءً بالنعم و إن جلّ قدرُها؛ وأنتَ مُرَاعِى المعالى وحافِظُ بقيّةِ الكرم؛ فأىُّ سبيلٍ للعذرِ، بل أىّ موضع للإكداء بين حُرْمتِى ورِعايتكَ، وذِمَامِى وكرمِك ! .

قال أحمد بن يوسف : أوّلُ المعروفِ مُسْتَخَفٌّ، وآخرُه مُسْتَثقَلٌ؛ يكاد أوّلُه يكون للهوى دون الرأى، وآخرُه للرأى دون الهوى . ولذلك قيل : رَبَّ(٣) الصّنيعةِ أشدُّ من ابتدائها .

(١) فى الأصل : «اليه» وما أثبتناه يتفق مع السياق . (٢) فى الأصل : «يختار» بالياء المثناة من تحت . (٣) ربَّ الصنيعةَ ربًّا : تعهدها ونماها .

قال أبو عطاء السِّنْدىّ فى يزيدَ بن عمر [بن هُبَيرة] :

ثلاثُ(١) حُكْمُهُنّ لقَرْم(٢) قيسٍ * رجَعْنَ الىّ صِفْرًا خائباتِ
أقام على الفُرات يزيدُ شهرًا(٣) * فقال الناسُ أيُّهما الفراتُ
فيا عجبًا لبحرٍ فاض يسقى * جميعَ الناسِ لم يَبْلُلْ لَهَاتِى(٤)

حال المسئول عند السؤال

قال الشاعر(٥) :

سألناه الجزيلَ فما تَلَكّا(٦) * وأعطى فوق مُنيتِنا وزادا
مِرارًا ما أعود(٧) اليه إلّا * تبسّم ضاحكا وثنَى الوِسادا

وقال آخرُ :

قومٌ اذا نزل الغريبُ بدارهم * تركوه رَبَّ صَواهِلٍ(٨) وقِيانِ
وإذا دعوتَهُمُ ليومٍ كريهةٍ * سَدُّوا شُعَاعَ الشمسِ بالفُرْسانِ
لا ينقُرون الأرضَ عند سؤالهم * لِتلَمُّسِ البِلّات بالعِيدانِ
بل يبسُطون وجوهَهم فتَرى لها * عند السؤال كأحسنِ الألوانِ

وقال آخرُ :

يَجعَلُ المعروفَ والبِرَّ ذُخْرًا * ويَعُدّ الحمدَ خيرَ التجارَهْ

(١) يعنى ثلاث قصائد . (٢) كذا فى الشعر والشعراء المؤلف . وفى الأصل : «لقوم» .
(٣) فى هذا البيت إقواء ، وهو اختلاف حركة الروىّ ، وقد تقدم هذا الشعر قريبا برواية أخرى يمدح به أباه فى ص ١٤١ وليس فيه هذا العيب . (٤) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم . (٥) هو زياد الأعجم يمدح عمر بن عبد الله . (٦) فى الأغانى (ج ١٤ ص ١٠٢ طبع بولاق) « تأنّى » . (٧) فى الأغانى : «ما دنوت» . (٨) كذا فى العقد الفريد . والصواهل : جمع صاهل وهو الفرس والبعير الذى يخبط برجله ويده الأرض ولا يرغو ، وفى الأصل : «صياهل» ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا صيغة هذا الجمع .

وإذا ما جئتَه تجتديه * خِفتَه بشّرتَه ببشارهْ
فترى فى الطَّرْف منه حياءً * وترى فى الوجه منه استنارهْ

وقال آخر :

إذا غدا المهديُّ فى جنده * أو راح فى آل الرسول الغضابْ
بدا لك المعروفُ فى وجهه * كالضوء يجرى فى ثنايا الكعابْ (١)

وأنشدنى العُتْبىّ :

له فى ذُرَى المعروف نُعْمَى كأنها * مواقع ماءِ المُزن فى البلد القَفْرِ
إذا ما أتاه السائلون توقّدتْ * عليه مصابيحُ الطلاقةِ والبِشرِ

والمشهور فى هذا قول زهير :

تَراه اذا ما جِئتَه مُتهلّلًا * كأنّك تُعطيه الذى أنتَ سائلُهْ

وسأل رجل من الأعراب رجلا [فلم يُعْطِه] شيئا، فقال :

كَدَحْتُ بأظفارى وأعملتُ مِعْوَلِى * فصادَفْتُ جُلْمُودًا من الصَّخر أملَسَا
تشاغَلَ لما جئتُ فى وجه حاجتى * وأطرَقَ حتى قلتُ قد ماتَ أو عسَى
وأجمعتُ أن أنعاه حين رأيتُه * يفوقُ فُواقَ [الموت] (٢) ثم تنفّسَا
فقلتُ له لا بأسَ ، لستُ بعائِذٍ (٣) * فأفرخَ (٤) تعلُوهُ الكآبةُ مُبلِسَا

وقال مسلمٌ :

أطرقَ لما أتيتُ ممتدِحًا * فلم يقُلْ "لا" فضلًا على "نَعَمِ"

(١) الكعاب : جمع كاعب، والكاعب : الجارية الناهد . والثنايا : أربع أسنان فى مقدم الفم : ثنتان فى الفك الأعلى وثنتان فى الأسفل . (٢) زيادة يستقيم بها المعنى والوزن .
(٣) العائذ : الملتجئ . وفى الأصل : «بعائد» بالدال المهملة . (٤) أفرخ : ذهب روعه، وفى الأصل : «أفرج» بالجيم . ومبلسا : حزينا مفكرا .

خفتُ إن ماتَ أن أُقادَ به * فقمتُ أبغى النَّجاةَ من أَيِم[1]
لو أنّ كنزَ البـــلادِ فى يده * لم يَدَعِ الإعْتِـــلَالَ بالعَـــدَمِ

وقال الحارث الكِنْدِىّ :

فلما أن أتيناه وقلنا * بحاجتنا تَلَوَّنَ لونَ وَرْسِ[2]
وأَضَّ[3] بكفّه يَحْتكُّ ضرسًا * يُرِينَا أنه وَجِعٌ بِضِرْسِ
فقلتُ لصاحبى أبه كُزَازٌ[4] * وقلتُ أُسِرُّه أم لا أُراه يُمْسِى
وقمنا هارِبَيْن معًا جميعًا * نُحاذِرُ أن نُزَنَّ[5] بقَتْلِ نَفْسِ

قال الأصمعىّ :

دخل أعرابىّ على المَسَاوِرِ الصَّبِّىّ وهو بُنْدَارُ[6] الرِّىّ ، فسأله فلم يُعطه شيئا ، فأنشأ يقول :

أتيتُ المساوِرَ فى حاجـــةٍ * فما زال يَسْعُلُ حتى صَرَطْ
وحكَّ قفـاه بكُرْسُوعِه[7] * ومَسَّـــحَ عُثْنُونَه وامْتَحَطْ
فأمسكتُ عن حاجتى خِيفةً * لأخرى تُقَطِّعُ شَرْحَ[8] السَّفَطْ
فأُقسِمُ لو عُـدتُ فى حاجتى * لَلَطَّـخَ بالسَّـلْحِ[9] وَشْىَ[10] النَّمَطْ
وقال غَلِطْنا حسابَ الجـراح * فقلتُ من الصَّرْطِ جاء الغَلَطْ

قال : فكان العاملُ كلّما ركبَ صاح به الصِّبيانُ . « من الصرط جاء الغلط » فهرب من غير عَزْل الى بلاد أصبهانَ .

(١) من أم : من عريب (٢) الورس : نبات أصفر يصبغ باليمن . (٣) آض : صار وعاد . (٤) كزاز : د . يحصل من شدة البرد أو رعدة . (٥) نزن : نتهم .
(٦) البندار : الحافظ . (٧) الكرسوع : طرف الزند الذى يلى الخنصر . (٨) الشرح بالتحريك : العرى ، وبكسر للضرورة . والسفط : وعاء كالقفة ، وشرح السفط هنا كناية عن الأست .
(٩) السلح : الخرء . (١٠) النمط الفراش .

وقال نهارُ بنُ تَوْسِعَةَ فى قُتَيبةَ بن مسلم :

كانتْ خُراسانُ أرضا اذ يزيدُ بها * وكلُّ بابٍ من الخيرات مَفتوحُ
فَبُدِّلَتْ بعـــدَه قِردًا نُطِيفُ به * كأنما وجْهُـهُ بالخلّ مَنضُوحُ

وقال جرير[1] :

يَزِيدُ يُغَضّ الطَّـــرفَ دونى كأنّما * زَوَى بين عينَيْـــهِ عـــلىّ المحاجِمُ[2]
فلا يَنبَسِطْ من بينِ عينَيكَ ما انزوَى * ولا تَلقَـــنِى إلا وأنفُـــكَ رَاغِـمُ

وقال آخرُ :

لا تَسأَلِ المرءَ عن خلائقه * فى وجهِهِ شاهدٌ من الخبَرِ

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن الأَبَجّ[3] عن البَتّىّ قال قال محمد بن واسع : إنك لتعرِف فجورَ الفاجر فى وجهه .

قال أبو العتاهية :

مالى أرَى الناس قـــد أبرقُوا[4] * بلُؤمِ الفِعال وقـــد أرعدوا
اذا جئتَ أفضلَهم للســـلا * م ردّ وأحشـاؤه تُرْعَـــدُ
كأنكَ، من خشيةٍ للسّـــؤا * ل، فى عينه الحيّةُ[5] الأســـودُ

---

(١) نسب المبرّد فى الكامل (ج ١ ص ٣٩٦ طبع أوربا) هذا الشعر للأعشى يعاتب به يزيد بن مسهر الشيبانى ، وورد فى الأغانى فى ترجمة الأعشى (ج ٨ ص ٨٦ طبع بولاق) ولسان العرب مادّة « زوى » ما يؤيد ذلك . (٢) المحاجم : جمع محجم ، وهو قارورة الحجام . (٣) ورد هذا الاسم فى الأصل هكذا «الأيج» بالياء المثناة من تحت ، ولم نعثر فى الرواة على من تسمى بهذا الاسم . وقد ورد فى تهذيب التهذيب حماد بن يحيى الأبح ، فلعله محرّف عنه . (٤) دخل هذا البيت الخرم وهو حذف الحرف الأوّل من «فعولن» وفى هذه الحالة يسمى «أثلم» . وقد ورد فى ديوانه طبع المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين هكذا : ترى الناس طرا وقد أبرقوا ... ... الخ .
(٥) كذا فى ديوانه ، وفى الأصل : «الأسد الأسود» .

وقال آخر :

اذا ما الرزق أحجم عن كريم * فألجأه الزمانُ إلى زيادِ
تلقّاه بوجـــهٍ مُكْفَهِـــرٍّ * كأنّ عليـــه أرزاقَ العبـادِ

وقال آخرُ :

ولى حليـلٌ ما مسّنى عَدَمٌ * مد بَطَرَتْ عينُه الى عَدَمِي
بشّرَنى بالغِـــنَى تهلّـــلُه * وقبل هـــذا تهلّلُ الدَّرَمِ
وبِحمةُ الزائرينَ بَيّنَـــةٌ * تُعرَفُ قبل اللقاء فى الحَشَمِ

العادةُ من المعروف تُقطَعُ

كان يقال : انتزاعُ العادةِ ذنبٌ محسوبٌ .

وقال أبو الأسود [الدُّؤَلى] .

ليت شـــعرى عن أميرى ما الذى * عاله فى الـــودّ حـــتى ودّعَـــهْ[1]
لا تُهنّى بعـــد إذ أكرمتنى، * وشـــديدٌ عادةٌ مُنـــتَزَعَهْ
أذكرِ البـــلوى الـــتى ألمَمْتِ بى * وكلامًا قُلتَـــهُ فى المَجْمَعَـــهْ[2]
لا يكُنْ برقُـــك برقًا خُلّبًا * إنّ خيرَ البَرْقِ ما الغيثُ معَـــهْ

والمشهورُ فى هذا قولُ الأعشى :

عوّدتَ كِندةَ عادةً فأصبرْ لها * وأعفِـــرْ لجاهلها وزُرّ بِجَالَهـا

(١) وردت هذه الأبيات فى حماسة البحترى (ص ٣٧٣ طبعة أوروبا) برواية أخرى منسوبة لأس ابن أبي أمس الذئبى وهى :

سل أميرى ما الذى غيّر لى * ودّه والصبح حتى ودّعه
ما الذى أنكر منى فأنى * وهو يبدى لى أمورا شنعه
لا تهى بعد إكرامك لى * وشـــديد عادة منتزعه
واذكر العهد الذى عاهدتنى * وحديثا قلتـــه فى المجمعه
ليس من يسعى سوء بينا * حبه الليـــل بأرض مسمعه

(٢) المجمعة : مجلس الاجتماع ، قال الشاعر : وتوقد ناركم شررا ويرفع * لكم فى كل مجمعة لواء

سأل أعرابيّ قومًا، فرَقَّ له رجلٌ منهم فضمّه اليه وأجرى له رزقًا أيامًا ثم قطع عنه؛ فقال الأعرابيّ :

تَسَرَّى[1] فلمّا حاسبَ المرءُ نفسَه * رأى أنه لا يستقيم له السَّرْوُ

وقدِم أبو زيادٍ الكِلَابيّ مع أعرابٍ سنةَ القَحْمَة[2]، فأجرى عليهم رجلٌ رعيفا لكل رجلٍ ثم قَطَعه؛ فقال أبو زياد :

إن يقطعِ العباسُ عنا رَغيفَـهُ * فـما يأتِي من نِعمةِ الله أكثرُ[3]

والحكماء تقول : «العادة طبيعةٌ ثانيةٌ» .

وفى الحديث : "الخيرُ عادةٌ والشرّ لجاجةٌ" .

وقال بعضُ الشعراء لرجلٍ من الأشراف :

ولقـد ضربنا فى البلاد فلم نَجِد * أحدا سِواك الى المكارم يُنْسَبُ

فاصبِرْ لعادتك التى عوّدتَنا * أولا فأرشِدْنا الى مَنْ نَذهَبُ

وتقولُ العربُ فيمن اصطنعَ معروفا ثم أفسده بالمنّ أو قطعه حين كاد يتمّ : «شَوَى[4] أخوكَ حتى اذا أنضجَ رمّد» .

قال أبو كعب القاصّ : كان رجل يُجرِى علىّ رغيفا فى كلّ يوم، وكان يقول اذا أتاه الرغيفُ : لعنك الله ولعن من بعث بك، ولعنني إن تركتُك حتى أُصيبَ خيرا منك.

والعربُ تقولُ فى مثل هذا : «خُذْ[5] من الرَّضَفةِ ما عليها» .

---

(١) تسرّى : تكلف السرو، والسرو: السخاء . (٢) القحمة : القحط . (٣) دخل على هذا البيت الخرم وقد تقدّم شرحه فى صفحة ١٥٥ حاشية رقم ٤ (٤) كذا فى مجمع الأمثال للميدانى . ورمد : ألقى الشىء فى الرماد . وفى الأصل : « رتل » باللام وهو يصح به المعنى أيضا .

(٥) هذا المثل يضرب فى اهتمام الشىء من البخيل وإن كان زرا ، والرضفة : الحجارة المحماة يُوعَر (يُسَخَّنُ) بها اللبن، وهى اذا ألقيت فى اللبن لزق بها شىء منه .

وقال الشاعر :

وخُذِ القليلَ من اللئيم وذُمَّه * إنّ اللئيم بما أتى معذورُ

ومعذور : موسوم فى موضع العِذار، وليس هو من العذر .

الشكر والثناء

حدّثنى شيخ لنا عن وَكيع عن سفيان عن منصور عن هلال بن أساف[1] قال قال صلى الله عليه وسلم : "اذا صلّى[2] أحدُكم فَلْيُثْنِ عليه من سِتر بيته فانّ الله عزّ وجلّ يَقسِمُ الثناءَ كما يَقسِمُ الرزقَ" .

وحدّثنى أيضا عن وَكيع عن سعيد عن أبى عِمران الجَوْنِى عن عبد الله بن الصّامت قال قال أبو ذرّ : قلتُ للنبىّ صلى الله عليه وسلم : الرجلُ يعمَل العملَ ويحبّه الناس؟ قال : "تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى المؤمنِ" . وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : "إذا أردتُم أن تَعلَمُوا ما لِلعبدِ عند الله فانظُروا ما ذا يَتْبَعُه مِن الثّناءِ" .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : كان يقال : الثناء يُضَاعَفُ كما تُضاعَفُ الحسناتُ، يكون الرجل سخيًّا فيزيدُ اللهُ فى سَخائِه، ويكون شُجاعًا فيزيدُ الله فى شجاعته .

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن العُمَرىّ قال : قال رجلٌ لعمر بن الخطّاب رضى الله عنه : إنّ فلانًا رجلُ صِدْقٍ ؛ قال : سافرتَ معه ؟ قال لا . قال : فكانت بينك وبينه خُصُومةٌ ؟ قال لا . قال : فهل ائتمنتَه على شىءٍ؟ قال لا . قال : فأنت الذى لا علم لَك به، أُراك رأيتَه يرفع رأسَه ويَخْفِضه فى المسجد ! .

---

(١) ترجم له فى الخلاصة، وتهذيب التهذيب تحت اسم هلال بن يساف بالياء المثناة وقال فى التهذيب : « ويقال ابن أساف » .

(٢) ورد هذا الحديث فى الجامع الصغير هكذا : « اذا صلى أحدكم فليصل الى سترة وليدن من سترته لا يقطع الشيطان عليه صلاته » .

قال بعضُ الحكماء : إذا قَصُرتْ يدُك عن المكافاة فلْيَطُلْ لسانُك بالشكر .

وقال آخرُ : حقُّ النِّعمةِ أن تُحسِنَ لباسَها، وتَنسُبَها إلى وليِّها ، وتذكرَ ما تَناسى عندك منها .

وقال بعضُ الحارثيّين :

عثمانُ يَعلَمُ أنّ الحمدَ ذو ثمنٍ * لكنّه يَشتهِى حَمْدًا بِجَّانِ
والناسُ أكيَسُ من أن يَحمَدُوا أحَدًا * حتى يَرَوْا قبلَه آثارَ إحسانِ

وقال حمّادُ عَجْرَد :

قد يَنقضِى كلُّ ما أُولِيتَ من حَسَنٍ * إذا أتى دونَ ما أُولِيتَ يومانِ
تَنْأَى بُودّك ما آستغنيتَ عن أحدٍ * وإن طمِعْتَ فأنتَ الواصلُ الدّانى
الشَّهدُ أنتَ إذا ما حاجةٌ عرَضَتْ * وحَنظَلٌ كلّما آستغنيتَ خُطْبانُ(١)

وقال عِمرانُ بن حِطّان :

وقد عَرَضَتْ لى حاجةٌ وأظُنُّنى * بأنّى إذا أنزلتُها بك مُنْجِحُ
فإن أكُ فى أخْذ العطيّة مُرْبِحًا * فإنك فى بذل العطيّة أربَحُ
لأنّ لك العُقْبَى من الأجرِ خالصًا * وشُكرِىَ فى الدنيا، فحظُّك أرجحُ

وقال معاويةُ بن أبى سُفيانَ يعاتب قُرَيشا :

اذا أنا أعطيتُ القليلَ شكوتُمُ * وإن أنا أعطيتُ الكثيرَ فلا شُكْرُ
وما لمتُ نفسى فى قضاء حقوقكمْ * وقد كان لى فيما آعتذرتُ به عُذرُ
وأمنَحُكمْ مالى وتُكفَرُ نِعمتى * وتَشتِمُ عِرضِى فى مجالسها فِهْرُ

(١) أخطب الحنظل : آصفرّ وصار خطبانا وهو أن يصفرّ وتصير فيه خطوط خضر . وفى الأصل : « حطبان » بالحاء المهملة وهو تحريف . وفى هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروى .

إذا العذرُ لم يُقْبَلْ ولم يَنفع الأسى * وضاقت قلوبٌ منهمُ حَشْوُها العِمرُ[1]
فكيف أُداوِى داءَكم ودَواؤكم * يَزِيدكم غَيًّا ! فقد عَظُم الأمرُ
ساحْرِمُكمْ حتى يَذِلَّ صِعابُكم، * وأبلَغُ شيءٍ فى صَلاحِكمُ العقرُ

وقال طُرَيْح الثَّقَفىّ :

سَعَيتُ ٱبتغاءَ الشكر فيما صنعتَ بى * فقصَّرتُ مغلوباً وإنى لشاكرُ

ومثله قول الخُرَيْمىّ :

لِأنك تُعطينى الجزيلَ بَدَاهةً * وأنت لِمَا ٱستكثرتُ من ذاك حاقِرُ

ومثلُه قولُه أيضا :

زاد معروفَكَ عندى عِظَمًا * أنه عندك مَحْقُورٌ صَغِيرُ
تَتَناساه كأنْ لم تأتِه * وهو عند الناس مشهورٌ كبيرُ

قال رجل لبعض السلطان : المواجهةُ بالشكر ضربٌ من المَلَق ، منسوبٌ من عُرف بها الى التخلُّقِ[2] ؛ وأنت تَمنُنى من ذلك وترفع الحالُ بيننا عنه ، ولذلك تركتُ لقاءك به . غير أنى من الأعتراف بمعروفك ونَشْرِ ما تَطْوِى منه والإشادةِ بذكره عند إخوانك والأنتسابِ إلى التقصير مع الإطناب فى وصفه ، على ما أرجو أن أكونَ قد بلغتُ به حالَ المحتمِلِ للصَّنيعة ، الناهضِ بحقّ النعمة .

قال ٱبنُ عقاء الفَزَارىّ :

رآنى على ما بى عُمَيلةُ فٱشتكَى * الى ماله حالى أَسَرّ كما جَهَرْ
دعانى فآسانى ولو صدّ لم ألُمْ[3] * على حين لا بَدْوٌ يُرَجّى ولا حَضَرْ
فقلتُ له خيراً وأثنيتُ فعلَه[4] * وأوفاك ما أسديتَ مَنْ ذَمّ أو شَكَرْ

(١) العمر (بالكسر) : الحقد . (٢) تخلق الرجل : أظهر فى خلقه خلاف ما فى نفسه .
(٣) فى ديوان الحماسة لأبى تمام ص ٦٩٦ طبع أوربا : «ص» .
(٤) أثنيت فعله أى على فعله ، بحذف حرف الجر ، ويجوز أن يكون عدّى أثنى لأنه بمعنى مدح (انظر شرح الحماسة التبريزى) .

وقال آخر[1] :

سأشكر عمـــرًا إن تراخت منيتى * أيادِىَ لم تُمْنَن وإن هى جَلّتِ
فتًى غيرُ محجوبِ الغِنَى عن صديقه * ولا مُظْهِرِ الشكوَى اذا النعلُ زَلّتِ
رأى خَلّتى[2] من حيثُ يَخفَى مكانُها * فكانت قَذَى عينيْـــه حتى تجلّتِ

وقرأتُ فى كتاب للهند : أربعةٌ ليست لأعمالهم ثمرة : مُسَارُّ الأَصمِّ ، والبَاذِرُ فى السَّبَخَة، والمُسْرِجُ فى الشمس، وواضعُ المعروف عند مَنْ لا شكرله .

وقال بعضُ الشـعراء المُحْدَثِين، وقيل : إنه للبحترىّ، فبعثتُ إليه أسأله عنـه فأعلمنى أنه ليس له :

ولو كان للشكر شخصٌ يَبِينُ * إذا ما تأمّـله الناظـرُ
لبيّنتُـــهُ لك حـــتّى تراه * فتعـــلَمَ أنّى امرؤٌ شاكرُ
ولكنه ساكنٌ فى الضميرِ * يُحَـرّكه الكَلِمُ السـائرُ

وقال آخرُ :

ولو كان يَستغنى عن الشكر سيّدٌ * لعِـزّة مُلْكٍ أو عُلوّ مَـكانِ
لمـا أمر اللهُ الخليـــلُ بشكره * فقـال اشكرونى أيها الثّقلانِ

وقال آخرُ :

فأثْنُـــوا علينا لا أبَا لأبيكمُ * بإحسانِنا إنّ الثناءَ هو الخُلدُ

وقال رجل من غَنِىٍّ :

فإذا بلغتم أهلَكم فتحدّثوا * ومن الثناء مَهَالِكٌ وخُلودُ

---

(١) يقال : إنه محمد بن سعيد الكاتب (انظر ديوان الحماسة لأبى تمام ص ٦٩٧ طبع أوربا) .
(٢) الخلة (بالفتح) : الفقر والحاجة .

وكانت عائشة رضى الله عنها تَتَمَثَّلُ بقول الشاعر :

يَجْزِيكَ أو يُثْنِي عليـك وإنْ مَنْ ، أثنى عليك بما فعلتَ كمن جَزَى

وقال الحارثُ بن شداد فى علىّ بن الربيع الحارثىّ :

النـاسُ تحتك أقـدامٌ وأنت لهم * رأسٌ وكيف يُسَوَّى الرأسُ والقدمُ

فحسْبُه من ثناء المادحين إذا * أثنَوْا عليـك بأن يُثنوا بما عَلِموا

وقال آخرُ :

بأىّ الخَصْلتيْن عليك أُثنى * وإنى عند مُنْصَرَفى مَسُولُ

أبالحُسْنَى وليس لها ضياءٌ * على مَنْ يُصَدِّقُ ما أقول

أم الأُخرَى ولستَ لها بأهلٍ * وأنت البحرُ من ذهبٍ يسيلُ

وقال بشّار :

أُثنِي عليـك ولى حال تُكَذِّبنى * فيما أقول فأستحيي من الناس

قد قلتُ إنّ أبا حفصٍ لأكرمُ مَنْ * يمشى لخاصَمنى فى ذاك إفلاسى

وكتب بعض الكُتّاب إلى وزير : لستَ تُشبه حالَنا فى الحُرْمة ، ولا تُشبه حالَك فى الجاه والقُدرة ، ولا ظاهرُ ما نحن عليه الباطن . وليس بعد حُرْمتى حرمةٌ ، ولا فوق سَبَبى سببٌ ، ولا بعد حالك حالٌ يُرتجى ، ولا بعد منزلتك منزلةٌ تُتَمَنَّى ، ولا تنتظر شيئا ولا أنتظره ، ولا أتوقع حقًّا أزيدُه فى حقوق ، ولا أتوقع فائدة تزيدها فى ذات يدك . وكم تحتال بالألفاظ ، وتُمَوِّه بالمعانى ، والناس يحتجّون بالعمل ويَقْضون بالعيان .

وقال بعض الشعراء :

وزهّدنى فى كلّ خيرٍ صنعتُه * إلى الناس ما جرّبتُ من قلّة الشكرِ

وقال أبو الهَوْل فى أبى المراء عُتْبة بن عاصم :

اذا فاخرَتْنَا من مَعَدٍّ عِصابةٌ * نفرنا عليها بابن عُتْبَةَ عاصِمِ

يَحُزّ رِياطَ الحمدِ فى دار قومه * ويختال فى عِرْضٍ من الذمّ سالِمِ

وقال رجل لبعض السلطان : مِثلك أوجب حقّا لا يجب عليه ، وسمَح بحقّ يجب له ، وقبِل واضحَ العذر، واستكثرَ قليلَ الشكرِ . لا زالت أيادِيك فوق شكرِ أوليائك، ونعمةُ الله عليك فوق آمالهم فيك .

وكتب آخر :

ما أنتهى الى غايةٍ من شكرك ، إلا وجدتُ ورائَها غايةً من معروفك يَحْسُرُ(١) بلوغُها . وما عَجَز الناسُ عنه فالله من ورائه . فلا زالت أيامك ممدودةً بين أملٍ [لك] تبلغه، وأملٍ فيك تُحقّقه، حتى تَتَملّ من الأعمار أطولَها، وتنالَ من الهِبَاتِ أفضلَها .

ونحو هذا قولُ آخر :

كان لى فيك أمَلانِ : أحدُهما لك، والآخَرُ بك . فأمّا الأملُ لك فقد بَلَغتُه، وأمّا الأملُ بك فأرجو أنْ يُحقّقه الله ويُوشِكَه .

وفى كتاب آخر :

أيّامُ القدرةِ وإن طالتْ قصيرةٌ، والمُتْعةُ بها وإن كَثُرتْ قليلةٌ، والمعروفُ وإنْ أُسْدِىَ الى من يَكفُرُه مشكورٌ بلسان غيره .

وفى كتاب بعض الكتّاب :

وما ذكرتُ — أعزّك الله — من ذلك قديمًا ولا جَدّدتَ منه حديثًا ، إلّا وأصغرُ أملٍ فيك فوقَه وإن كان استحقاق دونه . فإن أفِض واجبَ حقّ الله علىّ

(١) يحسر (من باب نصر، ويجوز فيه أحسر أيضا) : يعيى ويتعبى .

فى شكرِ نِعَمك فبتوفيقِه وعَوْنه، وإن أُقَصِّرْ عن كُنْهه فعن غيرِ تقصيرٍ فى بلوغ الجُهدِ فيـــه .

وفى هذا الكتاب :

أمّا ما بَذَلَ الأميرُ من ماله ، فذلك ماقد سَبَق الرجاءُ بل اليقينُ اليه ، مَعْرِفةً منّى بطَوْله وكرمه ، وليس يُنكِر أياديه ولا يَدْعُ صـنائعه . وما يُرشِدُنى أمل معـد الله إلّا اليه ، ولا أفزَعُ لحادثةٍ الى غيره ، ولا أتضاءلُ لنائبة معه . ولو عَجَزتُ عن النَّهضةِ لمَـا حاولتُ الاستقلالَ والاستعانَ إلّا به ومالُ الأميرِ الكثيرُ المذخورُ عند انقطاع الحِيَل ، لا مُعَنَّفٌ طالبُه ، ولا مُخَوِّفٌ على الرِّدّ عنه واهبُه ، ولا عائقَ مَنْعٍ دونه ، ولا تنغيصَ من ورائه ؛ ولا كنزَ أولَى بالصون وأن يُجعَلَ وَقْفًا على النوائب والعواقبِ مِنْ كنزِ مَنْ هذه حالُه .

قالت بنو تميم لِسَلَامةَ بن جَنْدَلٍ[1] : مَجِّدْنا بشعرك ؛ فقال : افعلوا حتّى أُثْنِيَ . ونحوُه قولُ عمرو بن مَعْدِيكَرِبَ :

فلو أنّ قومِى أنطقتْنى رِماحُهم * نطقتُ ولكنّ الرِّماحَ أجَرَّتِ[2]

قال رجل من قريش لأشعبَ : والله ما شكرتَ معروفى عندك ؛ فقـال : إنّ معروفك كان من غير مُحتَسِبٍ ، فوقع عند غير شاكر .

وقال أبو نُوَاس :

أنت امرؤٌ أوليتَـــنى نِعَمًا * أوهتْ قُوَى شكرى فقد ضَعُفا

(١) كذا فى الشعر والشعراء (ص ١٤٧ س ٤) وخزانة الأدب للبغدادى (ج ٢ ص ٨٦ س ٢٢) وفى الأصل : « حدث » بالباء وهو تحريف .

(٢) أجرّت : قطعت ، يقول : لو قاتل قومى أو أملوا لذكرت ذلك وضربت بهم ، ولكن رماحهم أجرّتنى أى قطعت لسانى عن الكلام بهزارهم .

فإليكَ بعـد اليـوم تَقْـدِمةٌ * وَأَتَتْـكَ[1] بالتصريح مُنكشِفَا
لا تُحدِثَنّ إليّ عارفـةً * حتّى أقـومَ بشـكر ما سَلَفا

وقال أبو نُخَيْلة :

شكرتُكَ إنّ الشكرَ حبـلٌ من التُّقَى * وما كلُّ مَنْ أقرضتَه نعمةً يَقضِى
فأحييتَ من ذكرى وما كان ميّتًا[2] * ولكنّ بعضَ الذِّكرِ أنبهُ من بعضِ

آخـر :

لأشكرُنّك معـروفًا هَمَمتَ به * إنّ اهتمامَك بالمعروفِ معروفُ
ولا ألومُك إن لم يُمْضِهِ قَـدَرٌ * فالشيءُ بالقَدَرِ المحتومِ مصروفُ

وقال رجل لسـعيد بن جُبَير : المجوسيُّ يُولِينى خيرًا فأشكرُه، ويُسلِّمُ عليّ فأردُّ عليه ؛ فقال سعيد : سألتُ ابن عبّاس عن نحو هذا، فقال لى : لو قال لى فرعونُ خيرا لَرَدَدتُ عليه مثله .

أنشد ابن الأعرابيّ :

أهلكتْنى بفـلانٍ ثِقَتِى * وظُنونٌ بفلانٍ حسـنَهْ
ليس يَستوجبُ شكرًا رجلٌ * نِلتُ خيراً مِنه من بعد سنهْ

وقال بعضهم : لا تَثِقْ بشكر من تُعْطيـه حتى تمنَعه ؛ فإنّ الصابرَ هو الشاكر ، والجازعَ هو الكافر .

وقال أَوْسُ بن حَجَر :

سأَجْزِيك أو يَجْزِيك عنّى مُثوِّبٌ[3] * وفَضْلُكِ أنْ يُثْنَى عليكِ وتُحْمَدِى

(١) والتك : تابعتك ، وفى ديوانه المطبوع : فإليك قبل اليوم تقدمة * لاقتك بالتصريح مكشفا
(٢) فى نهاية الأرب : * ونبهت لى ذكرى وما كان خاملا * (٣) كذا فى ديوانه طبع أوربا والأغانى (ج ١٠ ص ٧ طبع بولاق) ، وفى الأصل :
... . مى مثوب ، وحسبك منّى أنْ أوَدّ وأحمَدَ وروى القصيدة بالكسر .

والعربُ تقول : فلانٌ "أشكَرُ من البَرْوَق" وهو نبت ضعيف ينبتُ بالسحاب إذا نشأ وبأدنى مطر .

وقال الشاعر :

لئن طِبتَ نَفْسًا عن ثَنَائِي فإننى * لَأَطْيَبُ نفسًا عن نَدَاك على عُسْرِى
فلستُ الى جَدْواكَ أعظَمَ حاجةً * على شِدّةِ الإعسارِ منكَ إلى شُكرِى

وقال آخر :

حَسْبُ امرئٍ إن فاتنى غرضٌ * من بِرِّه أنْ فاتَه شُكْرِى
إنّى إذا ضاق امرؤٌ بِجَدًا[1] * عنّى اتّسعتُ عليه بالعُذْرِ

وقال الطائىّ لإسحاق بن إبراهيم :

وتُحَجِّبٍ حاولتُه فوجدته * نَحْمًا عن الركب العُفاةِ شَسُوعَا
أعدمتُه لمّا عَدِمتُ نوالَه * شُكرِى فرُحْنا مُعدِمَيْن جميعَا

وقال :

فإنْ بكُ أرْبَى[2] عفوُ شكرِى على نَدَى * أُناسٍ فقد أرْبَى نَدَاهُ على جُهدِى

وقال :

وكيفَ يجورُ عن قَصْدٍ لسانِى * وقلبى رائحٌ برِضَاكَ[3] غادِى
وممّا كانتِ العلماءُ قالتْ * لسانُ المرءِ من خَدَمِ الفُؤادِ

وقال :

أبا سَعيدٍ وما وصفِى بمُتّهَمٍ * على الثّناءِ[4] وما شُكرِى بمُختَرَمِ

(١) الجدا : العطية . (٢) كذا فى ديوان أبى تمام ، وفى الأصل : «أدنى» وهو محرف .
(٣) كذا فى ديوان أبى تمام وهو الذى يناسب البيت الذى بعده ، وفى الأصل : «بندالك» .
(٤) فى الديوان : «على المعالى» .

لئن جَحَدتُكَ ما أوْلَيتَ من نِعَمٍ * إنّى لفى الشُّكر أحظَى منك فى النِّعَمِ[1]
أنسَى ابتسامُك والألوانُ كاسِفةٌ * تَبَسُّمَ الصُّبحِ فى داجٍ من الظُّلَمِ
رَدَدتَ رَوْنَقَ وجهى فى صَفيحَتِه * رَدَّ الصِّقالِ بَهَاءَ الصَّارِمِ الخَذِمِ
وما أُبالى، وخيرُ القول أصدقُه، * حَقَقتَ لى ماءَ وجهى أم حقنتَ دَمِى

وقال :

فلا تَكْدَرْ حِياضُك لى بإنى * أَمَمْتُ اليك آمالًا طِوالًا
وفِرْ[2] جاهِى على فإنّ جاهى * اذا ما غَبَّ يومٌ كان مالًا

وقال :

يا مِنَّةً لك لولا ما أُخَفِّفُها * به من الشكر لم تُحمَلْ ولم تُطَقِ
بالله أدفعُ عنّى ثِقْلَ فادِحِها * وإنّنى خائفٌ[3] منه على عُنقِى

وقال بشارٌ فى عمرَ بنِ العلاء :

دعانى الى عُمرٍ جُودُه * وقولُ العشيرِ بَحرٌ خِضَمّْ
ولولا الذى زعموا لم أكن * لِأمدحَ رَيْحانةً قبل شَمّْ

ويقال : الشكر ثلاثُ منازلَ : لِمن فوقك بالطاعةِ، ولِنظيرِكَ بالمكافأةِ، ولمن دونك بالإفضال عليه .

---

(١) كذا ورد هذا الشطر فى الأصل ، وهو غير واضح المعنى ، وقد ورد البيت فى الديوان هكذا :

لئن جَحَدتُكَ ما أوليتَ من حَسَنٍ * إنى لفى اللوم أحظَى منكَ فى الكرم

(٢) فِرْ : فعل أمر من قولهم : وفَرَ عرضَه ووفره له لم يشتمه كأنه أبقاه له طيبا لم يقطعه بشتم قال الشاعر :

أليكنى وفِرْ لابن الفريرة عرضه * الى حالد من آل سلمى بن جندل

(٣) فى الديوان «منها» .

قال إبراهيم[1] بن المهدىّ يشكر المأمونَ :

رَددتَ مالى ولم تَمُنُنْ علىّ به * وقبل ردِّكَ مالى قد[3] حقَنْتَ دَمِى[2]
فأنتَ منـــكَ وقـد جلّلتَنِى نِعَماً * هى الحياتان من موتٍ ومن عَدَمِ
فلو بذلتُ دَمى أبغى رضـاكَ به * والمـالَ حتى أُسَلَّ النعلَ من قدَمِى
ما كان ذاك سِوى عاريّةٍ رجعَتْ * اليـكَ لولم تُعِـرْها كنتَ لم تُلِمِ
وقام علمُكَ بى فاحتجّ عندكَ لى * مقامَ شـاهدِ عدلٍ غيرِ مُتَّهَـمِ

وقال آخرُ، وبلغنى أنه الخَثْعَمىّ :

فاذْهَبا بى إن لم يكن لكما عَقْـ * ـرٌ الى جَنب قـبره فاعقِـرانى
وانضَحا من دمى عليه فقد كا * ن دمى من نَداه لو تَعْلمانِ

وفد رجل على سليمانَ بن عبد الملك فى خلافته ؛ فقال له : ما أقدمكَ؟ قال : ما أقدمنى عليك رَغْبَةٌ ولا رَهْبَةٌ، قال : وكيف ذاك؟ قال : أما الرغبةُ فقد وصَلَتْ الينا وفاضتْ فى رِحالنا وتَناوَلهـا الأقصى والأدنى منّا، وأما الرّهبَـةُ فقد أمِنّا بعَدْلِ أمير المؤمنين علينا وحُسنِ سِيرتِه فينا من الطلم، فنحن وَفدُ الشكر .

وقال الفرزدقُ فى عمرو بن عُتبةَ :

لولا ابنُ عُتبـةَ عمرُو والرجاء له * ما كانت البَصْرةُ الحمقاءُ لى وطَنَا
أعطانِىَ المـالَ حتى قلتُ يُودِعُنِى * أو قلتُ أُودِعَ لى مالاً رآه لنَـا

(١) راجع استعطاف إبراهيم بن المهدى وشكره للمأمون وعفوه عنه وردّ ماله وضياعه اليه فى أمالى القالى (ج ١ ص ١٩٩ طبع دار الكتب) . (٢) فى أمالى القالى : «ولم تحل» . (٣) كذا فى أمالى القالى والعقد الفريد (ج ٢ ص ٢٢٩) وفى الأصل : «ما حقنت دمى» . وهى هنا مصدرية .

بجودُهُ مُتعِبٌ شكرِى ومِنَّتُه * وكلّما زدتُ شكرًا زادنى مِنَنَا

يُرمِى بهمّتِـه أقصى مسافتِها * ولا يُريدُ على معـروفِه ثمنَا

هذا مثل قول الأعرابىّ : ما زال فلانٌ يُعطينى حتى ظننتُ أنه يُودِعُنى مالَه . وما ضاع مالٌ أورثَ المحامدَ .

ويقال : خمسةُ أشياءَ ضائعةٌ : سراجٌ يُوقَدُ فى شمس، ومَطَرٌ جَوْدٌ فى سَبَخَة، وحَسناءُ تُزَفُّ الى عِنّين ، وطعامٌ اُستُجِيدَ وقُدِّمَ الى سَكرانَ ، ومعروفٌ صُنِعَ الى مَنْ لا شكرَ له .

وكان يقال : الشكرُ زيادةٌ فى النّعم وأمانٌ من الغِيَر .

وقال أسماءُ بنُ خارجةَ : اذا قَدُمَتِ المصيبةُ تُرِكَتِ التّعزيةُ ، واذا قَدُمَ الإخاء قَبُحَ الثناء .

بَعثَ رَوْحُ بنُ حاتم الى كاتبٍ له بثلاثين ألفَ درهم، وكتب اليه[1] : قد بعثْتُ بها اليك، ولا أُقلّلُها تكبُّرًا، ولا أُكثّرها تمنُّنًا، ولا أَستَثيبُكَ عليها شاء، ولا أقطَعُ عنك بهـا رجاء .

وفى كتاب للهند : لاثناءَ مع كِبْر . وفيه : ستّةُ أشياءَ لاثباتَ لها : ظِلُّ الغمام، وخُلّةُ الأشرارِ، وعِشقُ النساء، والمالُ الكثيرُ، والسّلطانُ الجائرُ، والثناءُ الكاذبُ .

والعربُ تقول : « لا تَهرِفْ[2] قبـل أن تَعرِف » أى لا تُطنِبَنّ فى الثّناء قبـل الاختبـار .

---

(١) فى الأصل : «فكتب اليه» . (٢) هـذه الرواية أشار اليها صاحب اللسان فى مادة «هرف» وفى مجمع الأمثال للميدانى : «لا تهرف بما لا تعرف» وهى الرواية المشهورة .

وكتب أبو نُوَاس من الحبس الى الفضل بن الربيع :

ما بين يدى الناس واحدةٍ * كيـدِ أبو العبـاس مَولاها
نام الثّقاتُ على مَضاجعهم * وسَرَى الى نفسى فأحياهـا
قـد كنتُ خفتُكَ ثم آمنَنى * من أن أخافَكَ خوفُـكَ اللهَ
فعفوتَ عنّى عفوَ مُقتَـدِرٍ * وجبَتْ له نِـعَمٌ فألغاهـا

والبيتُ المشهور فى هذا قول النَّجاشىّ :

لا تحمَدَنّ امرأ حتى تُجَرِّبَه * ولا تَذُمَّنّ مَنْ لم يَبْلُه الخُبُرُ

وقال آخَرُ فى الاختبار :

إنّ الرجالَ إذا اختبرْتَ طِباعَهم * ألفيتَهُمْ شَتّى على الأخبـارِ
لا تَعجَلَنّ الى شَريعـةِ مَوْرِدٍ * حتى تَبيّنَ خُطّةَ الإصـدارِ

وقال الرّياشىّ : أنشدَنى أبو العالية :

اذا أنا لم أشكُرْ[1] على الخير أهلَه * ولم أذْمُمِ الحِبْسَ[2] اللئيمَ المذمَّمَا
ففيمَ عرَفْتُ الخيرَ والشرَّ بآمِهِ * وشَـقّ لِىَ اللهُ المسامعَ والفَما

قال ابن التوأم: كلُّ مَنْ كان، جُودُه يرجع اليه؛ ولولا رجوعه اليه لما جاد عليك، ولو تهيأ له ذلك المعنى فى سِواك لما قصدَ اليك، فليس يجب له عليكَ شكرٌ. وإنما يُوصفُ بالجود فى الحقيقةِ ويُشكرُ على النفع فى جُهّةِ العقل، الذى إن جاد عليك فلك جادَ، ونفْعَك أراد، من غير أن يرجع اليه جودُه بشىءٍ من المنافع على جهةٍ من الجهات، وهو الله وحدَه لا شريكَ له . فإن شَكَرْنا الناسَ على بعض ما جرى لنا على

(١) فى زهر الآداب للحصرى (ج ١ ص ٢٥٠) : « اذا أنا لم أمدح » . (٢) الحبس : الدنى، الجبان .

أيديهم، فلأمرين : أحدُهما التعبُّدُ ؛ وقد أمرَ اللهُ تعالى بتعظيم الوالِدَينِ وإن كانا شيطانَينِ وتَعظيم مَنْ هو أسنُّ منّا وإن كنّا أفضلَ منه . والآخرُ : لأنّ النفسَ مالا تُحصِّلُ الأمورَ وتُميِّزُ المعانِيَ، فالسابقُ اليها حُبُّ مَنْ جَرَى لها على يَديهِ الخيرُ وإن كان لم يُرِدْها ولم يَقْصد اليها. ألا تَرى أنّ عطيّةَ الرجلِ صاحِبَه لاتَخلُو أن تكونَ لله أو لغير الله ؛ فإن كانتْ لله فثوابُه على الله ؛ وكيف يَجبُ[1] فى حجّةِ العقل شكرُه وهو لو صادف ابنَ سبيلٍ غيرى لمـا أعطانى ؛ وإما أن يكونَ إعطاؤه إياى للذكرِ ؛ فإن كان كذلك فإنمـا جعلنى سُلّمًا الى حاجتِه وسببًا الى بُغْيَتِه ؛ أو يكونَ إعطاؤه إياى طلبا للكافأةِ ؛ فإنما ذلك تجارةٌ ؛ أو يكونَ إعطاؤه لخوف يَدِى أو لِسَانى أو آجتزارِ مَعُونَتى ونُصرتِى، وسبيلُ هـذا معروفٌ ؛ أو يكونَ إعطاؤه للرحمةِ والرقّةِ ولِمـا يجدُ فى فؤادِه من العصر والألم، فإنما داوَى بتلك العطيّةِ من دائِه ورفّه من خِناقِه .

وكان محمد بن الجَهْم يقول : نحوَ هذا قول الشاعر :

لَعَمْرُك ما النّـاسُ أثنَوْا عليك * ولا عظّمُـوك ولا عَظَّموا[2]
ولا شايَعُوك عـلى ما بَلَغْـ * ـتَ من الصالحات ولا قدّموا
ولـو وَجَدوا لَهُـمُ مَطْعنًا * الى أن يَعيبوك ما جَمْجَموا
ولكن صَـبَرتَ لِمَـا ألزموك * وجُدتَ بمـا لم يكن يلزمُ
وكان قِراكَ اذا ما لَقُوكَ * لسـانًا بمـا سرّهم يُنْعِـمُ
وخَفْضَ الجناح وَوَشْكَ النجاح * وتصـغيرَ ما عظّم المُنْعِـمُ
فانتَ بفضـلك ألجأتَهـم * الى أن يُجِـلّوا وأن يُنعموا

وقال خَلَف بن خليفة الأقطع :

وفى اليأس من أن تسأَلَ النّاسَ راحةٌ * تُميتُ بهـا عُسْرًا وتُحْيِي بهـا يُسْرَا

(١) فى الأصل : « وكيف يجب على جهة العقل » . (٢) كذا بالأصل ، والتكرار هنا غير مستساغ ، ولعل فيه تحريفا من الناسخ فى الكلمة الأولى بأن يكون أصلها « بجلوك » مثلا ، أو فى الكلمة الثانية بأن يكون أصلها « نظّموا » أى أكثروا من ظلم المدائح فيك .

وليس يــدٌ أوْلَيْتَهـا بغَنِيمـــة * اذا كنتَ تَبْغِي أن يُعَـدّ لهـا شُكْرَا
غِنَى النفس يَكْفِي النفسَ ما سدّ فاقةً * فإن زاد شيئا عاد ذاك الغِنَى فَقْـرَا

قال ابن عائشة : بلغني أنّ عبد الرحمن بن حسّان سأل بعضَ الولاة حاجةً لم يَقْضِها له ، فسألها آخرَ فقضاها له (١) ؛ فقال :

ذُمِمتَ ولم تُحمَـدْ وأدركتُ حاجتي * تَوَلّى سِواكم أجرَهـا واصْـطِناعَها
أبى لك كَسْبَ الحمدِ رأىٌ مُقَصِّرٌ * ونفسٌ أضاقَ اللهُ بالخـــير باعَهـا
اذا هي حَثّتْـه على الخـــير مَرّةً * عَصاها وإن هَمّتْ بشرٍّ أطاعَهـا

وقال ابن عائشـة : قال رجلٌ يوما لابن عُيَينة : ما شيء تُحدِّثونه يا أبا محمد؟ قال : ما هو؟ قال : يقـولون إن الله تعالى يقول : أيّمـا عَبْدٍ كانت له اليّ حاجةٌ فشـغله الثناء عليّ عن سؤال حاجته ، أعطيته فوق أُمْنِيّتـه ؛ فقال له : يابن أخي ، وما تُنكِر من هذا! أما سمعتَ قول أُميّة بن أبي الصّلْت في عبد الله بن جُدْعان :

اذا أثنَى عليـــه المرءُ يومًا * كفاهُ مِن تَعرُّضِـــه الثناءُ

فكيف بأكرم الأكرمين !

وكان يقال : في طلب الرجل الحاجةَ الى أخيه فتنةٌ : إن هو أعطاه حَمِـد غيرَ الذي أعطاه ، وإن منعه ذَمّ غيرَ الذي منعه .

حدّثنا الرِّياشيّ قال : أنشدنا كَيْسان لدُكَين الراجز :

اذا المرءُ لم يَدْنَس من اللُّؤمِ عِرْضُه * فكلُّ رداءٍ يَرْتَدِيه جَمِيـــلُ (٢)
اذا المرءُ لم يَصْرَع عن اللؤم نفسَهُ * فليس الى حُسْنِ الثناء سبيلُ

(١) كذا في أمالي القالي (ج ٢ ص ٢٢١ طبع دار الكتب المصرية) : وهو المناسب للشعر ، وفي الأصل : «شفع رجل فصيت حاجته» .

(٢) المعروف أن هذا البيت هو مطلع قصيدة للسموءل بن عادياء اليهوديّ ، كما في أمالي القالي وديوان الحماسة لأبي تمام وغيرهما ، والبيت الثاني يروى في الحماسة هكذا :

وإن هو لم يحمل على النفس صبرها * فليس الى حسن الثناء سبيل

ويروى في أمالي القالي هكذا . اذا المرء لم يحمل على النفس صبرها * فليس الى حسن الثناء سبيل

وكان يقال : أوّلُ منازِل الحمدِ السلامةُ من الذمّ .

قال عُرْوةُ بن أُذَيْنَة[1] اللّيثيّ :

لا تَتْرُكَنْ ، إنْ صَنِيعةٌ سَلَفَتْ * منكَ وإن كنتَ لا تُصَغِّرُها
الى امرئ، أنْ تَقولَ إنْ ذُكِرَتْ * عندكَ فى الجِدّ لستُ أذكُرُها
فإنّ إحياءها إماتَتُها * وإنّ مَنًّا بها يُكَدِّرُها
وإن تَوَلّى امرؤٌ بشُكرِ يَدٍ * فاللهُ يَجْزِى بها ويَشكُرُها

ويقال : أحيُوا المعروف بإمانته .

أبو سُفيان الحِمْيرىّ قال : كان مَسْعَدَةُ الكاتب أبو عمرو بن مسعدة مَوْلَى لخالد القَسْرِىّ ، وكان فى ديوان الرسائل بواسط ، وكان مُوجِزًا فى كُتُبه ، فكتب الى صديقٍ له : أما بعد، فإنه لن يَعْدَمك من معروفك عندنا أمران : أجرٌ من الله وشكرٌ منّا . وخيرُ مواضع المعروف ما جمع الأجر والشكر . والسلام .

وكتب بعضُ الكُتّاب الى بعض العُمّال : وما أتأمّلُ فى وقت من الأوقات ولا يومٍ من الأيّام آثارَ أياديك لدىّ ، ومواقعَ معروفك عندى ، إلا نَبّهنِي التأمّل على ما يُحسِرُ الشكرَ ويُثقل الظهرَ ، لأنك أنعشتَ من عَثْرَة ، وأنهضتَ من سَقْطة ، وتلافَيْتَ نعمةً كانت على شَفَا زَوالٍ ودُروس ، وتَلَقّيتَ ما ألقيتُ عليك من الكَلِّ بوجهٍ طَلِيق وباعٍ رَحِيب[2] . والسلام .

---

(١) أذينة : لقب لأبيه ، واسمه يحيى بن مالك بن الحارث الليثى . وكان عروة شاعرا مقلا من شعراء أهل المدينة وثقة ثبتا ، روى عنه مالك وغيره من الأئمة رضى الله عنهم (راجع كتاب التنبيه على أوهام أبى علىّ فى أماليه ص ٢٦ طبع دار الكتب المصرية) وترجمته فى كتاب الأغانى (ج ٢١ ص ١٦٢ طبع أوربا) .

(٢) فى الأصل : «وبال» .

الترغيب فى قضـاء الحاجة واصطناع المعروف

حدّثنى محمد بن عُبَيد قال حدّثنا داود بن المُحَبَّر عن محمد بن الحسن الهَمْدَانى عن أبى حمزة عن علىّ بن الحسين عن أبيه عن جدّه علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ تَرَكَ مَعُونَةَ أخيه المسلم والسَّعْىَ معه فى حاجته قُضِيَتْ أوْ لم تُقْضَ كُلِّف أن يسعى فى حاجة مَنْ لا يُؤْجَرُ فى حاجته . ومَنْ ترك الحاجةَ عَرَضَتْ له لم تُقْضَ حاجتُهُ حتى يرى رءوس المحلّقين" .

حدّثنى محمد بن عُبَيد قال حدّثنا ابن عُيَينة عن يزيد بن عبد الله بن أبى بُرْدة عن أبيه عن جدّه عن أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اِشْفَعُوا إلىّ ويَقْضِى اللهُ على لِسَانِ نَبِيّكم ما شاءَ" .

لفنى عن جعفر بن أبى جعفر المازنىّ عن ابن أبى السَّرِىّ عن إبراهيم بن أدهم عن منصور بن المعتمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن أحببتَ أن يُحِبَّك اللهُ فازْهَدْ فى الدنيا وإن أحببتَ أن يُحِبَّك الناسُ فلا يقع فى يدك من حُطامها شىء إلا نبذتَه اليهم" .

حدّثنى محمد بن داود عن محمد بن جابر قال : قال ابن عُيَينَةَ : ليس أقول لكم إلا ما سمِعتُ : قيل لابن المنكدر : أىُّ الأعمالِ أفضلُ ؟ قال : إدخالُ السرور على المؤمن . وقيل : أىّ الدنيا أحبُّ اليك ؟ قال : الإفضالُ على الإخوان .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : حدّثنا زُرَيْرُ[1] العُطَارِدِىّ قال : صلّى بنا أبو رجاء العُطَارِدِىُّ العَتَمَةَ ثم أوَى الى فراشه ، فأتته امرأةٌ فقالت : أبا رجاء ، إنّ

(١) ورد هـذا الاسم بالأصل هكذا : «زريك» بالكاف وهو تحريف ، فقد جاء فى القاموس وشرحه مادّة زرر : «سلم بن زرير كزبير من تابعى التابعين عطاردىّ بصرى سمع أبا رجاء العطاردىّ» .

لطارق الليل حقًّا، وإنّ بني فلان خرجوا الى سَقْوَان[1] وتركوا كُتُبَهم وشيئًا من متاعهم، فانتعل أبو رَجَاء وأخذ الكُتُبَ وأدّاها وصلّى بنا الفجرَ، وهو مسيرةُ ليلةٍ للابل، والناسُ يقولون : إنها أربعة فراسخ .

حدّثني أحمد بن الخليل عن محمد بن سعيد قال حدّثنا ابن المبارك عن حميد عن الحسن قال : لأَنْ أَقْضِيَ حاجةً لأخٍ أحبُّ إليَّ من أن أعتكفَ سنةً .

قال ابنُ عائشةَ : كان عمرو بن معاوية العُقَيليّ يقول : اللهم بَلِّغْنِي عَثَرَاتِ الكرام .

قال المأمونُ لمحمد بن عبّاد المُهَلَّبيّ : أنت مِتلافٌ، فقال : يا أمير المؤمنين، منعُ الموجود سُوءُ ظنٍّ بالله، يقول الله تعالى : ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ .

وكان ابنُ عبّاس يقول : صاحبُ المعروف لا يَقَعُ، فإن وَقَع وجد مُتَّكَأً. منا نحوُ قولِ النبيّ صلى الله عليه وسلم : "المعروفُ يَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ" .

وكان ابن عبّاس يقول أيضا : ما رأيتُ رجلا أَوْلَيْتُه معروفا إلّا أضاء ما بيني و بينه، ولا رأيتُ رجلا أَوْلَيتُه سوءا إلّا أظلم ما بيني و بينه .

قال جعفر بن محمد : إن الحاجة تَعرِض للرجل قَبْلي فأُبادِر بقضائها مخافة أن يستعينَ عنها أو تأتيَه وقد استبطأها فلا يكون لها عنده موقع .

وقال الشاعر :

وبادِرْ بسلطان إذا كنتَ قادرًا * زوالَ اقتدارٍ أو غِنًى عنك يُعقب

(١) سقوان : ماء على قدر مرحلة من باب المِرْبَد بالبصرة وبه ماء كثير الساقي (التراب) .

وقال آخر فى مثله :

بدا[1] حين أثرى بإخوانه * ففكّك[2] عنهم شباة[3] العَدَمْ

وذكّره الحزم غِبَّ الأمور * فبادَرَ قبل انتقال النِّعَمْ

وقرأتُ فى كتاب للهند: مَنْ صَنَع المعروفَ لِعاجل الجَزاء، فهو كمُلْقِى الحبِّ لِيَصيدَ به الطيرَ لا لِينفَعَه .

قال ابن عباس : ثلاثة لا أكافئهم : رجل بَدَأنى بالسلام ، ورجلٌ وسّع لى فى المجلس، ورجل أغبرّت قدماه فى المشى إلىّ إرادةَ التسليم علىّ ؛ فأما الرابع فلا يكافئه عنّى إلا الله جلّ وعزّ؛ قيل : ومن هو؟ قال: رجل نزل به أمرٌ فبات ليلته يفكّر بمَنْ يُنزله، ثم رآنى أهلًا لحاجته فأنزلها بى .

وقال سَلْم[4] بن قُتَيْبة : رَبُّ[5] المعروفِ أشدّ من ابتدائه .

ويقال : الابتداء بالمعروف نافلة، ورَبُّه فريضة .

قيل لبُزُرْجمهر : هل يستطيع أحد أن يفعل المعروف من غير أن يُرْزَأ شيئا ؟ قال : نعم، من أحببتَ له الخير وبذلتَ له الوُدّ، فقد أصاب نصيباً من معروفك .

قال جعفر بن محمد : ما توسّل إلىّ أحدٌ بوسيلةٍ هى أقربُ به إلى ما يُحِبّ من يدٍ سَلَفتْ منّى اليه ، أتبعتُها أختَها لأُحْسنَ رَبّها وحِفظَها ؛ لأن منعَ الأواخرِ يقطع شكرَ الأوائل .

قام رجل من مجلس خالد بن عبد الله القَسْرىّ ؛ فقال خالد : إنى لأُبغِض هذا الرجل وماله[6] إلىّ ذنب، فقال رجل من القوم: أوْلِه أيّها الأمير معروفًا ففعل، فما لبث أن خفّ على قلبه وصار أحدَ جلسائه .

---

(١) بدا بمعنى بدأ بالهمز وسهل لضرورة الشعر . (٢) لعله : «سلّل» . (٣) الشباة : طرف السيف وحدّه ، وشباة العقرب : إبرتها ، والظاهر أن المراد ها أذى العدم وشدّته وحدّته .

(٤) فى الأصل «سالم» وما أثبتناه هو الصواب . (٥) ربّ الشىء يربّه ربّاً : تعهده وأتمّه .

(٦) فى الأصل : «ومالى اليه ذنب» وهى لا تتفق والسياق .

قال ابن عباس : لا يَتمّ المعروف إلا بثلاثٍ : تعجيلُه وتصغيرُه وسَتْرُه، فإنه اذا عجّله هنّأه، وإذا صغّره عظّمه، واذا ستره تمّمه .

وقال الخُرَيميّ فى نحو هذا :

زاد معروفَك عندى عِظَمًا * أنه عندك محقورٌ صغير
تَتناساه كأنْ لم تأته * وهو عند الناس مشهورٌ كبيرُ

وقال الطائى :

جودٌ مشيْتَ به الضَّرّاءَ[1] تواضعًا * وعَظُمْتَ عن ذكراه وهو عظيمُ
أخفيتَه خَفَيتُه[2] وطويتَه * فنشرتُه والشخصُ منه عميمُ[3]

وكان يقال : سَتَرَ رجلٌ ما أولَى، ونَشَرَ رجلٌ ما أُولِىَ .

وقال رجل لبنيه : إذا اتخذتم عند رجل يدا فآنِسُوها . وقالوا : المنّة تهدم الصنيعة . قال الشاعر :

أفسدتَ بالمنّ ما أسديتَ من حَسَنٍ * ليس الكريمُ إذا أسدى بمنّانِ

قال رجل لابن شُبْرُمة : فعلتُ بفلانٍ كذا وفعلتُ به كذا ؛ فقال : لا خيرَ فى المعروف إذا أُحصِىَ .

وفى بعض الحديث : "كُلُّ معروفٍ صَدَقةٌ وما أنفقَ الرجلُ على أهله ونفسِه وولدِه صَدَقةٌ وما وقَى المرء به عِرضَه فهو صدقة وكلُّ نفقةٍ أنفقَها فعلى الله خَلَفُها مثلها إلا فى معصيةٍ أو بنيانٍ[4]". وفى الحديث المرفوع "فَضلُ جاهِكَ تَعودُ به

(١) هكذا ورد هذا الشعر فى ديوان أبى تمام الطائى (ص ١٥١ طبع مصر) والضراء (بفتح الصاد وتخفيف الراء) : ما واراك من الشجر وغيره وهو أيضا : الاستحياء والمشى فيما يواريك عمن تكيده وتختله ، يقال : لا أمشى له الضراء ولا الخمرأى أجاهره ولا أحاتله . (٢) خفيته : أظهرته . (٣) العميم : الطويل التام . (٤) قال العزيزى فى شرحه لهذا الحديث : إنه البيان الذى لم يقصد به وجه الله تعالى .

على أخيكَ صدقةٌ منك عليه ولِسانُكَ تُعبّر به عن أخيك صدقةٌ منكَ عليه وإماطتُك الأذى عن الطريق صدقةٌ منك على أهله " .

وكان يقـال : بذلُ الجاهِ زكاةُ الشرف .

وقال بعض الشعراء :

وليس فتى الفِتْيانِ مَنْ راحَ وٱغتدَى * لشُرب صَبُوحٍ(١) أو لشُرب غَبوقِ
ولكنْ فتى الفِتيان مَنْ راح وٱغتدى * لِضَـــرٍّ عدوٍّ أو لنفع صـــديقِ

قال ٱبن عباس : لا يُزَهِّدنَّك فى المعروف كفرُ من كفره، فإنه يشكرك عليه من لم تصطنِعه اليه .

وقال حمّاد عَجْرد :

إنّ الكريمَ ليُخفِى عنك عُسْرتَه * حتى تراه غَنِيًّا وهـــو مجهودُ
إذا تكرّمتَ أنْ تُعطِى القليلَ ولم * تَقْدِر على سَعَةٍ لم يَظهر الجودُ
وللبخيـــلِ على أمواله عِلَلٌ * زُرْقُ العيونِ عليها أوجُهٌ سـودُ
أوْرِق بخيرٍ تُرَجَّى للموال مـا * تُرْجَى الثِّمارُ اذا لم يُورِقِ العُودُ
بُثّ الموالَ ولا تمنَعْـك قِلّتُـه * فكلُّ ما سَـدّ فقرا فهـو محمودُ

والعـرب تقول : "مَنْ(٢) حَقَرَ حَرَمَ" .

حدّثنى عبد الرحمن عن عمه قال: قال سَلْم بن قتيبة : أحدُهم يَحْقِر الشيءَ فيأتِى ما هو شرٌّ منه، يعنى المنع .

وقال الشاعر :

---

(١) الصبوح : ما شرب من الغبوق بالغداة فما دون القائلة ، والغبوق : ما شرب بالعشىّ . (٢) هذا مثل ذكره الميدانى وشرحه بقوله : يقال : حقرته واحتقرته اذا عددته حقيرا أى من حقر يسيرا تما يقدر عليه ولم يقـدر على الكثير ضاعت لديه الحقوق . وفى الحديث : « لاتردوا السائل ولو بظلف محرق » .

وما أبالى إذا ضيفٌ تضيّفنى * ما كان عندى إذا أعطيتُ مجهودى
جُهدُ المقِلّ إذا أعطاك مُصْطَبِراً * ومُكثِرٌ من غِنًى سيّانِ فى الجودِ

وفى الحديث المرفوع "أفضلُ الصّدقةِ جُهْدُ المُقِلّ" .

وقال البُرَيْق الهُذَلِىّ :

أبو مالكٍ قاصرٌ فقرَه * على نفسه ومُشيعٌ غِناه

وكان خالد بن عبد الله يقول على المِنبر : أيها الناس عليكم بالمعروف، فإنّ فاعل المعروف لا يَعْدَم جوازِيَه، وما ضَعُفَ الناسُ عن أدائه قَوِىَ اللهُ على جَوازِيه، والبيت المشهور فى هذا قول الحُطَيئة :

مَنْ يفعَلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جوازِيَه (١) * لا يذهبُ العُرْفُ بين الله والناسِ

ويقال : إنه فى بعض كتب الله عزّ وجل .

قال وَهْبُ بن مُنَبِّه : إن أحسنَ الناس عيشا من حَسُنَ عيشُ الناسِ فى عَيْشه، وإنّ من ألذّ اللّذّة الإفضالَ على الإخوان . وفى الحديث المرفوع "إنّما لَكَ من مالِكَ ما أكلتَ فأفنيتَ أو لبستَ فأبليتَ أو أعطيتَ فأمضيتَ وما سوى ذلك فهو مِلكُ الوارثِ (٢)" .

وقال بشارٌ :

أنفِقِ المالَ ولا تَشْقَ به * خيرُ دينارَيْك دينارٌ نَفِق (٣)

قال بُزُرْجِمِهْر : إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفِق فإنها لا تَفْنَى وإذا أدبرت عنك فأنفِق فإنها لا تَبْقَى . أخذه بعض المُحْدَثين فقال :

(١) قال ابن جنى : ظاهر هذا أن تكون جوازيه جمع حاز أى لا يعدم جزاء عليه، جزاعل جواز لمشابهة اسم الفاعل للصدر، فكما جمع سيل على سوائل، كذلك يجوز أن يكون جوازيه جمع جزاء (انظر اللسان مادّة جزى) . (٢) يروى : «ليس لك من مالك إلا ما أكلت الخ» . (٣) نفقت الدراهم (بفتح عين الفعل وكسرها) : فنيت وذهبت .

فأنفِقْ إذا أنفقتَ إن كنتَ مُوسِرًا * وأنفِقْ على ما خِلْتَ[1] حين تُعْسِرُ
فلا الجودُ يُفنِي المـالَ والجَدُّ مقبِلٌ * ولا البخلُ يُبْقِي المـالَ والجَدّ مُدْبِرُ

وفى "كتاب كليلة" : لا يُعَدّ عائشًا من لا يُشارِكك فى غِناه .

مرّ الحسنُ برجلٍ يقلّب درهما ، فقال له : أتحبّ درهمَك هذا؟ قال : نعم ، قال : أما إنه ليس لك حتى يخرجَ من يدك .

قال الربيعُ بن خَيْثَم لأخٍ له : كن وصيَّ نفسك ولا تجعلْ أوصياءك الرجالَ .

وقال بعضُ الشعراء :

سأحْبِس مالى على حاجتى * وأُوثِر نفسى على الوارِثِ
أعاذِلُ عاجِلُ ما أشتهِى * أحبُّ مِن المُطِلِّ الرّائِثِ

قال عبيد الله بن عِكْراش : زمَنٌ خَؤُونٌ ، ووارِثٌ شَفُونٌ[2] ؛ فلا تأمنِ الخؤون وكن وارِثَ الشَّفونِ .

وقال أبو ذَرّ: لك فى مالِك شريكانِ اذا جاءا أخذَا ولم يؤامِراك : الحَدَثان والقَدَر، كلاهما يترصّد العَتْ والسمينِ ، والورثةُ ينتظرون متى تموت فيأخذون ما تحتَ يديك وأنتَ لم تقدّم لنفسك ؛ فإن استطعتَ ألّا تكونَ أخسّ الثلاثة نصيبا فافعل .

وقال سعيد بن العاص فى خطبة له : من رزَقه الله رزقا حسنا فليكن[3] أسعدَ الناس به فإنه إنما يترُك لأحد رجلين : إمّا مصلِح فلا يقلّ عليه شيءٌ ، وإمّا مُفْسِدٍ فلا يَبقى له شيء . فقال معاوية . جمع أبو عثمان طرَفَ الكلام .

---

(١) على ما حيلت أى شيبت ولونت ، ومعناه على أىّ حال . (٢) الشفون : الذى يعطر اليك كالكاره أو المتمعض . (٣) فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٢٠٦) والعقد الفريد (ج ١ ص ٨٤) : «فليتق منه سرّا وجهرا حتى يكون أسعد الناس به» .

وقال حُطَائط بن يَعْفُر :

ذَرِينى أَكُنْ للمال ربًّا ولا يَكُنْ * لِيَ المالُ ربًّا تَحْمِدِى غِبَّه عدا
أرِينى جوادا مات هَزْلا لعلّنى * أرى ما تَرَيْنَ أو بخيلًا مخلّدا
وقلت ولم أَعْيَ الجوابَ تبيّنى . اكان الهُزال حتفَ زيد وأربدا

قال أعرابىّ : الدراهم مِيسمٌ تِسمُ حمدًا أو ذمًّا ؛ فمن حبَسها كان لها ، ومن أنفقها كانت له ، وما كلّ من أُعطى مالًا أُعطى حمدا ، ولا كلّ عديم ذميم .

وقال بعضُ المُحدَثين :

أنتَ للمال اذا أمسكتَه * فإذا أنفقتَه فالمالُ لكْ

حدّثنى يزيد بن عمرو عن يزيد بن مروان قال : حدّثنا النعمان بن هلال عن عبد الله ابن دينار عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تَنْزِلُ المَعُونةُ على قَدْرِ المَؤُونة" .

قال معاوية لوَرْدان مولى عمرو بن العاص : ما بَقِى من الدنيا تَلَذّه؟ قال : العريض الطويل ؛ قال : وما هو؟ قال : الحديث الحسن أو ألقى أخا قد نكبه الدهرُ فأجبره ؛ قال : نحن أحقّ بهما منك ؛ قال : إن أحقّ بهما منك من سَبَقك اليهما .

وقال أعرابىّ :

وما هذه الأيام إلا مُعَارةٌ * فما أسطعتَ من معروفها فتزوّدِ
فإنك لا تدرى بأيّةِ بلدةٍ * تموت ولا ما يُحدث اللهُ فى غدِ
يقولون لا تَبْعَدْ ، ومن يك بُعدُه * ذِراعَيْن من قُربِ الأحِبّة يَبْعَدِ

وقال آخر :

إن كنتَ لا تَبْذُلُ أو تَسألُ * أفسدتَ ما تُعطى بما تفعلُ

قال بعضهم : مضى لنا سَلَفُ أهلُ تواصُلٍ، اعتقدوا مِنّا، واتّخذوا أيادىَ ذخيرةً لمن بعـدهم : كانوا يرون آصطناعَ المعروف عليهم فرضا، و إظهارَ البِرّ حقًّا واجبا ، ثم حال الزمان بنَشْءٍ آتخذوا مِنَنَهم صناعةً، و برَّهم مرابحةً، وأياديَهم تجارةً وآصطناعَ المعروف مقارصةً كسَقد السُّوق حد متى وهاتِ .

قال العُتْبىّ : وقع ميراثٌ بين ناس من آل أبى سفيان و بنى مروان، فتشاحُّوا فيه، فلما آنصرفوا أقبل عمرُو بن عُتْبة على ولده، فقال لهم : إن لقريش دَرَجا تزلَقُ عنها أقدامُ الرجال. وأفعالا تخشع لهـا رقابُ الأموال، وألْسُنًا تَكِلُّ معها الشِّـفار المشحوذة، وغاياتٍ تقصر عنهـا الجيادُ المنسوبة، ولو كانت الدنيا لهم ضاقت عن سـعة أحلامهم، ولو آحتملتْ ما تربّتْ إلا بهم . ثم إن ناسا منهم تخلّقوا بأخلاق العوام، فصار لهم رفق باللؤم وحُرق فى الحرص، لو أمكنهم قاسموا الطير أرزاقَها؛ إن حافوا مكروها تحمّلوا له الفقر، و إن عُجّلت لهم نعمة أخّروا عليها الشكر، أولئك أنصَاء فكر(١) الفقر وعَجَزة حَمَلة الشكر .

قال بعض الحجازيّين :

فـلو كنتَ تطلب شأو الكرام * فعلتَ كفعلِ أبى البَحْتَرى

نتّبـع إحـسـانَه فى الـبـلاد * فأغْنَى المُقِـلَّ عن المُكْثِرِ

القَنـاعة والاستعفاف

حدّثنى شيخٌ لنا عن وكيع عن آبن أبى ذِئْبٍ عن محمد بن قيس عن عبد الرحمن ابن يزيدَ عن ثَوْبانَ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : "مَن يتقبّلُ(٢) لى بواحدةٍ

(١) فى العقد الفريد : «فكرة الفقر» . (٢) فى تهذيب التهذيب للعسقلانى فى الكلام على عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية، أورد هـذا الحديث بالهامش هكذا : "من يتقبل لى بواحدة أتقبل له بالجنة" قلت : ما هى؟ قال "لا تسأل الناس شيئا" .

وأتقبَّلُ له بالجنة " فقال ثوبانُ : أنا يا رسول الله، قال : " لاتَسْأَلِ الناسَ شيئًا " فكان ثوبانُ إذا سقط سوطُه من يده نزل فأخذه ولم يَسأَلْ أحدا أن يُناولَه إياه .

وحدّثنى أيضا عن عبد الرحمن المحاربىّ عن الأعمش عن مجاهد قال : قال عمرُ رضى الله عنه : ليس من عبدٍ إلا و بينه و بين رزقه حجابٌ، فإن اقتصدَ أتاه رزقُه و إن اقتحم هتَك الحجابَ ولم يَرِدْ فى رزقه .

وحدّثنى أيضا عن وَكيع عن سفيان عن أسامه بن زيد عن أبى مَعْنٍ الإسكندرانىّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الصَّفَا (١) الزَّلَالَ الذى لا تَثبُت عليه أقدامُ العلماء الطمعُ " . وقال عليه السلام : " إنّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فى رُوعِى أنّ نفسًا لَن تَموتَ حتى تَستَكمِلَ رِزقَها (٢) فاتقُوا اللهَ وأجمِلُوا فى الطلب " .

قال ابن حازم :

للناس مالٌ ولى مالان ما لهُمُ * اذا تحارسَ أهلُ المالِ أحراسُ

مالى الرضا بالذى أصبحتُ أملكُه * ومالىَ اليأسُ مما يملكُ الناسُ

أخذ هذا من قول أبى حازم المدنىّ ، وقال له بعضُ الملوك : ما مالُكَ ؟ قال : الرضا عن الله، والغِنى عن الناسَ .

وقال بشّارُ بن (٣) بُرد :

وإنى لعَفُّ عن فكاهةِ جارتى * وإنى لمشنُوءٌ الىّ اغتيابُها

اذا غاب عنها بعلُها لم أكن لها * زَءُورًا ولم تأنسْ الىّ كلابُها

(١) الصفا الزلال : الأملس من الحجارة . (٢) فى الجامع الصغير « حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها » . (٣) كذا فى الأصل ولم نجد فى كتب الأدب التى بين أيدينا شاعرا بهذا الاسم ، وقد نسب البيت الأخير من هذه الأبيات « اذا سدّ ... الخ » فى حماسة البحترى (ص ٣٤٢ طبع أوروبا) لزياد بن منقذ التيمى .

ولم أكُ طَلَّابًا أحاديثَ سِرِّها * ولا عالِمًا من أىّ حَوْكٍ ثِيابُها
وإنّ قِرابَ البطنِ يكفيكَ مِلؤُه * ويكفيك سوءاتِ الأمورِ آجتنابُها
إذا سُدّ بابٌ عنكَ من دون حاجةٍ * فذَرْها لِأُخرى لَيِّنٍ لكَ بابُها

وقال آبن أبى(١) حازم :

أوجعُ من وَخْزَةِ السِّنانِ * لذِى الحِجَا وَخْزَةُ اللِّسَانِ
فآسْتَرْزِقِ اللهَ وآستعنْه * فإنه خيرُ مُستَعانِ
وإن نبا منزلٌ بحُرٍّ * فمن مكانٍ الى مكانِ
لا يَثبتُ الحرّ فى مكانٍ * يُسبُّ فيه إلى الهوانِ
الحرُّ حرٌّ وإن تعدّتْ * عليه يوما يدُ الزمانِ

حدّثنى محمد بن داود عن جابر بن عثمانَ الحنفىّ عن يوسُف بن عطيّةَ قال حدّثنى المعلّى بن زياد القُرْدُوسِى(٢) : أن عامرَ بن عبد قيس العَنْبرىّ كان يقول : أربعُ آياتٍ من كتاب الله اذا قرأتُهنّ مَساءً لم أُبالِ على ما أُمْسِى، وإذا تلوتُهنّ صباحًا لم أُبالِ على ما أُصْبِحُ : ﴿ ما يَفْتَحِ اللهُ لِلنّاسِ مِن رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ . ﴿ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ . ﴿ وما مِن دَابَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إلّا عَلَى ٱللهِ رِزْقُهَا ﴾ . ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ .

حدّثنى عبد الرحمن عن بِشْر بن مُصلِح قال قال إبراهيم بن أدهم : لا تَجعل بينك وبين الله مُنعِمًا عليك، وعُدَّ(٣) النعمَ منه عليك مَغْرما .

---

(١) تقدّم هذا الشاعر فى الصفحة السابقة باسم «ابن حازم» ولم ندر هل هما لشخصين أم لشخص واحد، وقد بحثنا عن هذه الأبيات لنتحرى عن تحقيق هذا الاسم فلم نجدها . (٢) كذا فى الخلاصة فى أسماء الرجال للمصنف بضم القاف . وفى الأصل : « الفردوسى » بالفاء وهو تحريف .
(٣) كذا فى البيان والتبيين . وفى الأصل : «وأعدد النعم منهم مغنما» .

حدّثنى الرِّياشىّ عن الأصمعىّ قال : أبرَعُ بيتٍ قالته العربُ بيتُ أبى ذُؤَيبٍ الهُـــذَلىّ :

والنَّفسُ راغِبـةٌ إذا رَغَّبتَها * وإذا تُرَدُّ الى قَليـلٍ تَقْنَـعُ

قال أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنا أبو عمرو الصَّفّار عن الحجاج بن الأســود قال : احتاجت عجوزٌ من العُجُزِ القُدُمِ، قال : فجزِعتْ الى المسألة، ولو صبَرتْ لكان خيرا لها . ولقد بلغنى أن الإنسانَ يَسألُ فيُمنَعُ، ويَسألُ فيُمنَعُ، والصَّبرُ مُنتبَذٌ ناحيةً يقول : لو صِرتَ إلىّ لكَفيتُكَ .

وكان يقال : أنت أخو العزّ ما ٱلتَحفتَ القناعةَ، ويقال : اليأس حرٌّ والرَّجاء عبدٌ .

وقال بعضُ المفسّرين فى قول الله عزّ وجلّ : ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ قال : بالقنــاعة .

وقال سعد بن أبى وقّاص لابنه عمر : يا بنىّ إذا طلبت الغِنى فٱطلُبه بالقناعةِ، فإن لم تكن لك قناعةٌ فليس يُغنيكَ مالٌ .

وقال عروةُ بن أُذَيْنَةَ :

لقد علِمتُ(١) — وما الإسرافُ فى طمعى — * أنّ الذى هو رزقى ســوفَ يأتينى

أسْـــعَى له فيُعنّينى تَطَلّبُــه * ولو قعــــدتُ أتانى لا يُعنّينى

وقال أبو العَتاهِيَة :

إن كان(٢) لا يُغنيكَ ما يَكفيكا * فكلُّ ما فى الأرض لا يُغنيكا

---

(١) ورد هذا البيت فى العقد الفريد هكذا :

لقد علمت وخير القول أصدقه * بأن رزقى وإن لم يأت يأتينى

(٢) أورد الجاحظ فى البيان والتبيين عبارة منسوبة للحسن تشبه شعر أبى العتاهية وهى : «إن كان يكفيك من الدنيا ما يكفيك فأدنى ما فيها يغنيك» .

وقال بعضهم : العِيّ والفقرُ يحولان فى طلب الصناعة فإذا وجداها قطعاها .

جاءت أعرابيةٌ على ناقةٍ لها ، فقيل لها أين رديفك ؟ قالت : ما معى إلا ما فى ضرْعها وقال الشاعر :

يا رُوحَ مَنْ حسنتْ قناعتُه ... سلمتَ لمطامع من عَدِ وعَدِ

مَنْ لم يكن لله منتهمًا * لم يُمسِ محتاجًا الى أحـــدِ

وقال أردشيرُ . حيرُ الشيم السعةُ، وبهاء العمل بالتعلم .

وقال التِّمْر بن تَوْلَب :

ومَتَى تُصِبْكَ خَصَاصَةٌ فارحُ العِنَى ، والى الذى يَهَبُ الرَّغائبَ فارْغَبِ

لا تعصبَنَّ على امرئٍ فى مالِه * وعلى كرائم صُلْبِ مالِكَ فاعصَبِ

وقال أبو الأسود :

ولا تَطْمَعَنْ فى مال حارٍ لقُربه * فكلُّ قريبٍ لا يُنَالُ بَعِيـــدُ

وقال كعبُ بن زُهَير :

قد يُعوِز الحازِمُ المحمودُ بِيتُـــه * بعدَ الثَّراءِ ويُثْرِى العاجزُ الحَمِقُ

فلا تحافى عليا الفقر وانتَطِرى * فصلَ الذى بالغِنى مِنْ فضلِه نِتَقُ

وشكا رجلٌ الى قوم ضِيقًا فقال له بعضهم : شكوتَ مَنْ يَرحَمُكَ الى مَنْ لا يرحَمُـــك .

وقال هشامُ بن عبد الملك لسالم بن عبد الله ودخلا الكعبة : سلنى حاجتَكَ ، قال : أكرهُ أن أسألَ فى بيتِ الله غيرَ الله . ورأى رجلا يسألُ فى الموقِف فقال : أفى مثل هذا الموضع تسألُ غيرَ الله عزّ وجلّ ! .

وقال ابن المعذّل :

تُكَلِّفُنى إذلالَ نفسى لعِزّها * وهان عليها أن أُهانَ لتُكْرَمَا
تقول سَلِ المعروفَ يحيَى بن أكثم * فقلتُ سَليهِ ربَّ يحيَى بنِ أكثَمَا

وقال ابن عباس : المساكينُ لا يعودونَ مريضًا ولا يَشهَدُون جنازةً، واذا سألَ الناسُ اللهَ سألوا الناسَ .

وكان الحسنُ يَطرُدُ السُّؤّالَ يومَ الجمعةِ، ولا يَرى لهم جُمعَةً .

وقال بعضُ الشعراء :

حبُّ الرياسة داءٌ لا دواءَ له * وقَلّ ما تَجِدُ الراضينَ بالقِسَمِ

وقال محمودٌ الورّاق :

شادَ الملوكُ قصورَهم وتحصّنُوا * عن كلّ طالبِ حاجةٍ أو راغب
غَلّقُوا بأبوابِ الحديدِ لِعِزّها * وتَوَقّفُوا (١) فى قُبحِ وجه الحاجبِ
واذا تطلّف للدخول اليهمُ * راجٍ تلقّوْه بوَعْدٍ كاذبِ
فارغَبْ الى مَلِكِ الملوكِ ولا تكُنْ * يا ذا الصّراعةِ طالبًا من طالبِ

وُجِدَ على مِيلٍ (٢) فى طريقِ مكّةَ :

ألا يا (٣) طالبَ الدّنيا * دَعِ الدنيا لِشانيكَا
الى كَم تَطلبُ (٤) الدنيا * وظِلُّ الميلِ يَكفيكَا

قال مُطرِّفُ بن عبد الله لابن أخيه : اذا كانت لكَ الىّ حاجةٌ فاكتُبْ بها رُقعةً فإنى أُصَنّ بوجهكَ عن ذُلّ السؤالِ .

(١) توقفوا : تأنقوا ، يقال توقق فى مطعمه وملبسه وأموره إذا تجود و بالغ فيها .
(٢) الميل . منار يبنى للسابلة فى أشبار الأرض وأشرافها . (٣) هذان البيتان منسوبان فى الأغانى (ج ٣ ص ١٦٧ طبع بولاق) لأبى العتاهية . (٤) فى الأغانى : * وما تصنع بالدنيا *

وقال أبو الأسود :

وإنّ أحَقّ الناس إن كنتَ مادِحاً * بمدحكَ مَنْ أعطاكَ والوجهُ وافِرُ

وكان معاويةُ يمثّل بهذين البيتين

وفتًى خَلا من ماله * ومن المُروءة غيرُ خالِي

أعطاكَ قبل سؤاله * فكفاكَ مكروهَ السؤالِ

وقال عمر :

أيا مالكٍ لا تسأل الناسَ وابتَغِ * بكفّيك بيتَ الله فالله أوسَعُ

ولو تسأل الناسَ الترابَ لأوشكوا (١) * اذا قُلتَ هاتوا أن يَميلُوا فيَمْنَعُوا

والمشهور فى هذا قول عَبيد :

مَنْ يَسأل الناس يَحْرِمُوه * وسائلُ اللهِ لا يَخيبُ

قال سليمانُ لأبى حازم : سَلْ حوائجَك ، فقال : قد رفعتُها الى من لا تُحْدَلُ (٢) الحوائجُ دونه .

قال بعضُ المفسّرين فى قول الله عزّ وجلّ : (وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ) أى المخلوقُ يَرْزُقُ فإذا سَخِط قطع رِزقه ، واللهُ عزّ وجل يَسْخَط ولا يَقطَعُ .

وقال الشاعر :

لا تَضرَعنّ لمخلوقٍ على طمَعٍ * فإنّ ذلك وهْنٌ منك بالدِّينِ

واسترزِق اللهَ رزقًا من خزائنِه * فإنما هو بين الكافِ والنونِ

---

(١) روى هذا بيت فى لسان العرب مادة «وشك» وشرح الأشمونى ج ١ ص ٢١٥ طبع بولاق :

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا * اذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

(٢) كذا فى كتاب الإمامة والسياسة (ج ٢ ص ١٧٢) وفى الأصل : «تحتل» .

وقال الخليل بن أحمد :

أبلِغْ سُلَيمانَ[1] أنّى عنه فى سَعَةٍ * وفى غِنًى غيرَ أنى لستُ ذَا مالِ
شُحًّا بنفسِىَ، إنى لا أرَى أحدًا * يموت هَزْلا ولا يبقَى على حالِ
فالرزقُ عن قَدَرٍ لا الضَّعفُ يمنعُهُ * ولا يَزِيدُكَ فيه حولُ محتالِ

وقال لمَعْلُوطٌ :

متى ما يَرَ الناسُ العَيِيّ وحارَه * فقيرًا يقولوا عاجزٌ وخَليدُ
وليس العِى والفقرُ من حيلة الفتى * ولكن حُظوظٌ قُسِّمَتْ وجُدُودُ

وقال آخر :

يَخِيبُ الفتى من حيثُ يُرزَقُ غيرُه * ويُعطَى الفتَى من حيثُ يُحرَمُ صاحِبُهْ

وقال أبو الأسود :

ليتكَ آدَنْتَنِي بواحدةٍ * تجعلُها منك سائرَ الأبدِ
تحلِفُ ألّا تَمَرَّنى أبدًا * فإنّ فيها بردًا على كبِدى
إن كان رِزْقِى إليك فآرِمِ به * فى ناطِرَىْ حيّةٍ على رَصَدِ

وقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه : حِرفةٌ يقالُ فيها خيرٌ من مَسْألةِ الناس .

---

(١) هو سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة الأزدىّ وكان والى فارس والأهواز ، فكتب الى الخليل بن أحمد يستدعى حضوره ، وكان له راتب على سليمان المذكور ؛ فكتب الخليل جوابه : أما بعد سليمان ... الأبيات . فقطع عنه سليمان الراتب ؛ فقال الخليل .

ان الذى شقّ فى ماس * للــرزق حتى يتوفانى
خمسى مالا قليلا فما * رادك فى مالك حرمانى

فلمّا سليمان فأقامته وأقعدته ، وكتب الى الخليل يعتذر اليه وأضعف راتبه . (انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٢٤٣ طبع بولاق) .

وقال سعيدُ بن العاص : مَوْطِنانِ لا أستحيي من العِيِّ فيهما : عند مُخَاطَبَتِي جاهلًا، وعند مَسْأَلَتِي حاجةً لنفسي .

حدّثني محمد بن عبيد عن أبي عبد الله عن محمد بن عبد الله بن واصل قال : جاء رجلٌ إلى شُرَيح يَستقرِضُ دراهمَ ؛ فقال له شريحٌ : حاجتُكَ عندنا فأْتِ مَنزلَكَ فإنّها ستأتيكَ، إنّي لأكره أن يَلْحَقَكَ ذُلُّها .

حدّثني الرِّيَاشِيّ عن الأصمعيّ عن حَكيم بن قيس بن عاصم عن أبيه أنه أوصى بنيه عند موته فقال : إيّاكم والمسألةَ، فإنها آخرُ كسبِ الرجل .

وقال بعضُ المحدَثِينَ :

عَوّدتُ(١) نفسي الضِّيقَ حتى أَلِفْتُه * وأخرجَنى حسنُ العزاءِ الى الصَّبرِ
ووسّع قلبي للأذى الأنسُ بالأذى * وقد كنتُ أحيانا يَضيقُ به صَدْرِى
وصَيّرنى يأسِى من الناس راجيًا * لِسُرعةِ(٢) لُطفِ اللهِ من حيثُ لا أدْرِى

وقال آخر :

حَسْبِي بِعِلْمِى لو نَفَعْ * ما الذُّلُّ إلا فى الطَّمَعْ
مَنْ راقب اللهَ نَزَعْ * عن قُبح ما كان صَنَعْ
ما طار شيء فارتفَعْ * إلا كما طارَ وقَعْ

(١) هكذا ورد هذا البيت فى الأصل وقد دخله الخرم، وورد فى الأغانى (ج ٣ ص ١٧٢ طبع بولاق) :

تعوّدت مرّ الصبر حتى ألفته * وأسلمنى حسن العزاء الى الصبر

(٢) فى الأغانى : «لحسن صنع الله ... » .

الحِـــرصُ والإلحـاحُ

لمـا قتَل كِسرَى بُزُرْجِمِهْـرَ وجَد فى مِنطَقتِـه كتابا : إذا كان القـدَرُ حقًّا فالحِرصُ باطلٌ ، وإذا كان الغَدْرُ فى الناس طِباعًا فالثِّقةُ بكلّ أحدٍ عجزٌ ، وإذا كان الموتُ لكل أحدٍ راصِدًا فالطمأنِينةُ إلى الدنيا حُمْقٌ .

وقال بعض الشعراء :

من عفّ خفّ على الصّديقِ لِقاؤه ، وأخو الحوائج وجهُـه مَمْـلولُ

وفى كتاب للهنـد : لا يُكثر الرجلُ على أخيـه الحوائجَ ؛ فإنّ العِجلَ إذا أفرط فى مصّ أمه نطَحتْه ونحّتْه .

وقال عدىّ بن زيد :

قـد يُدرِكُ المُبْطِئُ من حظِّـه * والرزقُ قدىَسبِقُ جهدَ الحريص

وقال ابن المقفّع : الحرصُ مَحْرمةٌ ، والجبنُ مَقتـلةٌ ، فانظُرْ فيما رأيتَ وسمِعتَ أمَنْ قُتِل فى الحرب مُقبِلًا أكثرُ أم مَنْ قُتِل مُدْبِرا ، وانظرْ مَنْ يطلبُ إليك بالإجمال والتكرم أحقّ أن تسخوَ نفسُك له بالعطيّة أم مَنْ يطلبُ ذلك بالشَّره والحِرص .

وقال الشاعر :

كم مِنْ حَرِيص على شىءٍ لِيُدْرِكَه * وعَلَّ إدراكَه يُدْنِى الى عَطَبِـهْ

وقال آخر :

ورُبَّ مُلِحٍّ على بُغيـةٍ * وفيهـا مَنِيَّتُـه لو شَـعَرْ

والعـربُ تقول فى الرجل المُلِحّ فى الحوائج الذى لا تنقضى له حاجةٌ إلا سأل أخـرى :

* لا يُرسِلُ الساقَ إلا مُمسِكًا ساقا *

وأصلُ المثل فى الحِرْباء، إذا اشتدّ عليه حَرُّ الشمس لجأ إلى شجرة ثم تَوَقَّى فى أغصانها، فلا يُرسل غُصنا حتّى يَقبِض على آخَر .

وقال الشاعر :

أَنَّى[1] أُتِيحَ له حِرْباءُ تَنْضُبَةٍ * لا يُرسِلُ السّاقَ إلّا مُمسِكًا ساقَا

وفى كتاب كليلة : لا فقرَ ولا بلاءَ كالحِرص والشَّرَه، ولا غِنَى كالرِّضَا والقناعة، ولا عقلَ كالتّدبير، ولا وَرَعَ كالكفّ، ولا حَسَبَ كحسن الخلق .

قال ابن المقفع : الحرصُ والحسدُ بِكْرا الذنوب وأصلُ المهالك؛ أمّا الحسدُ فأهلك إبليسَ، وأما الحرصُ فأخرج آدمَ من الجنّة .

وفى كتاب كليلة : خمسةٌ حُرَصاءَ، المالُ أحبُّ إليهم من أنفسهم : المُقاتِلُ بالأُجرة، وحفّارُ القُنِيّ[2] والآبارِ، والتّاجِرُ يَركَبُ البحر، والحاوى يُلسِعُ يدَه الحيّةَ، والمُخاطِرُ على شُرب السمّ .

دخل مالك بن دينار على رجل محبوس قد أُخِذ بمال عليه وقُيِّدَ، فقال له : يا أبا يحيى، أمَا ترى ما نحن فيه من هذه القيود! فرفع مالك رأسه فرأى سَلّةً، فقال : لمن هذه ؟ قال : لى، قال : فأمر بها أن تُنزَل، فأُنزِلتْ فوُضعتْ بين يديه، فإذا دَجاجٌ وأَخْيِصةٌ[3]، فقال مالك : هذه وَضعت القيودَ فى رِجلك .

كان أشعب يقول : أنا أطمع وأُمّى تَيقَنُ فقلّ ما يفوتُنا .

---

(١) قائله أبو دؤاد الإيادى . قال ابن برى : هكذا أنشده الجوهرى وصواب إنشاده . «أنى أتيح لها» لأنه وصف ظُعُنًا ساقها وأرعها ساقى مجدّ (انظر اللسان مادة حرب) والتنضبة : واحدة التنضب وهو شجر عيدانه بيض صحمة وورقه متقبض ولا تراه إلا كأنه يابس مغبرّ . (٢) جمع قناة وهى الآبار التى تحفر فى الأرض . (٣) أخصة : جمع خيص، والخيص : ضرب من الحلواء .

وقال النابغةُ :

واليأسُ عما فات يُعقِب راحةً * ولرُبَّ مَطْعَمَةٍ(١) تعودُ(٢) ذُبَاحا(٣)

وقال أبو علىٍّ الضريرُ :

فإنِّى قد بلوتُكُمُ جميعًا * فما منكمْ على شكرى حريصُ
وأرخصتُ الثناءَ فعِفتُموهُ . ورُبَّمَا غلا الشيء الرَّخيصُ
فعِفتُ نوالَكم ورَغِبتُ عنه * وشَرُّ الزادِ ما عاف الخَصِيصُ(٤)

وقال أعرابىّ :

أيها الدائبُ الحريصُ المُعَنَّى * لك رزقٌ وسوف تستوفيهِ
قبح اللهَ نائلًا ترتجيهِ * من يَدَىْ مَنْ تُريد أن تقتضيهِ
إنما الجودُ والسماحُ لمن يُعـ * ـطيك عفوًا وماءُ وجهك فيهِ
لاينالُ الحريصُ شيئًا فيكفيـ * ـه وإن كان فوق ما يكفيه
سَلِ اللهَ وحدَه ودَعِ النا * سَ وأسخِطهمُ بما يُرضيهِ
لا تَرَى مُعطيًا لِما مَنَع اللهُ ولا مانعًا لما يُعطيهِ

(١) كذا فى لسان العرب مادة «دبح» وفى الأصل : «مطمعة» . (٢) فى لسان العرب : «تكون» . (٣) الذباح : القتل . (٤) الظاهر من السياق أن الخصيص هو الفقير، اشتقاقا من الخصاصة وهى الفقر، ولم نعثر عليه فى كتب اللغة التى بين أيدينا .

[وجد بالأصل آخر هذا الجزء ما يأتى] :

آخر كتاب الحوائج، وهو الكتاب الثامن من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمة الله عليه . وكتبه الفقير الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علىّ الواعظ الجَزَرىّ وذلك فى شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة . والحمد لله ربّ العالمين، وصلاتُه وسلامُه على سيّدنا محمد النبىّ وآله أجمعين . ويتلوه الكتاب التاسع وهو كتاب الطعام، والله الموفّق للصّواب .

[وفيه كذلك — وهو من زيادات السّاح —] :

فى الاستعفاف :

علـــك باليأس من النـاسِ * إنّ عِزّى فيـــك فى اليأسِ
كم صاحبٍ قد كان لى وامقًا * إذ كان فى حالة إفـلاس
أقول لو قـد نال هـذا الغِنَى * صَـــيّرنى منـــه على الرّاس
حتى إذا ما صارَ فيما اشتَهَى * وعدّه النّاسُ من النّاسِ
قَطّع بالصـــدّ حبالَ الصّـــفا * مـــنّى ولمّا يَرْضَ بالقـاسى

آخرُ[1] وقد أحسن :

إنّ للمعـــروف أهـــلًا * وقليـــلٌ فاعِـــلوهُ
أهنـــأُ المعـروفِ ما لم * تُبتـــذَلْ فيـــه الوجوهُ
أنت ما استغنيتَ عن صا * حبـــك الدّهرَ أخوهُ
فإذا احتجتَ إليـــه * ساعـــةً عَجّك فـــوهُ

(١) هو أبو العتاهية .

إنما يَعْرِف الفضـ * ـلَ من الناس ذووه
لو رأى النـاسُ نَبِيًّا * سائـلا ما وَصَلوهُ

وكتب أبو العياء الى أبى القاسم بن عُبَيد الله بن سُليمان رُقعة يقول فيها : أنا — أعزّك الله — وولدى وعِيالى زرعٌ من زَرْعك، إن سَقَيتَه راعَ وزكا، وإن جفوتَه ذَبُلَ وذَوَى . وقد مسّنى منك جفاءٌ بعد بِرٍّ وإغفالٌ بعد تَعَهُّد، فشَمِتَ عدوٌّ، وتَكلّم حاسد، ولَعِبتْ بى ظنونٌ، وانتزاعُ العادةِ شديدٌ. ثم كتب فى آخرها :

لا تُهِنّى عنـدَ إكرامك لى * فشـديدٌ عادةٌ مُنتزَعَـهْ

آخر :

مالى مَعَاشٌ سوى ضدّ المعاشِ فلا * أغدُو إلى عمـلٍ إلّا بلا أَمَـلِ
وليس لى شُغُلٌ يُجْـدِى علىّ إذا * فكّرتُ فيـه وما أنفكُّ من شُـغُلِ
كلُّ امرئٍ رائحٌ غادٍ إلى عمـل * وما أروح ولا أغدو إلى عمـل
ولستُ فى الناس موجودًا كبعضهمُ * وإنمـا أنا بعضُ النـاس فى المثل

آخـر :

المرءُ بعـد الموتِ أحدوثةٌ * يفـنَى وتبقَى منـه آثارُهُ
يَطْوِيه من أيّامه ما طوى * لكنّـه تُنشَـرُ أسرَارُهُ
وأحسنُ الحالاتِ حالُ امرئٍ * تَطِيبُ بعـد الموت أخبارُهُ
يفـنَى ويبقَى ذكرُه بعـدَه * اذا خَلَتْ من شخصه دارُهُ

وقال حبيب الطائى :

وما آنسُ آدمَ إلّا ذكرُ صالحهِ * أوذكرُ سيّئهِ يَسرِى بها الكَلِمُ
أمَا سَمِعتَ بدهرٍ باد أمّتُه * جاءت بأخبارها من بعدها أمَمُ

فى البخل :

طَرَقْتُ أنَامًا عـــلى غِرَّةٍ * فذُقتُ من العيش جهدَ البلاء
فأمّا القـــديدُ[1] وأشـــباهُه * فذاك مفاتيحُـــه فى السماء
وأما السَّويقُ فـــفى عَيْبَةٍ * يُتَمُّ ويُدْعَى لـــه بالبقاء
ومَنْ حاولَ الخـــبزَ قالوا له * أتذكر شيئًا خُـــبِي للدّواء

(١) القديد : اللحم المجفف فى الشمس .

كتاب الطعام

صنوف الأطعِمَة

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيبة الدِّينَوَرِيّ رحمة الله عليه : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للأحنف : أىُّ الطعامِ أحبُّ إليك ؟ قال : الزُّبْدُ والكَمْأةُ[1]، فقال عمر : ما هما بأحبِّ الأطعمةِ إليه، ولكنه يُحِبّ الخِصْبَ للمسلمين .

قال الأصمعىّ : قال رجلٌ فى مجلس الأحنف : ليس شىءٌ أبغضَ الىَّ من التمْر والزُّبْد، فقال الأحنف : رُبَّ مَلُومٍ لا ذنبَ له[2] .

عن أبى عمرو بن العَلاء قال : قال الحجّاج لجلسائه : لِيَكْتُبْ كلُّ رجلٍ فى رُقْعةٍ أحبَّ الطعامِ إليه ويجعلْها تحت مُصَلّاىَ، فإذا فى الرِّقاع كلِّها الزُّبْدُ والتمرُ .

عن الأصمعىّ قال قال مَدَنِىّ : الجُلَّاد أرمع : العصيدةُ والهريسةُ والحَيْسةُ[3] والسَّمِيذةُ[4] .

عن الأصمعىّ عن حرم قال : قال مالك بن حِقْبة لحَسّان بن الفُرَيْعة : ما تَزَوَّدْتَ إلينا ؟ قال : الحَيْسُ، قال : ثلاثةُ أسْقِيَة فى وِعاء .

---

(١) الكمأة اسم للجمع والواحد : سمّيت بقال له : شحم الأرض ، مستدير كالفلقاس ، لاساق له ولا عرق لونه الى الحمرة ، يوجد فى الربيع تحت الأرض . (٢) فى العمد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٢) . «ماشىء أمض الىّ من الزبد والكمأة» . (٣) الحيسة . الأقط يخلط بالتمر والسمن . (٤) السميذة (بالذال المهملة والذال المعجمة) : الحوّارى ، وهى لباب الدقيق .

قال الأصمعىّ : قال بعض الأعراب : أشتهى ثريدةً دكّاء[(١)] من فُلْفُل[(٢)]، رَقْطاء[(٣)] من الحِمّص[(٢)]، ذات حِقافين[(٤)] من اللحم[(٢)]، لها جَناحان من العُراق[(٥)]، أُضْرِب فيها ضَرْب ولىّ السُّوء فى مال اليتيم .

وقال ابن الأعرابىّ : يقال : أطيبُ اللحم عُوّدُه، أى أطيبه ما وَلِىَ العظمَ، كأنه عاذَ به .

عن أبى عُبَيدة قال : مرّ الفرزدقُ بيحيى بن الحُصَين بن المُنْذِر الرَّقاشىّ، [فـ]قال له : هل لك يا أبا فِرَاس فى حَذْيٍ سَمين ونَقِيد زيبٍ جيّد ؟ فقال الفرزدق : وهل يأبى هذا إلا ابنُ المَرَاعة! يعنى جريرا .

وقال الأَحْوَص لجرير : ما تُحِبُّ أن يُعَدّ لك؟ قال : شِواءٌ وطِلاءٌ[(٦)] وغِناءٌ ؛ قال : قد أُعِدَّتْ لك .

وقال مَدَنِىٌّ لصديق له : والله أشتهى كَشْكِيّةً[(٧)]، ومدّ بها صوتَه فخرجت منه ريح؛ فقال له : ما أسرع ما لَفَحَتْكَ يابنَ عمّ .

---

(١) ثريدة دكاء : كثيرة الأباريز، والأباريز : الدابل وهو ما يطيب الطعام . (٢) كذا فى كتاب الحلاء للحاسد (ص ١٩٤) وفى الأصل : «ومن» . (٣) الرقطاء : السوداء تشوبها نقط بيضاء . (٤) كذا فى الحلاء، والحقاف : الجانب . وفى الأصل : « حقابين » بالباء المعجمة وهو تحريف . (٥) العراق (بضم العين) : العظام اذا لم يكن عليها شىء من اللحم . (٦) الطلاء : الخمر . (٧) فى كتب اللغة الكشكية : ماء الشعير، وفى القواميس الفارسية : الكشك : ضرب من الحساء اللزجة مصنوع من القمح والشعير وربما دلس الشاء، وربما أضيف اليه شىء من اللحم .

وعن الأصمعيّ قال: قال شيخ من أهل المدينة : أتيتُ فلانا فأتانى بمَرَقة كان فيها مُسَقٌّ، فلم أر فيها إلا كَبِدًا طافيـةً، فغمَستُ يدى فوجدت مُصْعة[1]، فمددتُها فامتدّت حتى كأنى أزمُر فى ناي .

أُدخِل أعرابيّ على كِسْرَى ليتعجّبَ من جَفائه وجَهْـلِه ؛ فقال له : أىّ شيء أطيبُ لحمـا؟ قال : الجمل . قال : فأىُّ شيء أبعدُ صوتا ؟ قال : الجمل . قال : فأىّ شيء أهيَضُ بالحِمْل الثقيل ؟ قال : الجمل. قال كسرى : كيف يكون لحم الجمل أطيبَ من البَطّ والدّجاج والفِراخ والدُّرّاج[2] والحِـداء؟ قال : يُطبَخ لحم الجمل بماءٍ وملْح، ويُطبخ مادكرتَ بماءٍ وملْح حتى يُعرَفَ فَصْلُ ما بين الطعمين. قال: كيف يكون الجمـل أبعدَ صوتاً ونحن نسمع الصوتَ من الكُرْكِيّ[3] من كذا وكذا مِيلا؟ قال الأعرابيّ : ضَعِ الكُرْكِيّ فى مكانِ الجمل وضَعِ الجملَ فى مكان الكركيّ حتّى تعرفَ أيُّهما أبعدُ صوتا. قال كسرى : كيف تزعمُ أنّ الجمل أحملُ للحِمل الثقيل والفيلُ يحمِل كذا وكذا رطلا ؟ قال . لِيُبرَكِ الفيلُ ويُبرَكِ الجملُ ولْيُحمَلْ على الفيل حِمْلُ الجمل ، فإن نهض به فهو أحمل للأثقال .

عن جعفر بنِ سليمان قال: شيئانِ لا يزيدهما كثرةُ النفقة طِيباً: الطِّيبُ والقِدْر، ولكن تُطَيِّبُهما إصابةُ القَدْر .

وفيما أجار لنا عمرو بن بحر الجاحظ من كتبه[4] قال: كان أبو عبد الرحمن الثورِيّ يُعْجَبُ بالرءوس ويَصِفُها ويُسمّى الرأس عُرْسا لِمـا تجمّع فيه من الألوان الطيّبة ،

(١) المصعة : قطعة اللحم . (٢) الدرّاج (وراد رتاد) : طائر يطلق على الذكر والأنثى جميل المطر ملوّن الريش . (٣) الكركيّ : طائر يقرب من الإوَزّ أمتر الذنب رماديّ اللون فى حدّه لمعات سود قليل اللحم صلب العظم يأوى الى الماء أحيانا . (٤) قد أورد عمرو بن بحر الجاحظ هذه القصة فى كتابه البخلاء (ص ١١٥ طبع أوربا) .

وكان يسمّيه مرّةَ الجامعَ ومرّةَ الكاملَ، ويقول: الرأس شيء واحد وهو ذو ألوانٍ عجيبة وطعومٍ مختلفة؛ وكلّ قِدْرٍ وكلّ شِواءٍ فإنما هو شيءٌ واحد، والرأس فيه الدِّماغُ وطَعْمُه مُفْرد، والعينان وطعمهما مفرد[وفيه(١) الشحمة التى بين أصل الأذن ومُؤْخِرِ العين وطعمها على حدة]، على أن هذه الشَّحمة[خاصّةً(١)] أطيبُ من المُخّ وأنعم من الزُّبد وأدسم من السِّلاء، ثم يَعُدّ أسقاطه كلها. ويقول: الرأسُ سيِّد البَدَن، وفيه الدماغ وهو مَعْدِن العقل، ومنه يتفرّق العَصَبُ الذى فيه الحِسّ، وبه قِوَامُ البَدَن، وإنما القلبُ بابُ العقل؛ كما أنّ النفس هى المدركةُ والعينُ هى باب الألوان، والنفس هى السامعة الذائقة وإنما الأنف والأُذُن بابان. ولولا أنّ العقل فى الرأس لما ذهب العقل من الضربة تُصيبه؛ وفى الرأس الحواسّ الخمس. وكان يُنشد:

هُمُو(٢) ضَرَبُوا رأسِى وفى الرأس أكثرِى * وغُودِرَ عندَ المُلْتَقَى ثَمَّ سائِرِى

وكان لا يَشترى الرأسَ إلا فى زيادة الشهر لمكان زيادة الدماغ، ولا يشتريه إلا يوم السبت لأن الرءوس يوم السبت أكسدُ، للفضلات التى تَبقى فى منازل التجّار عن يوم الجمعة. وكان إذا فرغ من غَدائه يوم الرأس، عَمَد إلى القِحْف(٣) والى اللَّحيين(٤) فوضعه قُرْبَ بيوتِ النمل والذرّ، فإذا اجتمعْنَ عليه أخذه ونَفَضَه فى طَسْتٍ فيه ماء، ولا يزال يُعيد ذلك على تلك المواضع حتى يُقلِع النملُ والذرّ من داره، فإذا فَرَغ من ذلك ألقاه مع الحطب فاستوقده فى التَّنُّور.

الأصمعىّ قال: قال أبو صَوّارة أو ابن دُقّة: الأرز الأبيض بالسَّمن المَسْلىّ بالسكر الطَّبَرْزذ(٥)، ليس من طَعام أهل الدنيا.

(١) الزيادة عن البخلاء. (٢) فى البخلاء: «اذا». (٣) القحف: العظم الذى فوق الدماغ، أو هو ما انفلق من الجمجمة فانفصل، ولا يدعى قحفا حتى ينكسر منه شىء. (٤) اللحيان: عظما الحنك وهما اللذان عليهما الأسنان، وفى البخلاء: «الجبين». (٥) الطبرزذ: السكر الأبيض الصلب، فارسىّ.

قال: وقال أبو صَوّارة أو ابن دُقّة: أطولُ الليالى ثلاث: ليلةُ العقرب، وليلة المِرِيسة، وليلة جُدّة إلى مكة.

الأصمعىّ عن جعفر بن سليمان قال: قال أبو كامل مولى علىّ رضى الله عنه: أَطْعِمونى حَفْنَةَ زُبْد ثم اختموا سراويلى ثلاثا.

وقال رجل للثَّوْرِىّ فى الحديث: "إن الله يُبْغِض البيتَ اللَّحِمَ"؛ فقال: ليس هو الذى يؤكل فيه اللحم، وإنما هو الذى يؤكل فيه لحومُ الناس.

عن أبى الصِّدِّيق(١) الناجى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: "خيرُ تَمَراتكم البُرْنِى(٢) يذهب بالداء ولا داءَ فيه".

وعن ابن عُمَر عن عمر أنه قال: ياغلام أَنْضِج العصيدةَ تَذْهَبْ حرارةُ الزيت.

وعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بيتٌ ليس فيه تمرٌ جِياعٌ أهلُه".

شيخٌ من أهل البادية قال: أضافنا فلان فأتانا بحَنْطة كأنها مناقيرُ الغِرْبان وتمرٍ كأنه أعناقُ الوِزّ(٣) يَوْحَلُ فيه الضِّرس.

الأصمعىّ قال: قال أعرابىّ: تَمْرنا جُرْدٌ(٤) قُطْسٌ(٥) يَغِيبُ فيه الضِّرْس، كأن نواه ألسُن الطير، تَضَع التمرةَ فى فِيكَ فتجدُ حلاوتها فى كَعْبَيْك.

الأصمعىّ عن أبيه قال: أَسَرَ رجلٌ رجلين فى الجاهلية فخيّرهما بم يُعَشِّيهما، فاختار أحدُهما اللحمَ واختار الآخرُ التمرَ، فعَشّيا وأُلْقِيا فى الفِناء وذلك فى شِتاءٍ شديد، فأصبح صاحبُ اللحم خامدا وأصبح صاحب التمر تَزِرّ(٦) عيناه.

(١) هو بكر بن عمرو أو ابن قيس، كما فى تهذيب التهذيب والخلاصة. (٢) البرنى: ضرب من التمر أصفر مدوّر، وهو أجود التمر. (٣) فى الأصل هكذا: «الوزلان» والظاهر أنه محرّف عما أثبتناه. (٤) جرد: ناعمة. (٥) قطس: صغار الحب لاطئة الأقماع. (٦) تزرّ عيناه: توقدان.

وقال غيرُ الأصمعىّ : قيل لأعرابىّ : ما رأيك فى أكل الحُزَّى[1] ؟ قال : تَمْرة نِرْسِيَانَةٌ عرّاءُ الطَّرَف صفراءُ السائر عليها مِثلُها زُبْدًا أحبُّ إلىّ منها ، ثم أدركه الوَرَعُ فقال : وما أُحَرِّمُهما .

وقال بعضُ الأعراب :

٥ أَلَا لَيْتَ[2] لِى حُمْرًا تَسَرْبَلَ رَائِثًا * وخيلًا من البَرْنِىّ فُرسَانُها الزُّبْدُ

قال : ورأى أعرابىٌّ دقيقا وتمرا فاشترى التمر، قيل له : كيف وسعرُ الدقيق والتمر واحد ! قال : إنّ فى التمر أُدْمَه وزيادةَ حلاوةٍ .

عن زياد النُّمَيرىّ قال : قالت عائشة : من أكل التمرَ وِترًا لم يضرّه .

الأصمعىّ قال : حدّثنى شيخٌ عالمٌ قال : أطيبُ التمرِ صَيْحَانِيَّة[3] مُصَلَّبَة .

١٠ الأصمعىّ قال : حدّثنى رجلٌ من آل حرمٍ قال : كان يقال : مَنْ حلا[4] على التمر فالعَجْوة، ومن أكله على ثِقَلٍ فالصَّيْحانىّ .

الأصمعىّ قال : قال أعرابىّ يُفَضِّلُ الرُّطَبَ على العسل : أتجعلُ عَسَلَةً فى أحشاءِ البقر كعَسَلَةٍ فى حَوِّ السماءِ لها مَحَارِسُ من حَرِيدٍ ودوائبُ من زُمُرُّدٍ !

وقال الأصمعىّ : قيل لأبى القَدَّاح : أىّ التمرِ أطيبُ؟ فدعا بأنواع التمر، فلمّا ١٥ أكلوا قال : أطرحوا أىَّ النوى أكثرُ؟ قالوا : نوى الصيحانىّ، قال: هو أطيبُ .

---

(١) الحزّى : ضرب من السمك . والتمر الرسيان . نوع من التمر جيد ، واحده رسيانة ، وفى الأصل «تمرة رسانية» وهو تحريف . (٢) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٢٤ طبع بولاق) . ورواية الأصل . * ألا ليت حمرا قد تسربل رائثا *

(٣) الصيحانى : ضرب من التمر أسود صلب الحمصة نسب الى صيحان وهو كفش كان يربط الى نخلة بالمدينة فأثمرت تمرا نسب اليه ، ويقال صلبت التمرة اذا ملأت اليبس (انظر اللسان مادة صلب) .

(٤) يقال : حلا على بعض الطعام اذا اقتصر عليه . قال الحيانى : تميم تقول : حلا فلان على اللبن وعلى الخبز اذا لم يأكل معه شيئا ولا خلطه به . قال : وكنانة وقيس يقولون : أحلى فلان على اللبن والخبز .

وقال الأصمعيّ : العرب تقول للبخيلِ الأكولِ : "أَبرَماً[1] قَرُوناً" أى لا يُخْرِج مع أصحابه شيئا ويأكل تَمْرَتَينِ تمرتين .

وقال النابغة يصف تمرا :

صغارُ النوَى مكنوزةٌ ليس قشرُها * اذا طار قشرُ التمر عنها بطائرِ

سمِع الحسنُ رجلا يَعيبُ العالُوذجَ[2] فقال : قُتاتُ البُرِّ بُلَعابِ النحل بخالِصِ السَّمْنِ! ما عاب هذا مسلمٌ . وقال لِفَرْقَدٍ السَّبَخِيّ : يا أبا يعقوبَ ، بلغنى أنك لا تأكلُ العالوذجَ ، فقال : يا أباسعيدٍ ، أخافُ ألّا أُؤدِّىَ شكرَهُ ، فقال : يا لُكَعُ! وهل تُؤدِّى شكرَ الماءِ البارد [فى الصّيفِ[3] والحارِّ فى الشتاء! أما سمعتَ قولَ الله تعالى : ﴿ يَأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ ﴾] .

---

(١) كذا ورد هذا المثل فى مجمع الأمثال للميدانى ولسان العرب مادة «برم» والبرم : الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر لبخله . والقرون : الذى يقرن بين الشيئين أى هو برم ويأكل مع ذلك تمرتين تمرتين . يضرب مثلا لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين ، وفى الأصل : «أبرما أكولا قرونا» وهو تحريف .

(٢) العالوذج : حلواء يسوّى من لب الحنطة . فارسىّ معرّب . وفى الصحاح : العالوذ والعالوذق معرّبة ، قال يعقوب : ولا يقال : العالوذج . (انظر القاموس وشرحه مادة علذ) والعرب لا تعرفه حتى حكى أن عبد الله بن جدعان ، وكان سيدا شريفا فى قريش ، وفد على كسرى مرة وأكل عنده العالوذج فتعجب منه وسأل عن حقيقته ، فقيل : هى لباب البرّ يلبك مع العسل ، فابتاع من عنده غلاما يصنعه ، وقدم به مكة فصنع بها العالوذج فوضع موائده بالأبطح الى باب المسجد ، ثم نادى : من أراد أن يأكل العالوذج فليحضر ، فكان من حضر أمية بن أبى الصلت ، فقال مادحا :

لكل قبيلةٍ رأس وهادى * وأنت الرأس تقدُم كلّ هادى
له راعٍ بمكة مشمعلّ * وآخر فوق دارته ينادى
الى رُدُح من الشيرى ملاءٍ * لبابُ البرّ يلبك بالشهاد

(٣) زيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨١) .

الأصمعىّ قال: اختصم رومىّ وفارسىّ فى الطعام، فحكّما بينهما شيخا قد أكَلَ طعامَ الخُلفاءِ، فقال: أمّا الرومىّ فذهب بالحَشْوِ والأحشاء، وأما الفارسىّ فذهب بالبارد والحَلْواء.

وعن الأصمعىّ قال: كنا عند الرشيد فقُدِّمتْ اليه فالُوذَجةٌ، فقال: يا أصمعىّ حَدِّثْنَا بحديث مُزرِّد، فقلت: إن مُزرِّدا أخا الشمّاخ كان غلاما جَشِعًا وكانت أُمّه تُؤثِرُ عيالَها بالطعام عليه وكان ذلك يُحْفِظُه(١)، فخرجَتْ أُمّه ذاتَ يوم تزورُ بعضَ أهلها، فدخل مُزرِّدٌ الخيمةَ وعمَد الى صاعَيْ دقيقٍ وصاعٍ من تمر وصاعٍ من سمن فجمعه ثم جعل يأكله وهو يقول:

ولمّا غَدتْ أُمّى تَميرُ بَناتِها * أغَرْتُ على العِكْمِ(٢) الذى كان يُمنَعُ
لبَكْتُ(٣) بصاعَىْ حِنطةٍ صاعَ عَجوةٍ * الى صاعِ سمنٍ فوقَهُ يَتَرَيَّعُ(٤)
ودَبَلْتُ(٥) امثالَ الأثافِي كأنها * رُءوسُ نِقادٍ(٦) قُطِّعَتْ يومَ تُجمَعُ
وقلتُ لِبَطنِي أبْشِرِ اليومَ إنه * حِمًى أُمِّنا مما تَحُوزُ وتَرفَعُ
فإن كنتَ مَصْفورًا(٧) فهذا دواؤه * وإن كنتَ غَرْثانًا(٨) فذا يومُ تَشْبَعُ

فضحِكَ الرشيدُ حتى استلقَى على ظهره، ثم قال: كُلوا بِاسم الله، هـذا يومُ تَشْبَعُ [يا أصمعىّ](٩).

(١) يحفظه: يغضبه. (٢) العكم: النمط تجعله المرأة كالوعاء تدخر فيه متاعها.
(٣) لبكت: خلطت، واللبيكة: أقط ودقيق أو تمر ودقيق يخلط و يصب عليه السمن. (٤) يتريع: يجمع هاهنا وهاهنا لا يستقر له وجه لكثرته. وفى الأصل: «يتربع» بالباء الموحدة. (٥) دبلت الشىء: جمعت بعضه على بعض وعظمته مثل الكَتْلة. وفى الأصل «ودبلت» بالذال المعجمة والباء المثناة وهو تحريف (انظر اللسان مادة ربع ودبل). (٦) نقاد: جمع نقدة وهى الصغيرة من الغنم، الذكر والأنثى فى ذلك سواء. (٧) المصفور: من به الصفر وهو داء فى البطن يصفر منه الوجه.
(٨) غرثان: جائع؛ وقد وردت هـذه الأبيات فى الجزء الثالث من العقد الفريد ص ٣٨٥ باختلاف قليل فى بعض ألفاظها عما هو مثبت هنا. (٩) زيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٥).

قال : وكتب الحجاجُ الى عامِله بفارسَ : ابعَثْ الىّ عسلًا من عسلِ خُلّار[1]، من النَّحْلِ الأبكار، مِن الدَّسْتَفْشَار، الذى لم تمسّه النار .

وقال الأصمعىّ : كتب بعضُ[2] الخلفاء الى عامله بالطائف : أن أرسِل إلىّ بعسلٍ أخْضَرَ فى سقاء، أبيضَ فى الإناء، من عَسلِ النَّدْغ[3] والسَّحاء[4]، من حِدَابِ بنى شبابة .

والعربُ تصف العسلَ بالبرودة .

وفى حديث ابن عباس أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم سئِل عن أفضل الشراب قال : "الحلْواءُ البارِدُ" يعنى العسلَ . وقال الأعشى :

كما شِيبَ بماءٍ با * رِدٍ من عسلِ النحلِ

ويقال : أجودُ العسلِ الذهبىّ[5] الذى اذا قَطرتْ منه قَطرةٌ على وجه [الأرض] استدارَ كما يَستديرُ الزِّئبقُ ولم يَنفُشْ ولم يختلط بالأرض والتراب .

والرومُ تقول : أجودُه ما يُلطَخ على فَتيلةٍ ثم تُشعَلُ فيه النارُ فيَعلَقُ .

وسُئِل ديمقراطيس العالِمُ عما يَزيدُ فى العُمر فقال : مَنْ أدام أكلَ العسلِ ودهَن جِسمَه به زاد الله بذلك فى عمرِه .

(١) خلّار كرمان : موضع بفارس ينسب اليه العسل الجيد . والدستفشار : كلمة فارسية ومعناها عما عصرته الأيدى ومعالجته . (انظر القاموس وشرحه مادة خلر) . وقال ابن سيده فى المخصص (ج ٥ ص ١٨ طبع بولاق) : قال أبو حنيفة : المستفشار والدستفشار : العسل الذى لم تمسه النار . وقال . ليست واحدة منهما عربية لأن هذا البناء ليس من كلامهم . (٢) كذا فى الأصل ، وفى اللسان مادة «ندغ» أن الذى كتب الحجاج ، والحجاج لم يكن من الخلفاء كما هو مذكور هنا . (٣) الندغ : الصمتر البرىّ وهو مما ترعاه النحل وتعسل عليه وعسله أطيب العسل ، وفى الأصل « البذع » . (٤) السحاء : نبت آخر من مراعى النحل يطيب عسله عليه ، وفى الأصل «السماء» . وحداب بنى شبابة : جبال بالسراة ينزلها بنو شبابة ، قوم من فهم بن مالك كما فى اللسان وشرح القاموس مادة (حدب) . وفى الأصل : «حدب» بدون ألف . (٥) فى ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه للحبى ، وفى لطائف المعارف للثعالبى ص ١١٠ طبع أوروبا : «أن خير الأعسال كلها عسل أصبهان ، وأن فى أجوده هذه الخاصة وذكر الثعالبى أنه يحمل منه كل سنة الى السلطان ألف رطل » .

والعَسلُ إن جُعل فيه اللحمُ الطريّ بقِ كهيئته حتى لا يَتَنَّ . ويقال : مَنْ كان به داء قديمٌ فليأخُذْ درهمًا حلالًا وليَشْتَرِ به عسلا ثم يَشرَبْهُ بماءٍ سواءٍ فإنه يبرأ بإذن الله تعالى . وكان الحسنُ يُعجِبُه اذا اسْتَمْشَى (١) الرجلُ أن يَشربَ اللبنَ والعسلَ .

ويزعم أصحابُ الطبائع أن العسلَ اذا دِيفَ (٢) بالماء وخُلِطَ معه زيتٌ أو دُهنُ سِمسِمٍ نافعٌ لمن شَرِبَ السُّمومَ والأدويةَ القاتلةَ يُتَّقيًا به .

ميمونُ بن مِهرانَ عن ابن عبّاس قال — ولا أعلمه إلّا عن النبيّ صلى الله عليه وسلم — أنه قال : "أكرِمُوا الخبزَ فإنّ الله سخّر له السمواتِ والأرضَ" .

الأصمعيّ قال : كانت امرأةٌ من (٣) بكر بن وائل تَنزِلُ الطَّفَاوَةَ (٤) وكانت قد أدركت بعض أصحابِ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وكان العُبّادُ يَغشَوْنَها فى منزلها ؛ فعابَ عائبٌ عندها السَّويقَ ، فقالت : لا تَفْعَلْ ! إنه طعامُ المسافر ، وطعامُ (٥) العَجْلانِ ، وغِذاءُ المبكِّرِ ، ولُعْقَةُ المريض ، ويَشُدُّ فؤادَ الحَزِينِ ، ويَرُدُّ من نَفَسِ الضَّعيفِ ؛ وهو جيّدٌ فى التسمين ونقاوة البلغم ، ومَسْمُونُه (٦) يُصَفِّى الدمَ ، إن شِئتَ كان ثريدا ، وإن شئت كان خَبيصًا ، وإن شِئت كان خُبزًا .

وكان غسّانُ بن عبد الحميد كاتب سليمان بن علىّ يقول لجاريته : خَوِّصِى (٧) لنا سويقا فأَخْثِريه ، فإنّ الرجلَ لا يَستحِى أن يزدادَ ماءً فيرقّقَه ، ويستحى أن يزدادَ سويقًا فيُخثِّرَه به .

---

(١) استمشى : استطلق بطنه . (٢) ديف : خلط (٣) فى الأصل : «كان فى الطعام وية امرأة من بكر بن وائل تنزل الطعاوة ... الخ» . (٤) الطفاوة : حىّ من قيس عيلان ، وموضع بالبصرة سمى بالقبيلة التى نزلته . (٥) كذا بالأصل ، وهذا التكرار لا يتفق مع بلاغة السياق ، وفى العقد الفريد : «طعام المسافر والعجلان» . (٦) سمن الطعام يسمنه سمنا فهو مسمون : عمله بالسمن وطبخه به . (٧) خوّص الشراب وخاضه : خلطه وحرّكه . والخثورة : ضدّ الرقة ، يقال : أخثر الشيء وخثّره إذا خلطه بعد الرقة .

مرّ عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بعبد الحميد بن علىّ وهو فى مَزْرَعته وقد عَطِش، فاستسقاه فخاضَ له سَويقَ لَوْزٍ فسقاه إياه؛ فقال عبد الله :

شَرِبتُ طَبَرْزَذا[1] بِغَريضِ مُزْنٍ[2] * ولكنّ المِلاحَ بكم عِذابُ

وما [هو] بالطَّبَرْزَذِ طاب لكن * بِمَسِّكَ إنه طاب الشرابُ

وأنت إذا وَطِئتَ ترابَ أرضٍ * يَطيبُ إذا مشيتَ به التُرابُ

لِأن نَدَاكَ يَنفِي المَحْلَ عنها * وتُحْيِيها[3] أيادِيكَ الرِّطابُ

وقال الحسنُ : لا تَسْقُوا نِساءكم السَّوِيقَ، وإن كنتم لا بدّ فاعِلينَ فَاحفَظُوهنّ.

وقال الرِّقاشىّ : السَّمَنَةُ لِلنِّساء عُلْمَةٌ وهى للرجال غَفْلَةٌ .

عن ابن عمرَ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : "ثَلَاثَةٌ لا تُرَدُّ : اللَّبَنُ والسِّوَاكُ[4] والدُّهْنُ" .

الرِّياشىّ قال : سمعتُ أبا يزيدَ يقول : رأيتُ رجلا كأنّ أسنانَه الذَّهَبُ لشربه اللَّبَنَ حارًّا .

الأصمعىّ عن ذى الرُّمَّةِ أنه قال : إذا قلتَ للرجل : أىُّ اللبن أطيبُ ؟ فإن قال : قارِصٌ[5]، فقُلْ : عبد مَنْ أنتَ[6]؟ وإن قال : الحليبُ، فقُلْ : ابنُ مَن أنتَ؟

مرّ رجل من قريش بامرأةٍ من العرب فى باديةٍ، فقال : هل من لبنٍ يُباعُ؟ فقالت : إنك لئيمٌ أو قريبُ عهدٍ بقومٍ لِئامٍ .

---

(١) الطبرزذ : السكر فارسىّ معرّب، ويقال فيه : طبرزد وطبرزل بالدال واللام (انظر القاموس وشرحه مادة طبرزذ ومعربات ابن البيطار طبع بولاق فى اسم الطبرزد) . (٢) الغريض من الثلج والماء واللبن والتمر : الجديد الطارح . (٣) فى الأصل : «وتجيبها» بالجيم والباء وهو تحريف .
(٤) فى الأصل هكذا : «الوساك» وهو تحريف . (٥) القارص : الحامض .
(٦) أى هو عبد، لأنه باستطابته الحامض دل على أنه لم ير حيرا منه، اذ العبد يأكل ما يفضل من مواليه فلا يصل اليه الحليب إلا حامضا .

وكان يقـال : اللبنُ أحدُ اللحمَيْنِ .

وقال بعضُ المدنيّين : مَنْ تَصبّح بسبعِ مَوْزاتٍ[(١)] وبقـدَحٍ من لبن إبلٍ أوَارِكَ[(٢)] تَجَشّأ بُخورَ الكعبةِ[(٣)] .

وقف معاويةُ على امرأةٍ فقال : هل مِن قِرًى؟ فقالت : نعم، قال : وما هو؟ قالت : خُبزٌ[(٤)] نَمير ولبَنٌ فَطير وماءٌ نمير، والعرب تقول : "إنّ الرَّيْثـةَ[(٥)] تَفْثَأُ الغضب" . والرّيثـةُ : اللبنُ الحامضُ يُحلَبُ عليه الحليبُ، وهو أطيبُ اللبنِ . قال بعضُ الأعرابِ :

وإذا خشيتَ على الفؤادِ لجاجةً * فاضرِب عليه بجَرْعةٍ من رائبِ

وعن مطر الورّاق : أنّ نبيًّا من الأنبياء شكا الى الله تعالى الضعفَ، فأوحى الله إليه : أنِ اطبُخِ اللبنَ باللحم، فإنّ القوّة فيهما .

وصف أعرابيّ خِصْبَ البادية فقـال : كنتُ أشربُ رثيئـةً تَجرُّها الشّفتانِ جرًّا، وقارِصًا إذا تجشّأتُ جدَعَ أنفي، ورأيتُ الكمأةَ تدوسُها الإبلُ بمناسِمِها، وخُلاصةً[(٦)] يَشَمُّها الكلبُ فيعطِسُ .

وتقول الأطبّاء : إنّ اللبن اذا سُخّنَ بالنـار وسِيطَ[(٧)] بعُودٍ من عيـدان شجرِ التّينِ راب من ساعته . وقالوا : وإن أراد صاحبه ألّا يروبَ وإن[(٨)] كان فيه رُوبة جعل فيه شيئا من الحَبَقِ، وهو الفُوذَنْجُ[(٩)] النهريّ، فإنه يبقى كهيئته .

(١) تصبح : أكل شيئا قليلا يتعلل به . (٢) كذا فى الأصل ولعلها «لوزات» أو «تمرات» .
(٣) الإبل الأوارك : التى تأكل الأراك . (٤) الماء النمير : الناجع فى الرىّ، وقيل : الماء النمير : الكثير . واللبن الفطير : الطرىّ القريب العهد من الحلب . (٥) هـذا مثل ذكره الميدانىّ وقال : الرثيئة : اللبن الحامض يخلط بالحلو، وتفثأ الغضب أى تكسره وتذهبه . وأصله أنّ رجلا نزل بقوم وكان ساخطا عليهم وكان مع ضيفه جائعا فسقوه الرثيئة فسكن غضبه . (٦) الخلاصة : التمر والسويق يلق فى السمن . (٧) سيط : حرّك . (٨) فى الأصل : «فإن» .
(٩) الفوذنج : نبت، معرّب عن پوذينه .

أخبار من أخبار العرب فى مآكلهم ومشاربهم

المعلّى الرّبَعِىّ قال : مكثتُ ثلاثا لا أذوق طعاما ولا أشرب فيهنّ شرابا ، فدعوت الله تعالى ، واذا دعا العبدُ اللهَ بقلبٍ صادقٍ كانت معه من الله عينٌ بصيرةٌ ، فدَفَعتُ الى ذِئبين فى جَفْرٍ(١) فرَميتُهما فقتلتُهما ، ثم أتيتُ جَفْرًا فيه ماء فاستقيت ، ثم أتيتهما واذا هما على مُهَيْدِيَتَيْهِما(٢) ، واذا لهما نَخْفَةٌ — يعنى شبهَ الزّفير — فاشتويتُ واحتذيتُ(٣) وادّهنت .

قال ابن قِرْفَةَ (شيخ من سليم) : أضافنى رجل من الأعراب بفاءنى بِقِدْرٍ جَمَاعٍ(٤) ضخمةٍ ليس فيها شىء من طعام إلا قِطَعُ لحم ، فاذا بَضْعة تَنْمَاتُ(٥) فى فى ، وبَضْعة كأنّها بِضَع ساقٍ ، وبضعة كأنها شحمٌ زِخِمٌ(٦) ، فقلت : ما هذا؟ فقال : إنى رجل صيّاد ، جمعتُ بين ذِئبٍ وظَبْيٍ وضَبُعٍ .

قال مدنىّ لأعرابىّ : ما تأكلون وما تَدَعُون ؟ قال : نأكل ما دَبّ ودَرَجَ إلا أمَّ حُبَيْنٍ(٧) ، فقال المدنىّ : لِيهنِى(٨) أمَّ حُبَيْنٍ العافيةُ .

---

(١) الجفر : البئر الواسعة التى لم تطو ، وقيل : هى التى طوى بعضها ولم يطو بعض . (٢) على مهيديتيهما : على حالهما التى كانا عليها ، يقال : هو على مهيديته ومهيدئته ، بالهمز وعدمه ، حكاه ثعلب وقال : لا أكبر لها . وقد ذكرها صاحب اللسان والقاموس فى مادتى (هدى) و (هدأ) . (٣) احتذيت : انتعلت نعلا . (٤) قدر جماع وجامعة : عظيمة ، وقيل : هى التى تجمع الجزور . (٥) تنمات : تنفلت وتتمطط . (٦) زخم : كريه خبيث الرائحة . (٧) بحاء مهملة مضمومة وباء موحدة مخففة : دويبة قيل : هى ضرب من الظباء ، وقيل : هى أعرض من الظباء ، وقيل : هى أنثى الحرباء ، وقيل غير ذلك ، وهى منتنة الريح تضاعاها الأعراب فلا يأكلونها لنتنها ، ويقال لها : حبينة معرفة بلا ألف ولام وانما سميت بذلك لكبر بطنها ، من الحبن الذى هو الِّسق فى البطن . تقول : فلان به حبن فهو أحبن أى مستسق ، فسميت بذلك لشبهها بالمستسق . (٨) فى الأصل : «ليبن» قال شارح القاموس فى مادة هنأ : تقول العرب فى الدعاء : ليهنك الفارس بجزم الهمزة كليهنيك الفارس بياء ساكنة ، ولا يجوز ليهنك كما تقول العامة ، أى لأن الياء بدل من الهمزة ، ثم قال : وقد ورد فى صحيح البخارى فى حديث توبة كعب بن مالك : يقولون : ليهنك توبة الله عليك . واجمع شرح القاموس (مادة هنأ) .

قعد على مائدة الفضل بن يحيى رجلٌ من بنى هلالِ بن عامر، فذكروا الضَّبَّ ومن يأكله، فأفرط الفضلُ فى ذمّه وتابعه القومُ، فغاظ الهلالىَّ ما سَمِع منهم، ولم يكن على المائدة عربىّ غيرُه، ثم لم يلبث أن أُتِىَ الفضلُ بصَحْفةٍ فيها فِراخُ الزَّنابير، فلم يَشُكّ الأعرابىّ أنها ذِبّان البيوت، فقال حين خرج :

وعِلْجٍ يَعافُ الضبَّ لؤما وبِطْنَةً * وبعضُ إدامِ العِلْجِ هامُ دُبَابِ
ولو أنّ مَلْكًا فى المَلَا ناك أمَّهُ * لقالوا لقد أُوتيتَ فصلَ خِطابِ

وقال أبو الهِنْدى (رجل من العرب) :

أكلتُ الضِّبابَ هما عِفْتُها * وإنّى لأشهَى قَدِيدَ الغَنَمْ
ولحمَ الخروفِ حَنِيذًا وقد * أُتِيتُ به فائزًا فى الشَّبَمْ
فأمّا البَهَطُّ وحِيتانُكم * فما زِلتُ منها كثيرَ السَّقَمْ
وقد نِلتُ منها كما نِلتُمُ * فلم أر فيها كضَبٍّ هَرِمْ

(١) قال الدميرى فى حياة الحيوان (ج ٢ ص ١٢) فى الكلام على الزنبور : « وفراخ الزنابير تؤخذ من أوكارها وتقلى فى الزيت ويطرح عليها سذاب وكراويا وتؤكل » وذكر حاصة لذلك .

(٢) كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ٢٨) ، وقد وردت فيه هذه الحكاية وهى لا تختلف فى المعنى عما ورد فى الأصل . وفى الأصل : «وعلج يعاف الصب واللوم بطنه» . (٣) كذا ورد فى اللسان (مادتى عرب وبهط) منسوبا اليه بعض هذه الأبيات ، وقد عقد له المؤلف ترجمة فى كتابه الشعر والشعراء (ص ٤٢٩) وفى الأصل : « أبو هند » . (٤) القديد : اللحم المملوح المجفف فى الشمس . (٥) حنيذ : مشوىّ . (٦) كذا فى الدميرى (ج ٢ ص ٩٣) والحيوان للجاحظ ، وقد فسره الدميرى بسماء الأسنان وهو غير واضح ، والظاهر أنه بمعنى البرد كما هو معناه الثلجى . وفى الأصل : «والسنم» وهو تحريف . (٧) قال فى اللسان : «البهط : كلمة سندية وهى الأرز يطبخ باللبن والسمن حاصة بلا ماء ، واستعملته العرب بالماء فقالت : بهطة طيبة» .

ولا فى البُيُوض كبَيْض الدَّجَاج * وَبَيْضُ الدجاج(١) شِفاء القَرَم(٢)
ومَكْن(٣) الضِّباب طعام العُرَيب(٤) * ولا تَشْتَهِيه نُفُوسُ العَجَمْ

وقال بعض الأعراب :

وأنت لو ذُقْتَ الكُشَى(٥) بالأكبادْ * لما تركتَ الضَّبَّ يَعْدُو بالوادْ

ونزل رجل من العرب برجل من الأعرابِ فقدم اليه جرادا ؛ فقال :

لَحَى اللهُ بَيْتًا ضَمَّنِي بعد هَجْعَةٍ * اليه دَجُوجىٌّ من الليل مُظْلِمُ
فأبصرتُ شيخًا قاعدًا بِفِنَائِه * هو العِتر إلا أنه يتكلم
أتانا بِبَرْقَانِ(٦) الدَّبَى فى إنائِه * ولم يَكُ بَرْقان الدَّبَى لِيَ مَطْعَمُ
فقلت له غَيِّبْ إناءَكَ(٧) واعتزِلْ * فهل ذاق هذا ، لا أبالَك ، مُسْلِمُ

وقال بعض(٨) العباسيين :

ليتَ شِعرى متى تَحُبّ بِيَ النا * قةُ نحو العُذَيْب(٩) فالصَّنَعَيْن(١٠)
مُحْقِبًا زُكْرَةً(١١) وخُبْزَ رُقَاقٍ(١٢) * وجبينًا(١٣) وقِطْعَةً من نونِ

(١) كذا فى حياة الحيوان للدميرى وكتاب الحيوان للجاحظ . وفى الأصل : «وبيض الجراد» .
(٢) كذا فى حياة الحيوان للدميرى وكتاب الحيوان للجاحظ . والقرم (بفتح القاف والراء) : شدة الشهوة الى اللحم . وفى الأصل «الشقم» وهو تحريف . (٣) المكن (بفتح الميم وإسكان الكاف) وباليود فى آخره) : بيض الضبة . (٤) العريب : تصغير العرب ؛ قال فى اللسان مادة عرب : صغرهم تعطيا كما قال : أما جديلها المحكك وعذيقها المرجب . وفى الأصل «الغريب» بالغين المعجمة وهو تحريف . (٥) الكشى : جمع كشية (بضم الكاف وإسكان الشين) وهى أصل ذنب الضب . (٦) البرقان : جمع برقانة وهى الجرادة المتلونة . والدبى : الجراد ، أى أتانا بالمتلون من الجراد . (٧) فى الأصل : «فمك» . (٨) ذكر هذا الشعر بالجزء الثانى من كتاب الأغانى (طبع دار الكتب المصرية ص ٣٤٨) منسوبا الى حنين بن لوع الحيرى ، ولم يذكر أبو الفرج أنه أدرك الدولة العباسية . (٩) العذيب : ماء لبنى تميم ، وهو أول ماء يلق الانسان بالبادية اذا سار من قادسية الكوفة يريد مكة . (١٠) الصنعين : بلد كان بظاهر الكوفة من منازل المنذر وبه نهر ومزارع . ورواية الأغانى فى هذا الشطر : «بين السدير والصنعين» وفى اللسان : «بين العذيب فالصنعين» بفاء العطف وهو ما اخترناه . وفى الأصل : «فى الصنعين» . وفى هذا الشعر السناد وهو ، كما فسره ابن سيده ، المخالفة بين الحركات التى تلى الأرداف فى الروى . (١١) يقال : أحقب الزكرة واحتقبها اذا احتملها خلفه . (١٢) الزكرة بالزاى : زق يجعل فيه شراب أو خل . (١٣) الجبين تصغير الجبن المأكول . والنون : الحوت .

وقال بعض الأعراب :

أقول له يومًا وقـد راح ضَحْيَةً * تَرَى أَتَعِي من صَـيْدِه وأُحَاتِلُهْ[1]
فلما التَقَتْ كفّى على فَصلِ ذَيله * وشالت[2] شِمالى زَايَلَ الصّبّ باطلُهْ
وأصبح محمودًا[3] نصيحًا وأصبحتْ * تَمَشّى على القِيرانِ[4] حُولًا حلائلُهْ
شديد اصفرار الكُشْيَتَيْنِ[5] كأنما * تَطَلّى بورْسٍ[6] بطنُـه وشَـوَاكِلُهْ[7]
فذلك أشهى عندنا من شَاحِكٍ[8] * لحى الله شـارِيهِ وقُبّـح آكِلُهْ

وسو أسِدٍ تعيّر بأكل الكلاب، قال الفرزدق :

إذا أسَدِيٌّ جاع يومًا سلَبْتِه * وكان سميًّا كلبَه فهو آكِلُهْ

وتُعيّر أيضا بأكل لحوم الناس، كما قال الشاعر[10]

اذا ما صِفْتَ ليلًا فَقْعسيًّا فـلا تأكل له أبدًا طعامًا
فإنّ اللحم إنسانٌ فدعْه * وحيرُ الزادِ ما منع الحـرامًا

---

(١) فى الأصل «وأحاطره» والهاء فى الشعر للام، وقد ورد هذا الشطر فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ٢٧ طبع مصر)

* ... الله تعى صيده وأحاتله

(٢) كذا فى كتاب الحيوان، وشالت ارتفعت. وفى الأصل: «مالت». (٣) الشواء المحمود الذى قد ألقيت فوقه الحجارة المرضوفة بالنار حتى تشوى الشواء شيئا فشيئا تحتها. (٤) القيران. جمع قور (بالفتح) وهو الكثيب الصغير من الرمل تشبّه به أوراك الإبل. (٥) كذا فى كتاب الحيوان. والكشية. شحمة على الصلب أو أصل ذنبه، وفى الأساس: «وشحمه مستطيلة فى جنبه». وفى الأصل: «الكليتين». (٦) الورس صبغ أصفر يصبغ به. (٧) الشواكل: جمع شاكلة وهى الناصرة. (٨) كذا فى كتاب الحيوان. وفى الأصل «كذلك» الكاف. (٩) فى الأصل «يا حكم» (بالواو والياء والحاء المهملة) وهو تحريف، والصواب عن كتاب الحيوان للجاحظ. (١٠) نسب هذا الشعر فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٦٢ طبع أوربا) الى معروف الدهنى.

قال رجل : كنت بالبادية فرأيت ناسًا حولَ نارٍ، فسألتُ عنهم فقالوا : صادوا حيّات فهم يَشْتَوُونها ويأكلونها ، فأتيتُهم فرأيت رجلا منهم قد أخرج حيّةً من الجَمْر ليأكلها فامتنعتْ عليه ، فجعل يمدّها كما يُمَدّ عُصَيب لم يَنْضَج ، فما صرفتُ بصرى عنه حتّى لبح[1] به فمات ، فسألت عن شأنه فقيل لى : عَجِلَ عليها قبل أن تنضج وتعمل فى سُمّها النارُ .

قال رجل من الأعراب لولدِه : اشتروا لى لحمًا ، فاشتَرَوْه فطبخه حتى تهرّى ، وأكل منه حتى انتهت نصيبه ، وشَرَعَت اليه عيون ولده فقال : ما أنا بمُطْعِمِه أحدًا منكم إلا مَن أحسن وصفَ أكْلِه ، فقال الأكبر منهم : آكُلُهُ يا أبت حتى لا أدَع لِلدهنِ فيه مَقيلا ، قال : لستَ بصاحبه . فقال الآخر : آكله حتى لا يُدْرَى أَلِعامِهِ هو أم لِعامٍ أوّل ، قال : لستَ بصاحبه . فقال الأصغر : أدقّه يا أبت دقا وأجعل إدامه المخّ ، قال : أنت صاحبُه ، هو لك .

بينا أعرابىٌّ يسير وهو يُوضع[2] بعيرَه إذ سقط بعيرُه فنَحَره وأكله ، فأنشأ يقول

إن السّعيد من يموتُ جَمَلُهْ * يَشْبَع لحمًا ويَقِلّ عَمَلُهْ

ومرّ رجلٌ من سَلُول بفِتْيانٍ يشربون فشَرِب معهم ، فلما أحدّ منه الشراب قام الى بعيره فنحره ، وقال :

عَلّلانى إنما الدّنيا عِلَلْ * ودَعانِى من مَلامٍ وعَذَلْ

وأنْشِلا[3] ما أعْتَرَ من قِدْرِيكما * وأسقِيانِى أبعدَ اللهُ الجَمَلْ

---

(١) يقال . لبح بالرجل ولبح به اذا صرع . (٢) يوضع بعيره يعديه ويحمله على العدو الحثيث . (٣) نشل اللحم (من باب ضرب ونصر) وأنشله : أخرجه من القدر بيده من غير المعرفة .

آداب الأكل والطعام

عن أبي هريرةَ قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : "الأكْلُ في السُّوقِ دَناءةٌ". وعن عبد الرحمن بن عِراكٍ قال : بلغني أنه مَنْ غسل يدَه قبل الطعام كان في سَعَةٍ من الرِّزقِ حتى يموتَ .

عن الحسن أنه قال : الوُضوءُ قبل الطعام يَنفِي الفقرَ و بعده يَنفِي اللَّمَمَ[1] .

وعنه قال : قيل لسَمُرَةَ بنِ جُنْدَبٍ : إنّ أباك أكَلَ طعاما كاد يقتُلُه ؛ قال : لو مات ما صَلَّيتُ عليه .

وعن شُرَحْبِيل بنِ مسلم قال : قال أبو الدَّرداء : بِئس العونُ على الدِّينِ قلبٌ نَخِيب[2] ، وبطنٌ رَغِيب[3] ، ونَعْظٌ شديدٌ .

أكَلَ الجارودُ[4] مع عمرَ طعامًا ، ثم قال : ياجاريةُ هاتِ الدَّستَوْرَدَ[5] ؛ فقال عمر : امسحْ بِأَستِك أو ذَرْ .

قال جعفر : كنا نأتي فَرْقدا السَّبَخِيَّ ونحن شَبَبَةٌ[6] فيُعَلِّمُنَا : إن مِن ورائكم زماناً شديدًا ، فشُدُّوا الأُزُرَ على أنصافِ البطونِ ، وصَغِّرُوا اللُّقَمَ ، وشَدِّدُوا المضغَ ،

---

(١) اللمم : ما دون الكبائر من الذنوب ، وفي التنزيل العزيز : (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم) يعني الذنوب الصغائر . (٢) نخيب : جبان كأنه منتزع الفؤاد .

(٣) بطن رغيب : واسع الجوف ، وهو كناية عن كثرة الأكل وشدة النهم . (٤) هو بشر ابن عمرو بن حنش بن المعلى من بني عبد القيس العبدي الصحابي ، والجارود لقبه ومعناه المشئوم ، لأنه مر ببابله الجرد (التي أصابها الجَرَد) الى أخواله من بني شيبان ، فنشا ذلك الداء في ابلهم فأهلكها . وفد على النبيّ صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث . وقتل في خلافة عمر بأرض فارس سنة احدى وعشرين .

(٥) الدستورد : ثوب أحمر يضرب الى صفرة حسنة . وهو مركب من "دست" بمعنى ثوب ، و"ورد" بمعنى أحمر ضارب الى الصفرة ، كما في القاموس وشرحه (مادتي دست و ورد) ، ولعله يقصد هنا المنشفة .

(٦) شبية : جمع شاب .

ومُصُّوا الماءَ مَصًّا . واذا أكلَ أحدُكم فلا يُحلِّلْ إزارَه فتتّسعَ[1] أمعاؤه . واذا جلس أحدكم لِيأكلَ فلْيقعُدْ على أليتِه، ولْيلزَقْ بطنه بِفخذيه ، واذا فرغ فلا يقعُدْ ولْيجثُ ولْيذهَبْ ؛ واحتَشُوا[2] فإنّ مِنْ ورائكم زمانا شديدا .

وعن عبد الله بن أبي أوفَى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ساقِي القومِ آخرُهم شُرْبًا" .

وعن الجارُودِ بن أبي سَبْرَةَ قال : قال لي بلالُ بن أبي بُرْدَةَ : أتحضُرُ طعامَ هذا الشيخ — يعني عبدَ الأعلى بن عبد الله بن عامر — ؛ فقلت : إيها[3] وآلله ؛ فقال : حدِّثْني عنه . فقلتُ : نأتيه وكان سِكِّيتًا[4]، إن حدَّثنا أحسنَ الحديثَ، وإن حدّثناه أحسنَ الاستماعَ، فإذا حضرَ الغداءُ جاء خبّازُه فمثَلَ بين يديه ؛ فيقولُ : ماعندكَ ؟ فيقولُ : بَطّةٌ بكذا، ودَجاجةٌ بكذا وكذا . قال : وما يُريدُ بذاك ؟ قلت : كي يَحبِسَ[5] كلُّ إنسانٍ نفسَه الى ما يَشتهي، فإذا وُضعَ الخوانُ خَوَى تَخْوِيَةَ[6] الظليمِ[7] فما له إلا موضعُ مُتّكئِه فيَجِدُّ ويَهْزِلُ، حتى اذا رآهم قد فتَروا وكَلُّوا أكَلَ معهم أكلَ الجائعِ المقرورِ[8] حتى يُنَشّطَهم بأكله .

وكان يقال : اذا اجتمعَ للطعام أربعُ كَلَ : أن يكون حلالًا، وأن تكثُرَ عليه الأيدي، وأن يُفتَتَح باسم الله، ويُختَمَ بحمد الله .

(١) في الأصل : «فتشبع» ، وهو تحريف . (٢) احتموا : امتنعوا عن الطعام ، وفي الأصل : «احفروا» . (٣) إيها (بالنصب) : معناه الكف ، وقد يرد للتصديق والرضا كما هنا ، ومنه حديث ابن الزبير لما قيل له : يابن ذات النطاقين ؟ فقال : إيها والإله ، أي صدقت ورضيت بذلك . (٤) سكيتا : كثير السكوت قليل الكلام . (٥) في الأصل «يحتبي» والتصويب عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٨٦) . (٦) خوى الرجل : فرّج ما بين عضديه وجنبيه . (٧) كذا في كتاب التاج للجاحظ (ص ٢٠ طبع بولاق) وكتاب البخلاء له أيضا (ص ١٩٤ طبع أوربا) . والظليم : ذكر النعام ، وفي الأصل : «تخوية الطين» وهو تحريف . (٨) المقرور : الذي أصابه القرّ وهو البرد .

وكان يُقالُ : سَمُّوا اذا أكلتم ودَنُّوا[1] وسَمِّتُوا .

قال أبْرَوِيزُ لِصاحِبَيْ طعـامِه وشرابه : إنى سَلَّطْتُكما على المعيشـةِ، وأشركتُكما فى الحياة ، وجعلتكما أمينينِ على نفسى، ووَلَّيتُكما من طعامِى وشَرابِى ما التوسعةُ فيه مُروءةٌ والتضييقُ فيه دَناءةٌ؛ فأحملاه فى فضلِه على ما سواه كفضلى على مَنْ سِوايَ، وفى كثرته ككثرةِ مَنْ معى على مَنْ مع غَيرى . ولا يَشهدَنَّ طعامِى الذى آكُلُ عينٌ تراه ولا نَفسٌ تُحِسُّه ولا يَدٌ تَداولُه خلا نفسًا واحدةً؛ وإنما أفردتُه بذلك لِتَسْتَحْكِمَ الحجّةُ فيه على مَنْ أضاعَ، وتَنقطعَ الشبهةُ فيه عمن غفَلَ، ولأجعلَ صاحِبَ ذاك رَهنًا بدمِ نفسِه إن هو قَصَّر فى صُنعِه أو أوقع بغائلةٍ .

الأصمعىّ قال حدّثنى ابراهيمُ بنُ صالح : أنه كان له جَامٌ من حَبّ رُمّانٍ مدقوقٍ يَسُفُّ منه بينَ كل لَوْنَينِ مِلعقةً حتى يعرِفَ اختلافَ الألوانِ .

وفيما أجاز لنا عمرُو بن بَحْرٍ من كتبه قال : كان أبو عبد الرحمن[2] الثَّوْرىّ يُقْعِدُ ابنَه معه على خِوَانه يوم الرأس[3]، ثم يقول : إياكَ ونَهِمَ[4] الصبيان وأحلاقَ النوائح ، و[دع عنك][5] خَبْطَ المَلّاحِين والفَعَلَةِ، ونَهْشَ الأعراب والمَهَنَةِ، وكُلْ من بينِ يديكَ؛ فإنّ حظَّكَ الذى وَقَع وصار اليك . واعلم أنه اذا كان فى الطعام شىء طَرِيفٌ أو لُقمةٌ كريمةٌ أو بَضْعةٌ[6] شَهِيَّةٌ ، فانما ذلك للشيخ المعظَّم والصبىّ المدلَّل، ولستَ

(١) دنوا : كلوا مما بين أيديكم وما يليكم وما دنا وقرب منكم . وسمتوا : أمر من التسميت وهو الدعاء بالخير والبركة . (انظر اللسان مادتى سمت ودنا) . (٢) كذا فى الأصل وكتاب البخلاء للجاحظ (ص١١٥) ؛ وفى العقد الفريد «أبو عثمان الثورى» . (٣) ورد فى كتاب البخلاء : أن أبا عبدالرحمن هذا كان يحب بالزبيب ويحمدها ويسقيها وكان يسمى الرأس عرسا . فلعل المقصود من قوله «يوم الرأس» ذلك اليوم الذى يجتمع له فيه هذا النوع من الطعام . (٤) كذا فى العقد الفريد ، وفى الأصل «ونهم الصبيان» . (٥) الزيادة من كتاب البخلاء (ص ١١٧) (٦) البضعة (بفتح الباء وتكسر) : القطعة من اللحم .

واحدا منهما. وأنت قد تأتى الدعواتِ، وتُجيب الولائمَ، وتَدخُلُ منازلَ الإخوانِ، وعَهدُكَ باللحم قريبٌ ، وإخوانُك أشدُّ قَرَمًا(١) اليه منكَ، وإنما هو رأسٌ واحدٌ، فلا عليك أن تتجافَى عن بعض وتُصيبَ بعضا . وأنا بعدُ أكرهُ لك الموالاةَ بين(٢) اللحم؛ فإن الله يُبْغِضُ أهلَ البيتِ الهَيِّمين(٣) .

وكان يقال : مُدْمِنُ اللحم كمدمِن الخمر .

ورأى رجل رجلا يأكل لحما، فقال : لحمٌ يأكل لحما ، أُفٍّ لهذا عملًا ! .

وكان عمرُ يقول : إيّاكم وهذه المجازرَ، فانّ لها ضَراوةً(٤) كضَراوةِ الخمر .

يا بُنيَّ عَوِّدْ نفسك الأُثْرَةَ(٥) ومجاهدةَ الهوى والشهوة، ولا تنهَش نهشَ السِّباع، ولا تَحصِم خَصْمَ البراذين ، ولا تُدمِن الأكلَ إدمانَ النِّعاج، ولا تَلقَمْ لقمَ الجمال؛ فإن الله تعالى جعلك إنسانا وفصّلك ، فلا تجعل نفسَك بهيمةً ولا سبعا . وآحذر سرعةَ الكِظّة(٦) وسَرَف البِطْنَة .

قال بعض الحكماء : إذا كنتَ بطينا فعُدَّ نفسك من الزَّمْنى . وقال الأعشى :

... ... والبِطْنَةُ مما تُسَفِّهُ الأحلاما(٧)

وآعلم أنّ الشَّبَع داعيه للبَشَم ، وأنّ البشم داعية السَّقَم ، وأنّ السقم داعية الموت ، فمن مات بهذه المِيتة فقد مات مِيتةً لئيمةً، وهو مع هذا قاتلُ نفسِه، وقاتلُ نفسِه ألأمُ من قاتلِ غيره .

(١) قرم الرجل الى اللحم قرما . اشتدت شهوته اليه . (٢) كذا فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ١١٧ طبع أوربا ، وفى الأصل « بعد » وهو تحريف . (٣) الهميم : جمع لئم ككتف وهو الأكول للحم القرم اليه . (٤) الضراوة بالشىء : الولع به . (٥) الأثرة (بالضم) : المكرمة لأنها تؤثر أى تذكر ويأثرها قوم عن قوم . (٦) الكظة : الامتلاء من الطعام .

(٧) هذا بعض بيت أورده اللسان فى مادة « بطن » والبيت :

يا حى المدرس عداك والبطنة مما تسفه الأحلاما

وفى الأصل « والبطنة يوما تسفه الأحلاما » .

يا بنيّ، والله ما أدّى حقّ الركوع والسجود ذو كظّة، ولا خشع لله ذو بِطْنة، والصومُ مَصَحّة، والوَجَبات[1] عينُ الصالحين

أى بنيّ، لأمرٍ ما طالت أعمار الهند، وصحّت أبدان الأعراب. فلله درُّ الحارث ابن كَلَدة حيث يزعم أنّ الدواء هو الأَزْم[2]، وأنّ الداء إدخال الطعام إثْرَ الطعام.

أى بنيّ، لِمَ صَفَتْ أذهان الأعراب، وصحّتْ أبدان الرُّهبان، مع طول الإقامة فى الصوامع حتى لم تعرف القِرْس[3] ولا وجع المفاصل ولا الأورام، إلا لقلّة الرِّزْء[4] وخفّة الزاد. وكيف لا ترغب فى تدبير يجمع لك صحّة البدن، وذكاءَ الذهن، وصلاحَ المِعَى[5]، وكثرةَ المال، والقُرْبَ من عيش الملائكة!.

أى بُنَيّ، لم صار الضبّ أطولَ شيء ذَماءً[6] إلا لأنه يتبلّغ بالنسيم، ولِمَ قال[7] الرسول صلى الله عليه وسلم إنّ الصوم وِجاء[8] إلّا ليجعله حِجارا[9] دون الشهوات. افهم تأديب الله، فإنه لم يَقصِد به إلّا الى مثلك.

أى بنيّ، قد بلغتُ تسعين عاما ما نَغَضَ لى سنّ، ولا انتشر[10] لى عصبٌ، ولا عرفتُ ذنين[11] أنف، ولا سَيَلان عين، ولا سَلَس بول، ما لذلك علّةٌ إلّا التحفيف

(١) الوجبات: جمع وجبة وهى الأكلة فى اليوم والليلة. (٢) الأزم: ألا تدخل طعاما على طعام. (٣) القرس كفرح: داء يأخذ فى الرجل. (٤) الرزء: ما يصيبه الإنسان من الطعام. (٥) المعى (مالمد والقصر والقصر أشهر): المصارين. وفى الأصل «المعاد» وهو تحريف. (٦) الدماء: هيّة النفس والحركة، والمراد: أطول شىء حياة. وفى العقد الفريد "أطول عمرا". (٧) كذا بالعقد الفريد. وفى الأصل: «رعم». (٨) نص الحديث كما فى الجامع الصغير: «عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» والوجاء، كما فى النهاية لابن الأثير، أن ترض أنثيا الفحل رضا شديدا يذهب شهوة الجماع ويتنزل فى قطعه منزلة الخصى. (٩) حجارا: مانعا وحائلا. وفى العقد الفريد: «حجابا». (١٠) نغض قلق وتحرك. وانتشر العصب: انتفخ. (١١) كذا فى العقد الفريد، والذنين والذمان: المخاط الرقيق يسيل من الأنف، وفى الأصل: «دنين أذن».

من الزاد . فإن كنتَ تحبّ الحياة فهـذه سبيل الحيـاة ، وإن كنتَ تريد الموت فلا يُبعد الله إلّا مَنْ ظلم نفسَه .

وقال أبو نَهْشَل[1] : كانت لى ابنـة تجلسُ معى على المـائدة فتُبرِز كفًّا كأنها طَلْعة، فى ذراع كأنه جُمَارة، فلا تقع عينها على أكلة نفيسة إلا خَصّتنى بها ، فزوجتُها وصرت أُجلِس معى على المـائدة ابنـا لى فيُبرِز كفًّا كأنها كِرْنافة[2]، فى ذراع كأنه كَرَبة ، فوالله ما إن تسبق عينى الى لُقْمة طيِّبة إلّا سبقتْ يدُه اليها .

وقال بعضهم : غلَبتْ بِطْنتى فِطْنتى .

قال عمرو بن العاص لمعاوية يوم تحكّم الحكمان : أكثروا الطعام ، فوالله ما بَطِن[3] قومٌ قطّ إلا فقدوا بعض عقولهم ، وما مضت عَزْمَةُ رجل بات بطينا .

وكان يقال : أقِلّ طعامًا تحمَد مناما .

الأصمعى قال : كان يقال : ليس لشبعة خير من جوعة تحفِزها .

دعا عبد الملك بن مروان الى الغداء رجلا فقال : ما فى فضل ؛ فقال عبد الملك : ما أقبح بالرجل أن يأكل حتى لا يبقى فيه فضل ! فقال : يا أمير المؤمنين ، عندى مستزاد ، ولكن أكره أن أصير الى الحال التى أستقبحها أميرُ المؤمنين .

وقال لشيخ : ما أحسن أكلك ؟ قال . عملى منـذ ستين سنة .

وقال الحسن : إنّ ابن آدم أسير الجوع ، صريع الشبع .

وسأل عبد الملك أبا الزعيرة[4] فقال : هل تخمتَ قطّ ؟ قال لا ؛ قال : وكيف ذاك ؟ قال : لأنا اذا طبخنا أنضجنا ، وإذا مَضَغنا دقّقنا ، ولا نُكَظّ[5] المعدة ولا نُخليها .

(١) نسب هذه الحكاية ابن خلكان (ج ١ ص ٤٥٦) لأبى الحسن . (٢) الكرنافة : واحدة الكرناف (بالكسر و ضم) وهو أصول الكرب التى تبقى فى جذع النخلة بعد قطع السعف . (٣) البطنة . الكظة وهى امتلاء البطن من الطعام ، ومن أمثالهم : «البطنة تذهب الفطنة» . (٤) كذا فى الأصل . وفى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) «أبا المعور» وقد ورد هذا الاسم فى الطبرى (ص ٧٩١ ، ٨٣٧ من القسم الثانى طبع أوربا) هكذا : «أبا الزعيرة» وفى ابن الأثير (ج ٤ ص ٢٤٩ طبع أوربا : «أبا الزعيرية» . (٥) كذا فى العقد الفريد ، ولا نكظ المعدة : لا نملؤها . وفى الأصل : «ولا نكب» .

وقال الأحنف : جنّبوا مجلسنا ذكر النســاء والطعام، فإنى أُبغض الرجل أن يكون وصّافا لبطنه وفرجه، وإنّ من المروءة أن يتركَ الرجلُ الطعامَ وهو يشتهيه .

الأصمعىّ قال : بلغنى أنّ أقواما لبسوا المَطَارِفَ العِتاق، والعمائم الرِّقاق، وأوسعوا دورَهم، وضيّقوا قبورهم، وأسمنوا دوابّهم، وهزّلوا دينهم؛ طعامُ أحدهم غصب، وخادمه سُخرة، يتّكئ على شمــاله، ويأكل من غير ماله؛ حتى اذا أدركته الكِظّة قال : يا جارية هاتى حاطوما(١)؛ ويلك! وهل تحطم إلا دينك! أين مساكينُك! أين يتاماك! أين ما أمرك الله به! أين أين ! .

قال بعض الحكماء: مدارُ صلاح الأمور فى أربع : الطعام لا يؤكل إلّا على شَهْوة، والمرأة لاتنظر إلا الى زوجها، والملك لا يُصلحه إلا الطاعة، والرعيّة لا يُصلحها إلا العدل.

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أكلَ من سَقَط المــائدة عاش فى سَعَةٍ وعُوفِىَ فى ولده وولد ولده من الحُمْق" .

وقيل لأعرابىّ : أتُحسِنُ أن تأكلَ الرأس؟ قال: نعم، أبْخَصُ(٢) عَيْنيه، وأصحّى(٣) خدّيه، وأفُكّ لَحْيَيه، وأرمِى بالدماغ الى مَنْ هو أحوج منّى اليه . وكانوا يكرَهون أكل الدماغ(٤)؛ ولذلك يقول قائلهم : أنا من قبيلة تُبقى المخّ فى الجماجم .

دِعْبِل قال : يابُنَىّ، لا تأكل أَلْيَة الشاة لأنها طَبَقُ الإست وقريبٌ من الجواعر(٥).

قال بعض الشعراء :

اذا لم أُرَى إلّا لآكُلَ أكْلَةً * فلا رَفَعَتْ يُمْنَى يدىّ طعامى

فما أكلةٌ إنْ تِلْتُها بغنيمةٍ * ولا جَوْعةٌ إن جُعْتُها بغرامِ

(١) الحاطوم : الهاضوم، وهو كل دواء يهضم الطعام . (٢) بخص عينه : أغارها .
(٣) يقال : صحيته أصحاه إذا نشرته . (٤) ومنه قول الشاعر :

ولا يسرق الكلب السروق نعالنا * ولا تتقى المخ الذى بالجماجم

وفسره صاحب اللسان فقال : إنه يمدح قوما بأنهــم لا يلبسون من النعال الا المدبوغة والكلب لا يأكلها ويأنهم لا يستخرجون ما فى الجماجم لأن العرب تعير بأكل الدماغ كأنه عندهم شرّه وتهم .
(٥) الجواعر : جمع جاعرة وهى الدبر .

عبد الملك بن عُمَير عن عمه عن الأصمعيّ قال : لا تخرج يا بُنَيّ من منزلك حتى تأخذ حِلْمَك[1] . يعنى حتى تتغذّى . وقال هلال بن جُشَم[2] :

وإنّ قِرابَ البطنِ يكميك مَلْؤُهُ * ويكفيك سَوءات الأمور اجتنابُها

وقرأت فى الآيين[3] : أن رجلا من حدم دار المملكة أوصى ابنه فقال : إذا أكلتَ فضمّ شَفَتيك، ولا تتلفّتنّ يمينا وشمالا . ولا تتخذنّ خِلالك قَصَبا . ولا تَلْقَمنّ بسكّين أبدا، وإذا كان فى يدك سكّين وأردتَ التقاما فضَمْها على مائدتك ثم التقِم . ولا تجلس فوق مَن هو أسنّ منك وأرفعُ منزلة . ولا تتخلّل بعود آس . ولا تمسح بثيابِ بَدَنِك . ولا تُرِق ماء وأنت قائم . ولا تحْمِر أرضا بأظفارك . ولا تجلس على حائط أو باب أو تكتف عليهما فتُلعَن ، ولا تسترح على أُسْكُفّة[4] فتُجَهَّل ، ولا تَسْتَنْجِ بمَدَر[5] فيورثك البواسير، ولا تَمْتَخِط حيث يُسمَع امتخاطك، ولا تَبصُق فى الأماكن المظلّعة .

وأجلس معاويةُ[6] على مائدته رجلا يؤاكله، فأبصر فى لقمته شَعرة، فقال : خُذ الشعرة من لقمتك ؛ فقال له الرجل : وإنك لتراعيى مُراعاة مَنْ يُبصر الشعرة فى لُقمتى! والله لا أكلتُ معك أبدا! ثم خرج الأعرابىّ وهو يقول :

وللموتُ خيرٌ من زيارة ماخلٍ * يُلاحِظُ أطرافَ الأكِلِ على عَمْدِ

وكان سعيد بن جُبير إذا فرغ من طعامه قال : اللهمّ أشبعتَ وأرْويتَ فهَنّئنا، وأكثرت وأطبتَ فزِدنا .

---

(١) الحلم : العقل ، وعبر بأخذ الحلم بالغذاء لأن الشبع قوام العقل . وفى الأصل : «حلبك بالجيم» .

(٢) تقدم هذا البيت فى باب القناعة والاستعفاف (ص ١٨٤ من هذا المجلد) ضمن أبيات منسوبة لبشار بن برد . وفى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٦٦) وكتاب الحيوان له أيضا (ج ١ ص ١٩٣) نسبت هذه الأبيات نفسها الى هلال بن جشم .

(٣) فى تعليقات كتاب التاج للجاحظ (ص ١٩ طبع بولاق) : الآيين : كلمة فارسية عربها العرب واستعملوها ، ومعناها القانون والعادة .

(٤) الأسكفة : عتبة الباب .

(٥) المدر : التراب المتلبد .

(٦) كذا فى الأصل وكتاب البخلاء للجاحظ (ص ٧٤) . وفى جمهرة المرزبانى (ج ٣ ص ١٣٢٥ طبع ليدن) : «هشام بن عبد الملك» .

الجـــوع والصـــوم

قِيل لبعض الحكماء : أىُّ الطعامِ أطيبُ ؟ قال : الجوعُ أعلم .

وكان يقال : نِعمَ الإدامُ الجوعُ، ما ألقيتَ اليه قَبِلَه .

قال لُقمان لابنه : يابنىّ، كُلْ أطيبَ الطعامِ، ونَمْ على أوطأ الفِراش . يقول : أكثِرِ الصيام، وأطِلْ بالليل القيام .

اشتاق أعرابىّ بالبصرة الى البادية فقال :

أقول بالبصرة لمّا ساءنى شَبَعِى * ألا سبيلَ إلى أرضٍ بها جُوعُ
ألا سبيلَ الى أرضٍ بها عُرُسٌ (١) * جُوعٌ يُصَدَّعُ منه الرأسُ بُرقوعُ (٢)

وقال آخر :

وعادةُ الجوعِ فاعلَمْ عِصمةٌ وغِنًى (٣) . وقـد يزيدُك جُوعًا عادةُ الشَّبَـعِ

العُتبىّ (٤) قال : قلتُ لرجلٍ من أهل البادية : يا أخى، إنى لأعجبُ من [أن] فقهاءكم أظرفُ من فقهائنا ، وعَوامّكم أظرفُ من عوامّنا ، ومجانينكم أظرفُ من مجانيننا ، قال : وما تدرِى لِمَ ذاك ؟ قلتُ لا، قال : [من] الجوع، ألا ترى أن العُود إنما صفا صوتُه لخلوّ جوفه ! .

وقيل لبعض حكماء (٥) الرُّومِ : أىُّ وقتٍ الطعامُ فيه أطيبُ وأفضلُ ؟ قال : أمّا لِمَنْ قَدَر فإذا جاع، وأمّا لِمَنْ لم يَقدِر فإذا وَجَد .

(١) كذا بالأصل، ولعله « عَرَثٌ » (بالعين المهملة والثاء المثلثة) بمعنى الجوع ليناسب ما تمام .
(٢) جوع برقوع (بضم الباء وفتحها) : شديد، ومثل البرقوع البركوع والبَرْقوع (بفتح الباء الموحدة وضمها فى الأوّل وفتح الياء المشاة فى الثانى) والحُنور والحِسار . (٣) فى الأصل : « وعا » .
(٤) رويت هذه الحكاية فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) والزيادات المذكورة هنا عنه .
(٥) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) « بروجمهر » وهو من حكماء الفرس .

ونَظَر أعرابيٌّ الى قومٍ يلتمسون هلالَ شهر رمضان، فقال: أمَا واللهِ لئن أثرتموه لتُمسِكُنّ منه بذُنَابَى عَيْش أعبر[1].

وقيل لآخر: ألا تَصومُ البِيضَ من شعبان! فقال: بين يديها ثلاثون كأنها القَبَاطِيّ[2].

وقيل لمدنيّ: بم تتسحّر الليلة؟ فقال: باليأس من فطور القابلة.

الرِّياشيّ قال: قيل لأعرابيّ: اشرب، فقال: إنى لا أشرب على الثَّمِيلة[3]. وقال:

إذا لم يكن قبل النبيذ ثَرِيدةٌ * مُبَقِّلَةٌ صفراءُ تَعْمُ جميعُها

فإنّ نبيذ الصِّرف إن كان وحدَه * على غير شيءٍ أوجع الكِبْدَ جُوعُها

قَدِمَ أعرابيّ على ابن عمٍّ له بالحَضَر، فأدركه شهرُ رمضان؛ فقيل له: أبا عمرٍو لقد أتاك شهرُ رمضان؛ قال: وما شهرُ رمضان؟ قالوا: الإمساك عن الطعام؛ قال: أبالليل أم بالنهار؟ قالوا: لا، بل بالنهار؛ قال: أفيَرْضَوْنَ بدلا من الشهر؟ قالوا: لا؛ قال: فإن لم أصُمْ فعلوا ماذا؟ قالوا: تُضرَب وتُحبَس؛ فصام أياما فلم يَصْبِر، فارتحل عنهم وجعل يقول:

يقول بنو عمّى وقد زُرتُ مِصْرَهم * تهيَّأ أبا عمرٍو لشهرِ صيامِ

فقلتُ لهم هاتوا جِرَابى ومِزْوَدِى * سلامٌ عليكم فاذهبُوا بسَلامِ

فبادَرتُ أرضًا ليس فيها مُسَيطِرٌ * علىّ ولا مَنّاعُ أكلِ طعَامِ

(١) قد صححنا هذه الجملة عن آخر الحادى عشر من كتاب تذكرة أولى الحدود (ص ١٥١) وقد وردت فى الأصل محرفة هكذا: «لتمسكن منه أدنى عيش أعبر». (٢) القباطىّ: ثياب بيض من كتان كانت تنسج بمصر، شبه بها أيام رمضان. (٣) الثميلة: البقية القليلة من الطعام أو الشراب فى البطن.

وأدركَ أعرابيًّا شهرُ رمضـانَ فلم يَصُمْ ؛ فعذَلَتْه امرأتُه فى الصـوم، فزجَرها وأنشأ يقول :

أتأمُرُنِي بالصّـوم لا دَرَّ دَرُّها . وفى القبرِ صـومٌ يا أُمَيمَ طويلُ

دعا عبدُ الله بنُ الزبير الحسينَ لخضر وأصحابَه، فأكلُوا ولم يأكُلْ ؛ فقيـلَ له : ألا تأكُلُ! فقال : إنّى صَائمٌ، ولكن تُحفةَ الصائمِ؛ قيل : وما هى؟ قال : الدُّهنُ والمِجْمَـــر .

أخبـارٌ من أخبـار الأكَلَة

الأصمعىّ قال : قال رجلٌ : أُحِبُّ أن أُرزَقَ ضِرْسًا طَحُونًا، ومَعِدَةً هَضُومًا، وسُرْمًا[1] نَثُورًا .

عن إسحاق بن عبد الله قال : سمعتُ أنسَ بن مالك يقول : رأيتُ عمـرَ يُلْقَى اليه الصاعُ من التمر فيأكلُه حتى حَشَفَه .

وقال بعضُ الشعراء :

همُّ الكريم كريمُ الفِعلِ يَفْعَلُه * وهمُّ سـعيدٍ بمـا يُلقِى الى المَعِدَهْ

وقيل لرجل رُئِى سمينا : ما أسمنك؟ قال : أكلِى الحارّ، وشربى القارّ، وٱتكائى[2] على شِمَالِى، وأكلِى من غيرمالِى .

وقيـل لآخرَ : ما أسمنك ؟ قال : قِلّةُ الفِكْرَةِ ، وطُولُ الدَّعَةِ ، والنَّـومُ على الكِظَّةِ[3] .

---

(١) كذا فى اللسان مادة (سرم)، والسرم الشرود : الكثير القذف للفضل من المعى . وفى الأصل « وسرما نشورا » .

(٢) فى الأصل « وٱتكال » باللام . (٣) الكظة : التى يعترى الانسان عند الامتلاء من الطعام .

قال الحجّاجُ للغطَمْطَبان بن القَيْعَثَرَى فى حبسه : ما اسمك ؟ قال : القَيدُ والدَّعَةُ، ومَنْ كان فى ضيافةِ الأمينِ فقد سَمِنَ .

وقال آخرُ لرجل رآه سمينا : أرَى عليكَ قَطيفةً من نَسْجِ أضرَاسِك .

وقيل لآخرَ : إنك لحَسَنُ الشَّحْمَةِ لَيِّنُ البَشَرة، فقال : آكُلُ لُبَابَ البُرِّ بِصِغَارِ المَعْز، وأدَّهِنُ بدُهنِ البَنَفْسَج، وألبَسُ الكَتَّانَ .

قيل لمَيْسَرَةَ الأكُولِ وأنا أسمعُ : كَمْ تأكُلُ فى كلّ يوم ؟ قال : مِن مَالى أو مِن مال غيرى؟ قالوا : مِنْ مالك، قال : دُونَان، قالوا : فمن مال غيرك؟ قال : آخُذ وأطْرَح .

والعرب تقول : «العاشِيةُ تَهيجُ الآبِيَةَ» . يريدون أنّ الذى لا يَشتَهِى أن يأكلَ، اذا نظر الى مَن يأكلُ هاجه ذلك على الأكل .

قال جريرٌ :

وبنـو الهُجَيمِ سَخِيفةٌ أحلامُهم * قُطُّ اللِّحَى مُتَشَابِهُـو الألوانِ
لو يَسمَعُونَ بأكلةٍ أو شَرْبَةٍ * بعُمَانَ أصبح جمعُهُم بعُمَانِ
متأبِّطِين بَنِيهِـمُ وبَنَاتِهِـم * صُعرَ الأنوف لِرِيحِ كلِّ دُخَانِ

(١) دوبان : كلمة فارسية ومعناها رعيان . وفى العقد الفريد : «مكوك» والمكوك : مكيال ذكرت فى مقداره عدّة أقوال . (٢) العاشية : التى ترعى بالعشىّ من المواشى وغيرها . والآبية : التى لاتريد العشاء . أى اذا رأت الآبية الإبل العواشى تبعتها فرعت معها . (٣) فى الأصل : « وبنو الهجين » بالنون وهو تحريف ، والتصويب من القاموس وديوان جرير (النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١ أدب ش) . وروى هذا الشطر فى الديوان هكذا :

* إن الهجيم قبيلة مخسوسة *

(٤) قط : جمع أقط ، والأقط : قليل شعر اللحية . (٥) فى الديوان : « متوركين » . (٦) كذا فى الديوان ، وصعر الأنوف : ميلها ، من الصعر وهو الميل . وفى الأصل : « صعب الأنوف » وهو تحريف .

قعـد رجلٌ على مائدة المُعيزه ، وكان منهُومًا ، وجعـل ينهَشُ ويَتعرَّقُ ؛ فقال المعيزهُ : ناولُوه سِكِّينًا ؛ فقال الرجل : كلُّ امرئٍ سِكِّينُهُ فى رأسِهِ .

وقيل لأعرابىّ : مالكم تأكلون اللحم وتَدَعون الثريد؟ فقال : لأن اللحم ظَاعِنٌ والثريدَ باقٍ .

وقيل لآخر : ما تُسَمُّونَ المرَقَ ؟ قال : السِّخِينَ ؛ قال : فإذا بَرَدَ ؟ قال : لا نَدَعُهُ يَبرُدُ .

قال أبو اليَقْظَانِ : كان هِـلالُ بنُ أسـعرَ التَّيمىّ ، من بنى دارِم بن مازِنٍ ، شديدا أكُولًا ، يزعمون أنه أكلَ حـملا إلا ما حَمَل على ظهره منـه . وأكلَ مرّةً فَصِيلًا ، وأكلَتِ امرأتُه فصيلا ، فلما ضاجَعها لم يَصل اليها ؛ فقالتْ : كيف تَصِلُ إلىّ وبينَنا بَعيرانِ ! .

الأصمعىّ قال : دعا عَبّادُ بنُ أخضر هلالَ بن أسعرَ إلى وليمةٍ ، فأكل مع الناس حتى فرَغُوا ، ثم أكل ثلاثَ جِفانٍ تُصنَعُ كلُّ جَفنـةٍ لعشرةِ أنفسٍ ؛ فقال له : أشبِعْتَ ؟ قال لا ، فأتَوْه بكل خبزٍ فى البيت فلم يَشبَعْ ، فبعثُـوا الى الجيران فلما اختلفَتْ ألوانُ الخبزِ علم أنه قد أضَرَّ بهم فأمسكَ ؛ فقالوا : هل لكَ فى تمرٍ شهريزٍ(١) ولبنٍ ؟ فأتَوْه به فأكلَ منه قَواصِرَ(٢) ؛ فقالوا له : أشبِعْتَ؟ قال : لا ؛ قالوا : فهل لك فى السَّوِيقِ؟ قال : نعم ؛ فأتَوْه بجرابٍ ضَخْمٍ مملوء ؛ فقال : هل عندكم نَبِيذٌ؟ قالوا : نعم ؛ قال : أعـدكم تَورٌ(٣) تَغتَسِلُونَ فيه من الجنابةِ ؟ فأُتِىَ به فغسَلَه وصبَّ السَّوِيقَ فيـه وصبّ عليه النبيذَ ، فما زال يفعل ذلك حتى فَنِىَ .

(١) الشهريز (بكسر الشين المعجمة وقد تضم و بالسين المهملة أيضا) : ضرب من التمر ، وفيه وسهاد الاتباع والاصاقة . (٢) القواصر : جمع قوصرة (بتخفيف الراء وتشديدها) : وعاء للتمر من قصب .
(٣) التور : إناء من نحاس أو حجر .

الشَّمَرْدَلُ وكِيلُ آل عمرو بن العاص قال : قدِم سليمانُ بن عبد الملك الطائفَ وقد عُرِفَتْ شجاعتُه(١)، فدخل هو وعمرُ بن عبد العزيز [وأيوبُ(٢) ابنُه بستانًا لعمرو، قال : فقال فى البستان ساعةً ثم قال] : ناهِيكَ بمالِكُم هذا [مالًا(٢)] لولا جِرارٌ فيه! فقلت : يا أميرَ المؤمنينَ، إنها ليستْ بجرارٍ ولكنها جُرُبُ الزّيبِ؛ فجاء حتى ألقى صدرَه على غُصن، ثم قال : ويلكَ يا شمردلُ! أمَا عندك شىء تُطعِمُنِى؟ قلت : بلى والله! إن عندى لَجَدْيًا تغدُو عليه بقرةٌ وتروحُ أخرى؛ قال : ٱعْجَلْ به؛ فأتيتُه به كأنه عُكَّةٌ(٣)، وتشمّر فأكل ولم يَدَعْ ٱبنَه ولا عمرَ حتى أتى فَخِذًا . فقال : ياأبا حفص هَلُمَّ؛ قال : إنّى صائمٌ؛ ثم قال : ويلكَ ياشَمَرْدَلُ ! أمَا عندك شىء؟ فقلت : بلى والله ! دَجاجاتٌ ستٌّ كأنهنّ رِئلانُ(٤) النّعام، فأتيتُه بهنّ، فكان يأخذ رِجلَ الدجاجةِ حتى يُعرِى عظمَها ثم يُلقيها [بفيهِ(٢)] حتى أتى عليهنّ . ثم قال : ويلك ! أمَا عندك شىء؟ فقلت : بلى والله! إن عندى لَخَرِيرةً(٥) كقُراضَةِ الذّهب، فقال : ٱعجَلْ بها؛ فأتيتُه بعُسٍّ(٦) يَعِيبُ فيه الرأسُ، بفعل يَتَلَقَّمُهَا(٧) بيده ويشربُ، فلما فرغ تَجَشّأ كأنه صاحَ فى جُبٍّ؛ ثم قال : ياغلامُ، أفرَغْتَ من غَدَائِنا؟ قال : نعم، قال : وما هو؟ قال : نَيِّفٌ وثمانونَ قِدرًا؛ قال : فأْتِنِى بها قِدرًا قِدرًا؛ فأتاه بها وبقِناعٍ(٨) عليه

---

(١) كذا بالأصل ، وسياق الكلام يأباها ، ولعلها محرفة عن كلمة تدل على معنى الجشع والنهم . (٢) التكملة من العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٣٢) . (٣) العكة : وعاء السمن وهى أصغر من القربة . (٤) الرئلان : أولاد النعام ، واحدها رأل . (٥) كذا فى العقد الفريد ، والخريرة : ضرب من الطعام يتخذ من الدقيق يطبخ بلبن أو دسم ، وفى الأصل «لبيدة» . وفى المستطرف ونهاية الأرب (ج ٣ : ص ٣٥٣) « سويق » . (٦) العس (بالضم) : القدح الكبير . (٧) يتلقمها من تلقم الشىء : أكله بسرعة . وفى العقد الفريد : « يقلمها بيده » . وفى الأصل : « يتلكمه » واللكم فى كتب اللغة : الضرب باليد مجموعة ، ولعل ما أثبتناه أنسب بالمقام . (٨) القناع (بالكسر) : إناء من عُسُل النخل يوضع فيه الطعام .

رُقاقٌ، فأكثرُ ما أكل من قدرٍ ثلاثُ لُقَمٍ وأقلُّ ما أكل لُقمةٌ، ثم مسح يدَه وٱستلقى على فِراشه، وأُذِن للناس ووُضِعت الخوانات[1] فجعل يأكلُ مع الناس .

الخَطّابيّ عن الدَّيْرانيّ أنه قال : إنى لأعرِفُ الطعامَ الذى يأكلُه سُليمانُ، قال : لما ٱستُخلِفَ سُليمانُ قال لى : لا تَقْطَعْ عنّى ألطافَكَ التى كنتَ تُلطفنى بها قبل أن أُستَخْلَف، فأتيته بزِنبيلَينِ أحدُهما بَيضٌ والآخرُ تِينٌ، فقال : لَقِّمْنيه، فجعلت أقشِرُ البيضةَ وأقرِنُها بالتينةِ حتى أكلَ الزّنبيلَينِ .

العُتْبيّ عن أبيه قال : كان عُبيد الله بن زِياد يأكل كلّ يومٍ أربعَ جَرادِقَ[2] أصبهانية وجُبْنًا قبل غَدائه .

وعن سَلْم بن قُتَيبة قال : عَدَدْتُ للحجاج أربعًا وثمانينَ لُقْمَةً فى كلِّ لُقْمَةٍ رغيفٌ من خبزِ الماءِ[3] فيه مِلْءَ كفّه سمكٌ طرِىٌّ .

وكان لعبد الرحمن بن أبى بَكْرَة ٱبنٌ أكولٌ، فقال له [معاوية][4] : ما فعل ٱبنك التُّلْقامة[5]؟ قال : ٱعتلّ، قال : مثلُه لا يَعدَم عِلّةً .

أكل أبو الأسود الدؤلىّ وأقعدَ معه أعرابيًّا فرأى له لَقْمًا مُنكَرًا، فقال له : ما ٱسمُكَ؟ قال : لُقمانُ، قال : صدق أهلُكَ، إنك لُقمانُ .

وُلِدَ لٱبن أبى ليلى علامٌ فعَمِلَ الأخبِصَةَ للجيرانِ، فلما أكلوا قام مُسَاوِرٌ الورّاقُ فقال :

مَنْ لا يُدَسِّمْ بالثريد سِبالَنا[6] * بعد الثّريد فلا هَناهُ الفارِسُ

---

(١) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٣٢) . وفى الأصل : « فوضعت الخوان » .
(٢) الجرادق جمع جردق، والجردق والجردقة (بالدال المهملة) والجرذق (بالذال المعجمة) : الرغيف فارسية معربة . (٣) كذا بالأصل . (٤) التكملة عن كتاب البخلاء للجاحظ (ص ١٦٥ طبع أوربا) وقد ذكرت فيه هذه الحكاية بأوضح مما فى الأصل فراجعه . (٥) التلقامة : العظيم اللقم .
(٦) والسبال : جمع سبلة وهى مجتمع الشاربين ومقدم اللحية .

وقال العُجَيف[1] فى أمّه :

يالَيْتَما أمّنا شالَتْ نَعامَتُها * إمّا الى جَنّةٍ[2] إمّا الى نار
ليستْ بشَبْعَى وإن أسكنتها هَجَرًا[3] * ولا بِرَيّا ولو حَلّتْ بذِى[4] قَارِ
تَلَهّمُ الوَسْقَ مشدُودًا أشِظّتُه[5] * كأنّما وجهَها قد طُلّىَ[6] بالقَارِ
خرقاءُ فى الخير لا تُهدَى لوِجهَتِهِ * وهِى صَنّاعُ الأذَى[7] فى الأهلِ والجارِ

رأى أبو الحارث جُمّيزٌ سَلّةً بين يدىْ رَجلٍ من الملوك، فقال له : جُعِلتُ فِداكَ، أىّ شىء فى تلك السَّلّة؟ فقال : بَظْرُ أُمِّكَ، قال : فأعِضَّنِى به .

قيل للحارثىّ : لم لا تُؤاكِلُ الناس ؟ فقال : لو لم أترُكْ مؤاكلتهم إلا لِتُرُوعِى عن الأسوارى[8] لتركتُها، ما ظَنُّكم برجل نَهَشَ بَضْعَةَ لحمٍ بقَرٍ[9] فانقلعَ ضِرسُه وهو لا يدرِى . وكان اذا أكل ذهبَ عقلُه وجَحِظَتْ[10] عيناه وسَكِرَ وسَدِرَ[11] وتَرَبّدَ[12] وجهُه وغضب ولم يَسْمَعْ ولم يُبصِرْ، فلما رأيتُه وما يعتَرِيه ويعتَرِى الطعامَ منه صِرتُ لا آذَنُ له إلا ونحن نأكل الجَوْزَ والتمرَ والباقِلّى ؛ ولم يَفجَأنِى قطُّ وأنا آكلُ تمرًا الا استَفَّه سفًّا وزَدَا[13] به

(١) نسب هذا الشعر فى شرح ديوان الحماسة (طبعة أوربا ص ٨١٠) الى شخص اسمه «سعد» . ونسب فى شرح شواهد المغنى (٦٧ طبعة مصر) الى من اسمه سعد بن قرين سيار ويلقب بالنحيت الحدرى .

(٢) فى ديوان الحماسة واللسان والمغنى : «أيّما الى جنة أيما الى نار» . (٣) هجر : مدينة بالبحرين مشهورة بكثرة التمر . (٤) ذو قار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة .

(٥) كذا فى الحماسة، والأشظة : جمع شظاظ وهو خشبة عقفاء تدخل فى عروة الجوالق . وفى الأصل «أسربه» وهو تحريف . (٦) كذا فى ديوان الحماسة ، وفى الأصل «مطلو بالقار» .

(٧) كذا فى شرح شواهد المغنى (ص ٦٧ طبع مصر) ، وفى الأصل : «وفى اصطناع الأذى» . وهو تحريف .

(٨) فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٨٢ طبعة أوربا) : « ... ... لو لم أترك مؤاكلة الناس وإطعامهم الا لسوء رعة على الأسوارى لتركته ، وما ظنكم ... الخ ... » . ولعل الصواب : الا لشره على الأسوارى أو نحو ذلك . وفى الأصل هنا : « إلا لنزوعى عن الأسواق » ، والظاهر أن كلمة « الأسواق » هنا محرفة عن « الأسوارى » وهو الشخص الذى يتحدث عنه فى هذا الحديث .

(٩) فى كتاب البخلاء : « فنهش بضعة لحم تمرقا فبلع ضرسه » . (١٠) جحظت عينه : عظمت مقلتها ونتأت . (١١) سدر الرجل : تحير . (١٢) تربد وجهه : تغير .

(١٣) زدا به : رمى به . وفى كتاب البخلاء « وذرا به ذروا » .

زَدْوًا، ولا وجدَه كَنِيزًا[1] إلا وتَناوَلَ القِطعةَ منه بِكُمْجُمَةِ الثَّور كَدَمها[2] كَدْما، ونهشَها طُولا وعرضًا، ورَفعًا وخَفضًا، حتى يأتيَ عليها؛ ثم لا يقعُ عَضُّه إلا على الأنصافِ والأثْلاثِ؛ ولا رَمَى بنَوَاةٍ قطّ، ولا نزَع قِمَعًا[3]، ولا نفَى عنه قِشْرًا، ولا فتّشه مخافةَ السوس والدود.

وقال بعض الشعراء:

تَبِيتُ تُدَهْدِه[4] القَرّانَ[5] حَوْلِى * كأنك عنـد رأسى عُقْرُبانُ
فلو أطعَمتَنى حَمَلًا سمينًـا * شكرتُك والطعـامُ له مكانُ

وقال بعض الأعراب:

وإنّ طعامًا ضمّ كفّى وكفَّها * لعمرُك عندى فى الحياةِ مبارَكُ
فمن أجلهـا أستوعبُ الزادَ كلَّه * ومن أجلها أهوِى يدى فأُدارِكُ

وقال آخر:

عريضُ البِطانِ[6] جديد الخوان * قـــريب المَراث[7] من المـــرتع
فنِصفُ النهـار لِكُرْياسِه[8] * ونِصفٌ لمـــا كله أجمـــع

الأصمعىّ قال: قيل لأعرابىّ: ما يُعجبك من هذا القَنَـد[9]؟ قال: يُعجبنى خَضْدُه وبَرْدُه. قال الأصمعىّ: الخضد: المضغ والأكل الشديد.

(١) الكنيز: التمر يجعل فى قواصر للشتاء. (٢) كدمه كدما: عضه بأدنى فيـه.
(٣) القمع (بكسر ففتح وبالكسر): ما التصق بأسفل التمرة ونحوها حول علاقتها. (٤) تدهده: تدحرج. (٥) القرّان (كشدّاد): القارورة. (٦) كذا فى البيان والتبيين، وأصل البطان: حزام القتب الذى يجعل تحت بطن الدابة، ولعله يريد به كبر بطنه؛ وفى الأصـل: «الخوان». (٧) المراث بفتح الميم: مكان الروث. (٨) كذا فى البيان والتبيين. وفى الأصل «بتر ياسه» وهو تحريف، والكرياس: الكنيف الذى يكون مشرفا على سطح بقناة الى الأرض. (٩) القند: عسل قصب السكر اذا جمد. وقد ورد فى اللسان: «قيل لأعرابىّ — وكان معجبا بالقثاء —: ما يعجبك منه؟ قال: خضده».

قال خالد بن صفوان يوما لجاريته : يا جارية ، أطعمينا جبنا ، فإنه يُشهّى الطعامَ ويَهيج المِعدة ، وهو يُعدّ من حمض العرب . قالت : ما عندنا منه شيء . قال : لأُعلمك إنه والله ، ما علمتُ ، ليَقْدَح فى الأسنان ويستولى على البطن ، وأنه من طعام أهل الذمّة .

كان يقال : اذا كثُرتِ المقْدِرة ، ذهبت الشهوة .

وقال بعض الظرفاء :

زرعنا فلما سلّم اللهُ زرعَنا * وأوفى عليه مِنجلٌ بحَصادِ
بُلِينا بكوفىّ حليفِ مجاعةٍ * أضرّ علينا من دبًى(١) وجرادِ

عن نافع عن ابن عمر قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : " مَنْ دَخَل على غيرِ دَعوة دخل سارقا وخرج مُغيرا ، ومن لم يُجب الدّعوةَ فقد عصى الله ورسولَه " .

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا دُعِى أحدُكم فجاءَ مع الرسولِ فإنّ ذلك له إذنٌ " . وعن مجاهد : أن آبن عمر كان اذا دُعى الى طعام وهو صائم يجيب ، وكان يهيّ اللقمة بيده ثم يقول : كلوا باسم الله فإنى صائم . وعن أسماء بنت رُفَيد قالت : دخلنا على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأُتى بطعام فعرَض علينا فقلنا : لا نشتهيه ، فقال : " لا تجمَعْنّ كذِبًا وجوعًا " .

دعا رجل علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه الى طعام ، فقال : نأتيك على ألّا نتكلّف ما ليس عندك ، ولا تدّخر عما عندك .

وكان يقول : شرّ الإخوان مَنْ تُكُلِّف له .

دعا رجل رجلا الى الغداء ثم قال له : هذه بِكر زيارة ولم نستعدد ، فلعل تقصيرا فيما أُحبّ بلوغَه ، فقال الآخر : حرصُك على كرامتى يكفيك مؤونةَ التكلّف .

(١) الدبى : الجراد قبل أن يطير .

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ : أتانى الزبيرُ[1] بن دَحْمانَ يوما فسألته أن يقيم عنـدى، فقال : قد أرسل إلىّ الفضـل بن الربيع وليس يمكننى التخلُّف عنـه ؛ فقلت له :

أقم يا أبا العـــوّام ويحك نشرب * ونَلْهُ مـع اللاهين يومًا ونَطـــرَب
إذا ما رأيتَ اليـــوم قد جاء خيرُه * فخذه بشكر واترُكِ الفضلَ يَغضبِ

وقال بعض المحدَثين :

نحن قوم متى دُعِينا أجَبْنا * ومتى نُنْسَ يَدْعُنا التطفيل
ونَقُـــلْ علّنا دُعِينا فغِبْنَـا * وأتانا فلم يَجدنا الرســـول

كان طُفَيلُ العرائس الذى يُنسب اليه الطُّفَيليُّون يُوصى أصحابَه فيقول لأحدهم : إذا دخلتَ عُرسا فلا تتلفَّتْ تلفُّتَ المُرِيب، وتخيّرِ المجالس، وأجدّ ثيابك، واعمل على أنها العقدة التى تَشغَل . وإن [كان][2] العرس كثير الزحام فُرّ وانْهَ . ولا تنظر فى عيون أهل المرأة ولا عيون أهل الرجل، فيظن هؤلاء أنك من هؤلاء وهؤلاء أنك من هؤلاء . وإن كان البوّاب غليظا وَقَاحًا فابدأْ به وزُرْه وانْهَه من غير أن تُعنِّف عليه، وعليك بكلامٍ بين النصيحة والإدلال .

عرض رجل على رقبةَ الغداءَ، فقال : إن أقسمتَ علىّ وإلّا فدعنى .

ومن أشعار الطُّفَيليِّين :

دعوتُ نفسى حين لم تدعُنى * فالحمـــدُ لى لا لكَ فى الدّعوهْ
وقلتُ ذا أحسنُ من مَوعِدٍ * إخلافُه[3] يدعو إلى جَفْـــوهْ

(١) كذا فى الأغانى (ح ٥ ص ٧٨ طبع بولاق) ، وفى الأصـل : "يزيد بن دحمان" وهو تحريف . (٢) التكملة عن العقد الفريد (ح ٣ ص ٣٣٧) . (٣) كذا فى نهاية الأرب . وفى العقد الفريد : « مخلفه » . وفى الأصل : « أحلفه » .

وقال آخر :

إذا جاء ضيفٌ جاء للضيف ضَيفنٌ[1] * فأودَى بما تُقرَى الضيوفُ الضّيافِنُ

وقال إسحاق[2] بن إبراهيم الموصلىّ :

نعم الصديقُ[3] صديقٌ لا يكلّفنى * ذبحَ الدّجاج ولا شَىّ الفَراريج

يرضى بلونين من كَشْك ومن عدس * وإن تشهّى فزيتونٌ بطَشّوج[4]

كان سعيد بن أسعد الأنصارى إمام الجامع بالبصرة طفيليّاً ؛ فإذا كانت وليمةٌ سبق الناسَ اليها ، فربما بسَط معهم البُسُطَ وخدم . فقيل له فى ذلك فقال : إنى أُبادر بردَ الماء ، وصفوَ القدور ، ونَشاطَ الخبّاز ، وخلاءَ المكان ، وغفلةَ الذبّان ، وجفافَ المنديل .

وقيل لبعض الطفيليّين : كم آثان فى آثنين قال : أربعة أرغفَةٍ .

باب الضيافة وأخبار البخلاء على الطعام

عن المِقدام[5] أبى كريمة أنه سمع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : "أيّما مسلمٍ[6] ضَافه قومٌ فأصبحَ الضيفُ محروما كان له على كلّ مسلم نَصرُهُ حتى يأخذَ بقِرَى ليلته من زرعِهِ ومالِه" .

---

(١) الصيفن : الطفيلىّ . (٢) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٤١) : « وقال ابراهيم الموصلىّ فى طفيلىّ كان يصحبه » . (٣) فى العقد الفريد : « نعم الديم نديم الخ » . (٤) الطسوج : مقدار من الوزن مقداره حبتان من الدانق ، والدانق أربعة طساسيج . وأراد بالطسوج والدانق قسمتها من الدرهم لا من الدينار لأن الدرهم ستة دوانيق وثمان وأربعون حبة فيكون طسوج الدرهم حبتين ودانقه ثمان حبات (راجع شرح القاموس) . (٥) هو المقدام بن معديكرب وكنيته أبو كريمة . وفى الأصل : « المقدام بن أبى كريمة » وهو خطأ . (٦) رواية الجامع الصغير : "أيما رجل ضاف قوما فأصبح الضيف محروما فان نصره حق على كل مسلم الخ" .

روى ابنُ العَجْلانِ[(١)] عن أبيه قال : قال أبو هريرة : إذا نَزلْتَ برجل ولم يَقْرِكَ فقاتِلْه . عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الخيرُ[(٢)] أسرعُ الى مُطعِم[(٣)] الطّعام من الشَّفْرةِ[(٤)] فى سَنام البعير" .

داود قال : قلت للحسن : إنك تُنفِق من هذه الأطعمة وتُكثر، قال : ليس فى الطعام سَرَفٌ . وقال الثورىّ : ليس فى الطعام ولا فى النساء سرفٌ .

عن أبى هريرة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إنّ مِنَ السُّنّةِ أن يَمشِيَ الرجلُ مع ضَيفِهِ الى باب الدارِ" .

عن عبد الرحمن بن عباس قال : رأيت ابن عباس فى وليمة فأكل وألقى للخبّاز درهما .

الأصمعىّ قال : سُئل أقرَى أهل اليمامةِ للضيف : كيف ضَبَطتم القِرَى؟ قال : بأنا لا نتكلّفُ ما ليس عندنا .

عن بعض النُّسّاك قال : قد أعيانى أن أنزِلَ على رجل يَعلمُ أنى لستُ آكل من رزقه شيئا .

---

(١) فى الأصل : « رؤبة بن الصحاح » وهو تحريف ، اذ أن هذا العلم لم يرد إلا ضمن الشعراء ولم توجد له مناسبة بين رواة الحديث . ولعل ما أثبتناه أنسب ، لأنه ورد فى تهذيب التهذيب : أن العجلان روى عنه ابنه وروى هو عن أبى هريرة .

(٢) كذا فى الجامع الصغير والإبانة فيما جاء فى الصدقة والصيانة لابن حجر الهيتمى . وفى الأصل : « اعجر واسرع » وهو تحريف .

(٣) فى الجامع الصغير : « الى البيت الذى يعشى » وفى الابانة : « الى البيت الذى يؤكل فيه » .

(٤) فى الأصل : « السمرة » بالسين المهملة وما أثبتناه عن الجامع الصغير . والشفرة (بالفتح) : السكين العظيمة العريضة .

عن عَوْن بن عبد الله قال : ضلّ رجلٌ صائمٌ فى عام سنةٍ، فابتُلِىَ برجل عند فطره وقد أُتى بقُرصينِ فألقى اليه أحدَهما، ثم قال : ما هذا بِمُشبِعه ولا بِمُشبِعِى، ولأن يشبَع واحد خير من أن يجوع اثنان، وألقى اليه الآخر. فلما أوَى الى فراشه أتاه آت فقال : سَلْ؛ فقال : أسأل المغفرة؛ قال : قد فُعِل ذلك بك؛ قال : فإنى أسأل أن يُغَاثَ الناسُ .

عن الحسن : أنّ رجلا جَهَده الجوعُ، ففطِنَ له رجلٌ من الأعيان، فلمّا أمسى أتى به رحلَه(٢)، فقال لامرأته : هل لكِ أن تَطوِىَ ليلتَنا هذه لضيفنا ؟ قالت : نعم قال : فإذا قدّمتِ الطعامِ فادْنِى الى السراج كأنك تُصلحينه فأطفئيه، ففعلتْ وجاءتْ بثريدة كأنها قَطَاة فوضعتْها بين أيديهما، ثم دَنَتْ الى السراج كأنّها تُصلحه فأطفأته، فجعل الأنصارىّ يضع يده فى القَصْعة ثم يرفعها خالية؛ فأُطلِع على ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم؛ فلما أصبح الأنصارىّ صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر، فلما سلّم أقبل على الأنصارىّ وقال : "أنت صاحبُ الكلام الليلة"؛ ففزع الأنصارىّ وقال : أىّ كلامٍ يا رسول الله؟ قال : كذا وكذا : قوله لامرأته؛ قال : كان ذاك يا رسول الله؛ قال : "فواللهِ لقد عجِب اللهُ من صُنعِكما الليلة" .

الأصمعىّ قال : كان عمر بن عبد العزيز اذا قدِم عليه بَريدٌ قال : هل رأيت فى الناس العُرُسَات؟ يعنى الخِصبَ للمسلمين .

وقيل لأعرابىّ كان فى مجلسٍ : فيم كنتم؟ قال : كنّا فى قِدْر تفور(٣)، وكأسٍ تدور، وغِناء يصور(٤)، وحديث لا يخور .

---

(١) فى الأصل : «صاما» . (٢) رحله : منزله . (٣) يصور : يصوّت .
(٤) لا يخور : لا يضعف .

بلغنى أن محمد[بن خالد](١) بن يزيد بن معاوية كان نازلًا بحَلَب على الهَيْثَم بن يزيد التَّنُوخىّ(٢)، فبعث الى ضيف له من عُذْرة فقال: حَدِّثْ أبا عبد الله ما رأيتَ فى حاضرة المسلمين من أعاجيب الأعراس، قال: نعم، رأيتُ أمورا مُعْجبة: منها أنى رأيت قرية(٣) عاصم ابن بكر الهلالىّ، فإذا أنا بدُورٍ متباينة، واذا أخصاصٌ مُنظَّمٌ بعضها الى بعض، واذا بها ناس كثيرٌ مُقبِلون ومُدبِرون وعليهم ثياب حَكَوْا بها ألوانَ الزَّهْر، فقلت لنفسى: هذا أحد العِيدين الأضحى أو الفِطر؛ ثم رجع إلىّ ما عَزَب عنّى من عقلى، فقلت: خرجت من أهلى(٤) فى عَقِبِ صَفر وقد مضى العِيدان قبل ذلك؛ فبينا أنا واقفٌ ومُتعجِّب أتانى رجل فأخذ بيدى [فأدخلنى دارا(٥) قَوْراء] وأدخلنى بيتا قد نُجِّدَ فى وجهه فُرُش قد مُهِّدت وعليها شابّ ينال فروعُ شعره كَتِفَيْه، والناس حوله سِمَاطَانِ(٦)؛ فقلت فى نفسى: هذا الأمير الذى يُحكى لنا جلوسُه وجلوس الناس حولَه، فقلت وأنا ماثلٌ بين يديه: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته؛ فجَذَب رجلٌ بيدى وقال: اجلس فإن هذا ليس بالأمير؛ فقلت: ومن هو؟ قال: عَرُوس؛ قلت: وَاثُكْلَ أُمّاه! رُبَّ عروسٍ رأيتُ بالبادية أهْوَنُ على أصحابه من هَنِ أمِّه؛ فلم ألْبَث إذ دخلت الرحالُ عليها هَنَاتٌ مدوّراتٌ من خشب وقُضْبان، أمّا ما خَفَّ فيُحْمَلُ حملًا، وأمّا ما ثَقُل فيُدَحْرَج، فوُضِعَتْ أمامنا وتحلّق القوم حلَقا حلَقا، ثم أُتِينا بخِرَقٍ بِيض

(١) الكلمة عن كتاب الأغانى (ج ١٢ ص ٣٥ طبع بولاق)، وقد ورد فيه هذا الخبر بتوسع عما هنا وذكر اسم الأعرابى الذى رواه وأورد له ترجمة خاصة، وهو ناهض بن ثومة بن نصيح وكان شاعرا بدويا فصيحا من شعراء الدولة العباسية. وذكر أنه كان بدويا جافيا كأنه من الوحش طيب الحديث، يقدم البصرة فيكسب عنه شعره وتؤخذ عنه اللغة، روى عنه الرياشىّ وأبو سرائة وحماد وغيرهم من رواة البصرة. وقد وردت فى الأصل كلمات محرفة صححناها عن الأغانى ونبهنا عليها فى مواضعها. (٢) فى الأغانى: «النحوى». وفى العقد الفريد: «الهيثم بن عدى». (٣) فى الأغانى: «فمررت بقرية يقال لها قرية بكر بن عبدالله الهلالىّ». وفى العقد الفريد: «قرية بكر بن عاصم الهلالى». (٤) فى الأغانى: «خرجت من أهلى فى بادية البصرة فى صفر». (٥) الزيادة عن الأغانى. وقوراء: واسعة. (٦) سماطان: صفان.

فألقيتْ بين أيديا، فظننتها[1] ثيابا وهممت عندها أن أسأل القوم خِرقًا أقطعُ منها قميصا، وذلك أنى رأيت نَسْجًا مُتلاحِكا[2] لا تبين له سَدًى ولا لُحْمَة؛ فلما بسَط القومُ أيديهم إذا هو يتمزّق سريعًا وإذا هو [فيما زعموا][3] صِنف من الخبز لا أعرفه. ثم أُتيا بطعامٍ كثيرٍ من حلوٍ وحامضٍ وحارٍّ وبارد، فأكثرتُ منه وأنا لا أعرف ما فى عَقبه من التُّخَم والبَشَم. ثم أُتيا بشرابٍ أحمر فى عِساس[4]، فلما نظرت اليه قلت: لا حاجة لى فيه، أخاف أن يقتلنى. وكان فى جانبى رجلٌ ناصحٌ لى — أحسن الله جزاءه — كان ينصح لى من بين أهل المجلس، فقال: يا أعرابىّ، إنك قد أكثرتَ من الطَّعام، وإن شربتَ الماء انتفخ بطنُك — فلما ذكر البطن تذكرتُ شيئا كان أوصانى به [أبى و][3] الأشياخ [من أهلى][3]: فالوا: لا تزال حيًّا ما دام شديدا (يعنى البطن) فإذا اختلف فاوصِ — فلم أزل أتداوَى به ولا أمَلُّ من شربه، فتداخلنى — نالك الخير — صَلَف[5] لا أعرفه [من نفسى، وبكاء لا أعرف سببَه ولا عهدَ لى بمثله، واقتدارٌ على أمرٍ أظن معه أنى لو أردت نيلَ السقف لبلغتُه ولو شاءتُ الأسَد لقتلتُه، وجعلتُ ألتفت الى الرجل الناصح لى فتحدّثنى نفسى][6] بهَتْم أسنانه وهَشْم أنفه، وأهُمّ أحيانًا بأن أقول له: يابن الزانية؛ فبينا نحن كذلك إذ هجم علينا شياطينُ أربعةٌ:

---

(١) كذا فى الأغانى. وفى الأصل: «فألقيت عليها فهممت الخ». (٢) متلاحكا: متداخلا بعضه فى بعض تداخلا شديدا. (٣) زيادة عن كتاب الأغانى. (٤) كذا فى العقد الفريد (ج٢ ص١٢٦)، والعساس: جمع عُس بالضم وهو القدح الكبير. وفى الأصل: «عساف»، والعسف: القدح الضخم، ولم يرد هذا الجمع فى كتب اللغة والوارد فيها عسوف. (٥) كذا فى الأغانى. وفى الأصل: «حلف» وهو تحريف. (٦) العبارة المحصورة ما بين المربعين وردت فى الأغانى. وفى الأصل: «لا أعرفه وبق فى نفسى لا عهد لى به وأشكل علىّ أمرى، وكان الى جانبى الرجل الناصح لى، فجعلت نفسى تحدّثنى الخ».

أحدهم قد عَلَّق فى عُنقه جَعْبة فارسية مُشَنَّجَة(١) الطرفين دقيقة الوسط قد شُبِحَت(٢) بالخيوط شَبْحا منكرا، وقد أُلبستْ قطعةَ فَرْو كأنهم يخافون عليها القُرّ . ثم بَدَر الثانى فاستخرج من كُمّه هَنَة [سوداء](٣) كَفَيْشَلة الحمار فوضع طَرَفها فى فيه فصرَط فيها فاستتمّ بها أمرَهم، ثم حَسَب(٤) على جِحْرة فيها فاستخرج منها صوتا ملائما مشاكلا بعضُه بعضا [كأنه — علم الله — ينطق](٣) . ثم بدر الثالثُ عليه قميص وَسِخ وقد غرق شعره بالدُّهْن معه مرآتان بفعل يَمْرِى إحداهما على الأخرى مَرْيا . ثم بدر الرابع عليه قميصٌ قصير وسراويلُ قصير وخُفّان أجذمان لاساقين لهما، بفعل يَقْفِز كأنه يَثِب على ظهور العقارب ، ثم التبط بالأرض، فقلت : معتوه وربِّ الكعبة ! ثم ما بَرِح مكانَه حتى كان أغبطَ القومِ عندى ، ورأيت الناس يحذِفونه بالدراهم حَذْفا منكرا . ثم أرسلت الينا النساءُ أن أمتِعونا من لهوكم ، فبعثوا بهم إليهن وبقيت الأصوات تدور فى آذاننا . وكان معنا فى البيت شابٌّ لا آبَهُ له ، فعلَت الأصواتُ له بالدعاء، فخرج بخاء بخشبة عينُها فى صدرها فيها خُوَيْطاتٌ أربعة، فاستخرج من جنبها عُودا فوضعه على أُذنه، ثم زمّ الخيوطَ الظاهرةَ، فلما أحكَمها وعَرَك آذانَها حرّكها بِجَسّة(٥) فى يده، فنطقتْ وربِّ الكعبة ! وأذاهى أحسنُ قَينة رأيتها قطُّ، [وغنّى عليها](٣) فاستخفّنى

---

(١) التشنج : التقبض ، وفى الأغانى : « مسحة » بالسين المهملة ، ومعناه : مخططة ، وكلا المعنيين هنا غير واضح ، وفى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٢٦) : مفتحة الطرفين . ولعل صواب الكلمة « مسمحة الطرفين » لوضوح المعنى بها ولمطابق وصف الوسط بالدقة . والظاهر أن الأعرابىّ يصف بهذا الوصف الآلة المعروفة عندنا الآن بالكنتيا . (٢) كذا فى الأغانى . وشبحت : شدّت . وفى الأصل : « قد سبحت بالخيوط سبحا منكرا » . وفى العقد الفريد : « شبكت » . (٣) زيادة فى الأغانى .

(٤) يريد : حرك أصابعه على ثقوب هذه الهنة ، وهى المزمار ، كما يصنع الحاسب حين يعد بأصابعه . وعبارة الأغانى : « ثم حرك أصابعه ... الخ » . (٥) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : « قشة » وهو تحريف .

فى مجلسى حتى قمتُ فجلستُ بين يديه، فقلت: بأبى أنت وأمّى! ما هذه الدابّة؟[1] [فلعلّ[2] أعرفها] للأعراب وما خلقتْ إلا حديثا! فقال: يا أعرابىّ، هذا البَرْبَط الذى سمعتَ به؛ فقلت: بأبى أنت وأمى! فما هذا الخيط الأسفل[3]؟ قال: زير؛ قلت: فما الذى يليه؟ قال: مَثْنى؛ قلت: فالثالث؟ قال: المَثْلَث؛ قلت: فالرابع؟ قال: البَمّ؛ قلت: آمنتُ بالله أوّلا وبالبمّ ثانيا.

وقال الخُرَيمىّ:

أُضاحِك ضَيْفى قبل إنزالِ رَحْلِهِ * ويُخْصِب عندى والمَحَلّ جَدِيبُ
وما الخِصْبُ للأضيافِ أنْ يَكْثُرَ القِرَى * ولكنّما وجهُ الكريم خَصِيبُ

وقال أَرْطاة بن سُهيّة:

وإنّى لَقَوّامٌ الى الصيف مَوْهِنًا * اذا أَغدف السِّتْرَ البخيلُ المُوَاكِلُ[4]
دعا فأجابتْه كلابٌ كثيرةٌ * على ثقةٍ منّى بما أنا فاعِلُ
وما دُون ضَيْفى من تِلادٍ تَحُوزُهُ * إلَىّ النفسُ إلا أن تُصانَ الحلائِلُ

آخر[5]:

إذا نزل الأضيافُ كان عَذَوْرًا[6] * على الأهلِ حتى تَسْتقِلّ مَرَاجِلُهْ

يقول: يُسَوِّئُ خُلقه حتى يُطعِم أضيافَه، لإعجابه إياهم ولخوف تقصيرٍ يكون منهم.

(١) كذا فى الأغانى. وفى الأصل «الداهية». (٢) زيادة عن كتاب الأغانى.
(٣) كذا فى الأغانى. وفى الأصل: «ما هذه الخيوط السفلى». (٤) المواكل: العاجز الذى يكل أمره الى غيره ويتكل عليه. (٥) الشعر لزينب بنت الطثرية ترثى أخاها يزيد وقيل إنه لغيرها. (راجع الشعر فى الأغانى ج ٧ ص ١٢٣). (٦) العذور: السىّء الخلق القليل الصبر فيما يريده ويهم به.

وقال دِعبِل[1] :

وإنّى لعبدُ الضيفِ من غيرِ ذِلّةٍ * وما فىَّ إلا تلك من شِيمةِ العبـدِ

وقال آخر[2] :

لَحَافِى لحافُ الضّيف والبيتُ بيتُه * ولم يُلْهِنِى عنـــه الغزالُ المُقَنَّـــعُ[3]

أحَدِّثُهُ، إن الحـديث من القِرَى * وتعـلمُ نفسى أنه ســـوف يَهْجَعُ

وقال الفرزدق فى العُذافر :

لَعَمْرُكَ ما الأرزاقُ يوم اكتيالِهـا[4] * بأكثرَ حيراً من خِوَانِ عُذَافِرِ

ولو صافَه الدّجّال يلتمِسُ القِرَى * وحَلَّ على خَبّـازه بالعساكر

بعِدّةِ يأجوجٍ ومأجوجَ كُلِّهـــم * لأشـــبعهم يومًا[5] غَدَاءُ العُـــذَافِرِ

وقال مِسْكِين الدارِمىّ :

نارِى ونارُ الجارِ واحدةٌ * وإليهِ قَبْـــلِى تُنْزَلُ القِدْرُ

ما ضَرَّ جارًا لى أجاوِرُهُ * ألّا يكونَ لِبابِهِ سِـــتْرُ

صاف رجلٌ من كَلْب أبا الرِّمْكاء الكلبىّ، ومع الرحلِ فَضْـلة من حِنْطة، فراحَتْ مِعْزَى [أبى] الرِّمْكاء، فحَلَبَ وشَرِب، ثم حلب وسَقَى أبَنَه، ثم حلب وسَقَى

(١) ذكر أبو الفرج فى الأغانى هذا البيت ضمن أبيات منسوبة الى قيس بن عاصم المقرىّ (انظر الأغانى فى ترجمته ج ١٢ ص ١٥٠ طبع بولاق). وكذلك رواه المبرد فى الكامل له أيضا (ص ٣٣٤ — ٣٣٥ طبع أوربا) وقد رواه :

وإنى لعبد الضيف ما دام ثاويا * وما من حلالى غيرها شيمة العبد

وفى شرح الحماسة (ص ٥٢٥) أنه للقنع الكندى من أبيات مفتوحة الروىّ. (٢) هو عتبة بن حبيب وقيل مسكين الدارمى، انظر شرح أشعار الحماسة (ص ٧٥٠ طبع أوربا) وص ٢٢٣ من المجلد الثانى من هذا الكتاب. (٣) يريد بالغزال المقنع امرأته. (٤) كذا فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٤٩ طبع أوربا). وفى الأصل : «حين اتكالنا». (٥) فى كتاب البخلاء «شهرا».

امرأته ؛ فقال الرجل : ألَا تسقُون ضيفكم ؟ فقال أبو الرِّمْكاء : ما فيها فضل ؛ فاستخرج الرجلُ مافي عِكْمِه[1] من طعام وقال : هل من رَحًى؟ فأسرعوا بها نحوه ، فطحَنَ وعجَنَ وأوقد خبزتَه وأخرجها فنَفَضها ، فاذا رسول أبي الرمكاء يقول : يقول[2] لك أبو الرمكاء : لا عهدَ لنا بالخبز ؛ فقال الرجل : ما فيها فضل ، ثم أكل وارتحل ، وقال :

بات أبو الرمكاء لم يَسْقِ ضيفَه * من المَحْض ما يَطْوِى عليه فيَرْقُدُ
فقمتُ الى حَنَّانةٍ فوق أختِها * ونارٍ وباتتْ وهى تورَى وتوقَدُ
فلما نفضتُ الخبزَ بالعودِ أقبلت * رسائل تشكو[3] الجوع والحيُّ سُهَّدُ
وقال أبو الرمكاء بالخبز عهدُه * قديمٌ له حولٌ كريبٌ[4] مُطَرَّدُ
فقلت ألَا لافضلَ فيها لناحلٍ * ولا مَطْمعٌ حتى يلوح لنا الغَدُ
فباتَ أبو الرمكاء من قَرْطِ رِيحها * يَئِنُّ كما أنّ السليمُ المُسَهَّدُ

ذكر أعرابىّ قوما فقال : ألفَوْا من الصلاة الأذانَ ، مخافة أن تسمعه الآذان ، فيَهُلّ عليهم الضِّيفان .

وقال بعضهم فى ذلك :

أقاموا الدَّيْدَبانَ على يَفَاعٍ * وقالوا لا تَنَمْ للدَّيدَبانِ
فإنْ أبصرتَ شخصًا من بعيدٍ * فصَفِّقْ بالبنان على البنانِ
تراهم خشيةَ الأضيافِ خُرْسًا * يُصَلُّون الصلاةَ بلا أذانِ

---

(١) العكم : ما يبسط من الثياب ويجعل فيه المتاع .
(٢) فى الأصل : « قال » .
(٣) فى الأصل : « تشكى » .
(٤) كريب : مكروب اشتدّ عليه الهم .

وقال زياد الأعجم :

وتُكْعِمُ[1] كلبَ الحيّ من خَشْيةِ القِرَى * وفِـذْرُكَ[2] كالعَذْراء من دونها سِتْرُ

وقال آخر :

وإنّى لَأجفو الضيفَ من غير عُسْرةٍ * مخـافةَ أن يَضْرَى[3] بنـا فيعودُ

وقال آخر :

أعددتُ للضِّيفان كلبا ضاريًا * عندى وفضلَ هِرَاوةٍ من أرزَنِ[4]

ومَعَاذِرًا كَذِبًا ووجهًا باسرًا * مُتَشَكِّيًا عَضَّ الزمانِ الألزَنِ[5]

رأى رجلٌ الحُطَيْئةَ وبيده عصا، فقال : ما هذه ؟ قال : عَجْراء من سَلَمٍ ، قال : إنى ضيف، قال : للضِّيفان أعددتُها .

وقال آخر[6] :

وأُبغِضُ[7] الضيفَ ما بى جُلُّ مأكلِه * إلّا تَنَفُّخَه حـولِى إذا قَعَـدَا

ما زال ينفُـخ جنبيه[8] وجَبْـوتَه * حتى أقولَ لعلّ الضـيفَ قد وَلَدَا

وقال حُمَيْدٌ الأرقطُ يذكر ضيفًا :

إذا ما أتانا واردُ المصرِ مُرمِلًا[9] * تأوّبَ[10] نارِى أصفرَ[11] العقل قافلُ[12]

فقلتُ لعبـدى عَجِّلَا بعَشَـائه * وخيرُ عَشاءِ الضيفِ ما هو عاجلُ

---

(١) كعم الكلب : شدّ فاه بالكمام لئلا يعبح فيبه الأضياف . (٢) فى اللسان : «وبارك» .

(٣) يضرى بنا : يولع بنا ويعتاد . (٤) الأرزن : شجر صلب تتخذ منه العصىّ . (٥) الزمان الألزن : الشديد الكلب . (٦) هو حميد الأرقط كما فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) . (٧) رواه فى العقـد : « لا أبغض » . (٨) كذا فى العقد الفريد . وفى الأصـل « ينفح كتفيه » .

(٩) المرمل : الذى نفد زاده . (١٠) تأوّب : جاء أوّل الليل ويقال : تأوّب وتأيبه على المعاقبة اذا أتاه ليلا . (١١) كذا فى الأصل . (١٢) القافل : اليابس الجلد وقيل : اليابس اليد .

فقال وقد ألقى المَرَاسِىَ للقِرَى * أبْن لِي ما ٱلمجّاج بالناس فاعل
فقلت لَعَمْرِى ما لهذا طَرَقْتَنا * فكُلْ ودَعِ الأخبارَ ما أنت آكلُ
تُجَهِّز كَفَّاهُ فيحْـدُرُ حَلْقَه * إلى الزَّورِ ما ضَمَّتْ عليه(١) الأناملُ
أتانا ولم يَعْدِلْه(٢) سَحْبانُ وائلٍ * بيانًا وعلمًا بالذى هو قائلُ
فما زال منه اللُّقمُ حتى كأنه * من العِىّ لما أن تكلَّمَ(٣) باقلُ

وقال أيضا فى نحو ذلك :

ومُرمِلين على الأقتاب برّهم * حقائب وعباءٌ فيه بعرين(٤)
مقدّمين أُنوفًا فى عصائبهم * فُجْنًا، ألَا جُدِعَتْ تلك العرانينُ
يُسَطِّرون لنا الأخبارَ إذ نزلوا * وكلُّ ما سطّروا لِلقِيم تمكينُ
باتوا وجُلتنا الصهباءُ(٥) بينهمُ * كأنّ أظفارَهم فيها سكاكينُ
فأصبحوا والنَّوَى عالى مُعَرَّسِهم * وليس كُلُّ النوى تُلقى المساكينُ

(١) فى الأصل : «إليه»، وورد هذا البيت فى اللسان مادّة «بقل» :

تذيل كفاه ويحدر حلقه * الى البطن ما ضمت عليه الأمامل

وقال : التذييل : تعليم اللقمة عند الأكل. (٢) سحبان : اسم رجل من ربيعة من بنى مكرس وائل، كان لسنا بليغا يضرب به المثل فى البيان والفصاحة. (٣) باقل : اسم رجل من ربيعة يضرب به المثل فى العىّ. قال الليث : بلغ من عىّ باقل أنه كان اشترى طيبا بأحد عشر درهما، فقيل له : بكم اشتريت الطيب ؟ ففتح كفيه وفرق أصابعه وأومأ لسانه — يشير بذلك الى أحد عشر — فاعلت الطيب وذهب ؛ فضربوا به المثل فى العىّ. (٤) كذا بالأصل. (٥) كذا فى كتاب سيبويه (ج ١ ص ٣٥ طبع بولاق). والجلة : قفة التمر تتخذ من سعف النخل وليفه، فلذلك وصفها بالصهبة. وفى الأصل : «باتوا وجلتنا السهرين بينهم». ولعله محرّف عن : «باتوا وجلتنا السهريز بينهم * والسهريز (بالسين المهملة والشين المعجمة) : ضرب من التمر. (٦) يعنى لما أصبحوا ظهر على معرسهم — وهو موضع نزولهم آخر الليل — نوى التمر وعلاه لكثرته، على أنهم لحاجتهم لم يلقوا الا بعضه ؛ وهذا إشارة الى كثرة ما قدّمه لهم منه وكثرة أكلهم له.

وقال أيضا فى نحو ذلك :

وعاوٍ عَوَى والليـلُ مُستحلِسُ النَّدَى * وقـد جَمَعَتْ للعَوْرِ تاليـةُ النجم (١)
فسلَّمَ تسـليمَ الصَّـديقِ ولم يكـنْ * صـديقًا لنـا إلا ليـأسَ باللَّقيم (٢)
فقلت له والنـارُ تأجج صـدرَه * لَقمتَ لِسَمْتٍ أم سَرَيْتَ على عـلِم (٣)

وقال بعض الرُّجّاز :

بَرَّحَ بالعيس خَطَّابُ (٤) الكُثَبْ * يقـول إنّى حاطبٌ وقـد كَذَبْ
وإنمـا يَطلبُ عُسًّا مِنْ حَلَبْ *

وقال آخر :

إنى لمثلكمُ من سـوء فعلكمُ * إن رزتُكم أبدًا إلّا معى زادِى

وقال حمّاد عَجْرَد :

حُرِمْتُ أبو الصَّلت دُو خِبْرِهِ * بما يُصلِحُ المِعْدَةَ الفاسـدهْ
تخـوَّفَ تُخْمَـةَ أضـيافِه * فعَـوَّدهم أكلةً واحـدهْ

عن قَتَادة قال : قال زيادٌ لغَيلان بن خَرَشَـة : أُحِبُّ أن تُحَدِّثنى عن العرب وجُهْدِها وضَنْكِ عيشها، لِنَحْمَدَ الله على النِّعمة التى أصبحنا بها؛ فقال غَيْلان : حدّثنى

(١) مستحلس الندى متراكمه يعلو بعضه بعضا لكثرته . وجمعت للعور . مالت للغيب . وتالية النجم : إحدى ناليات النجوم وهى أواخرها . (٢) فى الأصل «بالأيس» وما أثبتناه هو المناسب للسياق . (٣) السمت : السير على الطريق بالظن، وقيل هو السير الجديد والقصد على غير طريق . (٤) خطاب : كثير التصرف فى الخطبة . والكثب : جمع كثبة (بالضم)، والكثبة من الماء واللبن : القليل منه، يعنى أن الرجل يجىء بقلة الخطبة وإنما يريد القرى . قال ابن الأعرابى : يقال للرجل إذا جاء يطلب القرى قلة الخطبة : إنه ليخطب كثبة . وفى الأصل «حطاب» بالحاء المهملة وهو تحريف . والعس (بالضم) : القدح الكبير، وفى الأصل . «وقسا من حلب» وهو تحريف (انظر اللسان مادتى خطب وكثب) .

عمّى قال : توالتْ على العرب سِنُونَ تسعٌ فى الجاهليّة حَطَمتْ كلَّ شىء، فخرجتُ على بَكْرٍ لى فى العرب. فمكثتُ سبعًا لا أطعَمُ شيئا إلا ما ينالُ منه بعيرى أو من حَشَراتِ الأرض، حتى دَفَعتُ فى اليوم السابع إلى حواءٍ(١) عظيم، فإذا بيتٌ جُحُش(٢) عن الحىّ، فملتُ اليه فخرجتْ الىّ امرأة طُوَالة حُسّانة(٣)، فقالت : من؟ قلت : طارق ليلٍ يلتمس القِرى، فقالت : لو كان عندنا شىء لآثرناك به، والدالُّ على الخير كفاعله، حِسّ(٤) هذه البيوتَ ثم انظُرْ الى أعظمِها، فإن يك فى شىءٍ منها خيرٌ ففيه، ففعلتُ حتى دَفَعْتُ اليه، فرحّب بى صاحبُه وقال : من؟ قلتُ : طارقُ ليلٍ يلتمسُ القِرَى، فقال : يافلانُ، فأجابه، فقال : هل عندكَ طعامٌ ؟ فقال لا، فوالله ما وَقَر فى أذنى شىء كان أشدَّ منه . قال : فهل عندك شراب؟ قال لا، ثم تأوّه فقال : بلى! قد بقّينا فى ضَرْع الفلانة(٥) شيئا لطارقِ إن طَرَقك، قال : فأت به، فأتى العَطَن(٦) فابتعثها . فحدّثنى عمّى أنه شهد فتح أصبهان وتُسْتَرَ ومهرْجان وكُوَرَ الأهواز وفارسَ وجاهه عند السلطان وكثرة ماله وولده، قال : فما سمعتُ شيئا قطُّ كان اشدّ من شَخْبِ تيكَ الناقة فى تلك العُلْبة، حتى إذا ملأها [و] فاضت من جوانبها وارتفعت عليها شِمكرةٌ(٧) بكُمّةِ الشيخ، أقبل بها يَهْوِى نحوى، فعثَرَ بعود أو حجر، فسقطتِ العُلبة من يده، فحدّثنى

(١) الحواء (بالحاء المهملة) : مجتمع البيوت . (٢) جحش : تحى وأبعد عن البيوت .

(٣) طوالة (بالضم) : طويلة القامة . وحسانة (بالضم وتشديد السين) : حسناء الصورة، وهما وصفان تمدح بهما المرأة . (٤) حس هذه البيوت : تعرّف أحوالها .

(٥) فلان وفلانة بغير الألف واللام كناية عن أسماء الآدميين، والفلان والفلانة بالتعريف بهما كناية عن غير الآدميين، تقول العرب : ركبت الفلان وحلبت الفلانة . وفى الأصل : «الفلانية» بزيادة ياء النسبة . (٦) قال الليث : عطن الإبل ومعطنها : ساحها حول وردها، فأما فى مكان آخر فمراح ومأوى . (٧) كذا بالأصل، ولم نوفق الى تحقيقها، وسياق الكلام يقضى أن يكون هذا ما يدل على الرغوة التى تعلو اللبن وقت حلبه .

أنه أُصيب بأبيه وأمّه وولده وأهل بيته فما أُصيب بمصيبةٍ أعظمَ من ذهاب العُلْبة. فلما رأى ذلك ربُّ البيت خرج شاهرًا سيفَه فبعَث الإبلَ ثم نظر الى أعظمها سَنامًا ودفع إليه مُدْيةً وقال : يا عبد الله ٱصْطَلِ وٱحتمِلْ . قال : فجعلت أهوِى بالبَضْعة إلى النار فإذا بلغتْ إناها[1] أكلتُها، ثم مسحتُ ما فى يدى من إهالتها على جلدى وقد كان قَمَل[2] على عظمى حتى كأنه شَنٌّ، ثم شَرِبتُ شَرْبة ماءٍ وخَرَرْتُ مَغْشيًّا علىّ فما أفقتُ الى السَّحَر . وقطع زيادٌ الحديث وقال : لا عليك ألّا تخبرنا بأكثر من هذا، فمن المنزولُ به ؟ قلت : أبو علىّ عامرُ بن ٱلطُّفَيْل .

قال بعض الشعراء يهجو قوما :

وتراهمُ قبل الغداء لَضيفِهم * يتخلّلون صُبابةً للزّاد

وقال آخر[3] :

ٱسْتَبْقِ وُدَّ أبى المُقَا * تِل حين تأكل من طَعَامِهْ
سيَّانِ كَسْرُ رغيفِه * أو كسرُ عَظْمٍ من عِظَامِهْ
فتراه من خوف ٱلتزِيـ * ـلِ به يُروِّع فى منامِهْ
فإذا مررتَ ببابه * فٱحفظ رغيفَك من غلامِهْ

وقال آخر[4] :

صدِّق أليَّتَه إن قال مجتهدًا * لا والرغيف، فذاك البرُّ من قَسَمِهْ
قد كان يُعجبنى لو أنّ[5] غيرتَه * على جراذِقِه[6] كانت على حُرَمِهْ
إن رمتَ قتلته فٱفتُكْ بخُبْزَتِه[7] * فإنّ موقعها من لحمه ودَمِهْ

(١) إناها : نضجها . والاهالة : الشحم المذاب وكل ما ائتدم به من الأدهان . (٢) قمل (كنع وعلم وعنى) : يبس . (٣) فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣١٨ طبعة أولى) نسب هذا الشعر لدعبل . (٤) هو أبو تمام، (أنظر ديوانه : باب الهجاء، قافية الميم) . (٥) كذا فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٩) . وفى الأصل : « لو كان » . (٦) الجراذق : جمع الجرذق بالفتح والذال المعجمة كالجردق بالدال المهملة وكلاهما معناه الرغيف فارسىّ ، معرّب « كرده » بالكاف . (٧) فى الديوان ونهاية الأرب (٢ ح ص ٣١٨ طبعة أولى) : « وإن همت به فافتك بخبزته » .

قلت لرجل كان يأكل مع أبى دُلَف : كيف كان طعامه؟ قال : كان على مائدته رغيفان بينهما نُقْرة جَوْزة؛ وقال :

أبو دُلَف يُضيِّع ألفَ ألفٍ * ويَضرِب بالحُسَام على الرغيف
أبو دلف لمطبخه قُتَارٌ[1] * ولكن دونَه ضربُ السيوف

وقال أبو الشَّمَقْمَق[2] :

رأيت الخبز عزّ لديك حتى * حسِبت الخبز فى جوّ السحابِ
وما روّحتنا لتذُبّ عنا * ولكن خِفتَ مَرْزِئَةَ الذُّباب

وقال دِعبِل :

إنّ مَنْ ضنّ بالكَنيف على الضيـ * ـف بغير الكنيف كيف يجودُ !
ما رأينا ولا سمعنا بحُشّ[3] * قبل هذا لِبَابِه إقليدُ
إن يكن فى الكنيف شىء تخبّا[4] * ه فعندى إن شئت فيه مزيدُ

ولهذا الشعر قِصة قد ذكرتها فى باب الشعراء[5] .

قال أبو محمد : شُوِى لجعفر[6] بن سليمان الهاشمىّ دَجاجٌ فَفُقِدَ فَخِذٌ من دَجاجة، فأمر فنودى فى داره : من هذا الذى تعاطى فعقَر ! والله لا أخبز فى هذا التنُّورِ شهرا أو يُرَدّ! فقال ابنُه الأكبر : أتؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ! .

(١) القتار : الدخان . (٢) أبو الشمقمق هو مروان بن محمد الشاعر، قال هذا الشعر يعيب به طعام جعفر بن أبى زهير وكان ضيفا عنده . انظر كتاب البخلاء للجاحظ (طبع أوربا ص ٧٧) .
(٣) الحش (بتثليث الحاء) : البستان ويكنى به عن بيت الخلاء لما كان من عاداتهم التغوّط فى البساتين، والجمع حشان . والاقليد : المفتاح . (٤) كذا فى الأصل والشعر والشعراء (ص ٥٤١ طبع أوروبا)، ولعله : «تخبيه» . (٥) ذكر المؤلف هذه القصة فى كتابه الشعر والشعراء وهى أن دعبلا كان ضيفا لرجل فقام لحاجته فوجد باب الكنيف مغلقا فلم يتهيأ فتحه حتى أعجله الأمر .
(٦) كذا فى غرر الخصائص (ص ٢٩٨ طبع بولاق) وفيما سيأتى قريبا وهو الصواب، لأنه هو المعروف بالبخل . وفى الأصل : «أبو جعفر» .

قال بعض الشعراء :[1]

يا تاركَ البيت عـــلى الصيف * وهارباً منـــه من الخـــوف
ضـــيفك قـــد جاء بخـــيرٍ له * فارجع فكن صيفاً[2] على الصيف

وقال أبو نُواس[3] :

خبرُ إسمـاعيلَ كالوَشْـ ـي اذا ما شُـــقَّ يُرْفَا
عجبـا من أثر الصـ ـنعة فيـــه كيف يَخفَى
إن رَقّاءك هـــذا * أحـــذقُ الأمة كفّـا
فإذا قابـــل بالصـ ـف من الجَرْدَقِ نصفَا
مثل ما جاء من آلتـ ـنور ما غادر حـــرفَا
أحكم الصنعةَ حتى * لا يُرَى موضعُ إشفى[3]
وله فى المـاء أيضـا ـ عمـــلٌ أبدع طَـــرْفَا
مزجُه العذبَ بمـاءِ الـ * ـبئر كى يزدادَ ضعفَا
فهو لا يشرَبُ مـــنه * مثـل ما يشرب صِرفَا[4]

---

(١) قال هذا الشعر وحل من اليمامة فى مروان بن أبى حفصة الشاعر ، وكان قد نزل عليه ضيفا ، فأحلى مروان له المنزل وهرب منه محافة أن يلزمه قراه فى هذه الليلة ، فخرج الصيف واشترى ما احتاج اليه ثم رجع وكتب اليه بهذا الشعر . انظر المستطرف للابشيهى (ج ١ ص ٢٠٦) (٢) كذا فى العقد والمستطرف ، وفى الأصل " ضمن " بالنون .

(٣) قال هـذا الشعر فى اسماعيل بن نوبخت بعد أن نصب اسماعيل فى محض داره طارمة (بيت من خشب كالقبة ، معرب) واصطبح فيها أربعين يوما ومعه جماعة منهم أبو نواس ، فلعبت بعقته أربعين الف درهم ، ثم قال أبو نواس بعد ذلك هذا الشعر . (٤) انظر هذه الأبيات مع التعليق عليها فى (ج ٢ ص ٣٧) من هذا الكتاب .

عن عبد العزيز بن عمران قال : نزلتُ بِبنتِ [ابن] هَرْمة فقلت : أطعموا لنا حُرورا؛ قالت: والله ما هى عدنا، قلت : فقرة، قالت لا، قلت : فشاة، قالت لا؛ قلت : فدجاجة، قالت لا؛ قلت : فأين قول أبيك :

لا أُتبِعُ العُوذَ[1] بالفِصال ولا * أبتاعُ إلا قريبةَ الأجلِ

قالت : ذاك أفاها . فبلغ ابنَ هَرْمة ما قالت، قال : أشهدُ أنها ابنتى ، وأشهدُ أن دارى لها دون الذكور من أولادى .

قال ابن أبى فَنَنٍ :

لا أشتُمُ الضيفَ ولكنّى * أدعوله بالقُرْب من طَوْقِ
بقُرْبِ مَنْ إن زاره زائرٌ * مات الى الخبز من الشوقِ

دخل على ابنٍ لرجلٍ من الأشراف داخلٌ وبين يديه فَرَارِيجُ، فغطّى الطبقَ بمنديله وأدخلَ رأسَه فى جيبه وقال للداخل عليه : كل فى الجهة الأخرى حتى أفرُغَ من بَخُورى .

وفيما أخبار لعمرُو بن بحرٍ من كتبه قال : دخل رجل على رجلٍ قد تغدّى مع قومٍ ولم تُرفع المائدةُ قال لهم : كُلوا وأجهِزوا[2] على الجرحى . يريد : كلوا ما كُسِر ونِيل منه ولا تَعْرِضوا الى الصحيح .

(١) العود : الحديثات السائح من الطاء والإبل والخيل ، واحدتها عائد مثل حائل وحول . والفصال : جمع فصيل وهو ولد الناقة اذا فصل عن أمه يريد أنه لكرمه لا يمتع العود أولادها بل يذبحها لضيوفه الكثيرين . وفى الأصل وردت هذه الجملة هكذا «لا أمنع العود بالحصال» وهو تحريف . والتصحيح عن أمالى القالى (ج ٣ ص ١١٠ طبع دار الكتب المصرية) . (٢) فى الأصل . «وأجيروا» وهو تحريف وما أثبتناه عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) . وقد وردت هذه الحكاية فيه بأوضح مما هنا . ونصها «قال : ودخلت عليه (يريد عبد الله بن يحيى بن خالد بن أمية) يوما والمائدة موضوعة والقوم يأكلون وقد رفع بعضهم يده فمددت يدى لآكل فقال أجهز على الجرحى ولا تتعرض للأصحاء»

قال : وقال لقوم يؤاكلونه : يزعمون أن خبزى صغار! أىّ ابن زانية يأكل من هذا رغيفين! . قال : ويقول لزائره إذا أطال عنده المكث : تغدّيتَ اليوم ؟ فإن قال نعم، قال: لولا أنك تغدّيتَ لغدّيتُك بطعامٍ طيّبٍ. وان قال لا، قال : لو كنت تغدّيتَ لسقيتُك خمسةَ أقداح . فلا يكون له على الوجهين لا قليلٌ ولا كثير .

وحُكى عن أبى نُوَاس أنه قال : قلت لرجلٍ من أهل خراسان[1] : لِمَ تأكل وحدَك ؟ قال : ليس علىّ فى هذا[2] الموضع سؤال، إنما السؤال على من أكَل مع الجماعة ، لأن ذاك تكلُّف وأكلى وحدى هو الأكل الأصلىّ .

وكنّا عند داود بن أبى داود بواسط أيام ولايته كَسْكَر[3]، فأتته من البصرة هدايا، وكان فيها زِقاقُ دُوشَابٍ[4]، فقسمها بيننا، فكلّما أخَذ ما أُعطِى، غيرَ الحِزَامىّ، فأنكرْنا ذلك وقلنا : إنما يجزَع الحِزامىّ من الإعطاء وهو عدوّه، فأما الأخذ فهو ضالّتُه وأُمنيّتُه؛ فإنه لو أُعطِىَ أفاعىَ سِجِسْتَانَ، وثعابينَ مصر، وجَرّاراتِ[5] الأهواز لأخذها، إذ كان اسم الأخذ واقعا عليها؛ فسألناه عن سبب ذلك، فتعسّر قليلا ثم باح بسرّه وقال : وَضِيعته[6] أضعافُ ربحه، وأخذُه من أسباب الإدبار؛ قلت : أوّلُ وضائعه احتمالُ ثِقَل السُّكْر؛ قال :

---

(١) كذا فى البخلاء وفى الأصل : «منهم» انظر هذه الحكاية فيه ص٢٦ . (٢) كذا فى البخلاء (ص ٢٦) . وفى الأصل : «من» . (٣) كسكر : كورة من كور بغداد وقصبتها واسط ، وهى مشهورة بالمراديع الكسكرية . (٤) كذا فى الأصل ، والدوشاب : نبيذ التمر معرّب ، قال ابن المعتز :

لا تخلط الدوشاب فى قدح * بصفاء ماء طيب البرد

وقال ابن الرومى :

علّى أحمّد من الدوشاب * شربة بعضت قاع الشاب

وفى كتاب البخلاء أنها زقاق دبس ، والدبس : عسل التمر وعصارته من غير طبخ . وقال السمعانى : إنه الدبس بالعربية (انظر شفاء العليل للخفاجى) . (٥) جرارات الأهواز : عقارب بها القتالة . (٦) وضيعته : خسارته وغرمه .

هذا لم يخطُر ببالى قطّ، ولكن أوّل ذاك كِرَاء الحَمّال، فإذا صار الى المنزل صار سببا لطلب العَصيدة والارُزّة والستندفود[(١)]، فإن بعتُه فِرارًا من هذا البلاء صيّرتموني شُهْرة[(٢)]، وإن أنا حبَسته ذهَب فى العَصائد وأشباهِها، وجذَب ذلك شِراءَ السَّمْنِ، ثم جذَب السمنُ غيرَه، وصار هذا الدّوشاب علينا أضرّ من العِيال؛ وإن أنا جعلتُه نبيذًا احتجتُ الى كِراء القُدُور وإلى شِراء الحُبّ[(٣)] والى شراء الماء والى كِرَاء من يُوقِد تحتَه؛ فإن ولّيتُ ذلك الخادمَ أسودَ ثوبُها وغَرّمتنا ثمنَ الأُشْنان[(٤)] والصابون، وازدادتْ فى الطُّعم على قَدْرِ الزيادة فى العمل؛ فإن فسَد ذهبت النفقةُ باطِلا ولم نَستخلِفْ[(٥)] منها عِوضا بوجه من الوجوه، لأن خلّ الدّاذِىّ[(٦)] يَخْضِب اللّحمَ ويغيّر الطّعم ويسوِّد المرَقَة ولا يصلُح [إلا][(٧)] للاصطباغ[(٨)]. وإن سلِم — وأعوذ بالله — وجاد وصفا لم نجد بُدًّا من شربه ولم تَطِب أنفسُنا بتركه؛ فإن قعدتُ فى البيت أشربه لم يُمكن ذلك إلا بترك

---

(١) كذا فى الأصل، وفى البخلاء (ص ٦٧) : « البستندود » ولم نوفق الى معرفته .

(٢) الشهرة : ظهور الشىء فى شنعة . (٣) الحب بالضم : الجرة . (٤) الأشنان : الحمض الذى تغسل به الأيدى . (٥) كذا فى البخلاء، وفى الأصل : « ولم يخلف منها بوجه من الوجوه » . (٦) فى القاموس وشرحه (مادة « دوذ » بمهملة فمعجمة) : الداذى : شراب الفساق وهو الخمر، وهو على صيغة المنسوب وليس بنسب . ثم قال فى مادة « ذوذ » بمعجمتين : والذاذى : نبت له عنقود مستطيل وحبه على شكل حب الشعير يوضع منه مقدار رطل فى الفرق (مكيال) فتعبق رائحته ويجود إسكاره، قال الشاعر :

شربنا من الداذىّ حتى كأننا * ملوك لنا بر العراقين والبحر
فلما انجلت شمس النهار رأيتنا * تولى العنى عنا وعاودنا الفقر

ثم قال شارح القاموس : « ولذا حكم الحذاق باتحاده مع الذى قبله، وكلاهما غير عربى ولا معروف » . واقتصر فى اللسان على « الداذىّ » بمهملة فمعجمة وذكر البيت . (٧) التكملة عن البخلاء .

(٨) كذا فى البخلاء . وفى الأصل : « للاصطناع » .

سُلَاف الفارسىّ المُعَسَّل، والدّحاح المُسَمّن، وحِداء كَسْكَر[1] وفاكهة الجبل والبَقْل الهَشّ والرَّيْحان الغَضّ، عند من لا يَعِيص ماله، ولا تتقطع مادّتُه، وعند من لا يُبالى على أى قُطْرَيه[2] سقط، مع قوت الحديث المُؤْنِس والسّماع الحسن؛ وعلى أنى إن حلستُ فى البيت أشربه لم يكن بُدٌّ من واحد، وذلك الواحدُ لا بُدَّ له من لحْم بدرهم، ونَقْل بطَسُّوح[4]، وريحان بقيراط، ومن أبْزَارٍ للقِدر وحَطَبٍ للوقود؛ وهذا كله غُرْم وشؤم وحِرمان وحُرفة[5] وخروج من العاده الحسنه. فإن كان النديمُ غيرَ موافقٍ فأهلُ السجن أحسنُ حالًا منى، وإن كان موافقا فقد فتح اللهُ على مالى به بابا من التَّلَف، لأنه حينئذ يسير فى مالى كَسَيْرِى فى مال غيرى ممّن هو فوقى. فإذا علِم الصديقُ أن عندى دَاذِيًا[6] أو نبيذًا دَقّ على البابَ دقّ المُدِلّ، فإن حَجَبناه فَبلاء، وإن أدخلناه فشقاء. وإن بدا لى فى استحسان حديثِ الناس كما يَستحسنه [منى][7] مَن أكون عنده، فقد شاركتُ المُسْرِفين، وفارقت إخوانى الصالحين، وصِرتُ من إخوان الشياطين؛ واللهُ تقدّست أسماؤه يقول: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾؛ فاذا صِرتُ كذلك فقد ذهب كسبى من مالِ غيرى، وصار غيرى يكتسب منّى؛ وأما لو ابتُليتُ بأحدهما لم أقُمْ به فكيف اذا ابتُليتُ بأن أُعطِى ولا آخُذ، وبأن أُوكَّل ولا أكُل! أعوذ بالله من الخِذْلان بعد العِصْمة، ومن الحَوْر[8] بعد الكَوْر؛ ولو كان هذا فى الحداثة كان أهون[9]. هذا

(١) كسكر: تقدم فى تعريفها فى صفحة ٢٥٠ من هذا الجزء، أنها مشهورة بالمراريح الكسكرية، ولعلها مشهورة أيضا بجداثها. (٢) القطر: الناحية. (٣) كذا فى الحلاء. وفى الأصل: «قرب». (٤) الطسوح: ربع الدانق. انظر الكلام عليه فى الحاشية رقم ... ص ... من هذا الجزء. (٥) الحرفة: الحرمان. (٦) كذا فى الحلاء. وفى الأصل: «رأسا». (٧) التكملة عن الحلاء. (٨) الحور: النقصان. والكور: الزيادة ومنه الحديث: «نعوذ بالله من الحور بعد الكور». (٩) كذا فى الحلاء. وفى الأصل: «أحسن».

الدُّوشاب دسيسٌ من الحُرفة، وكيدٌ من الشيطان، وحُدعةٌ من الحسود، وهو الحلاوة التى تُعقب المرارةَ . ما أخوَفنى أن يكون أبو سليمان قد ملّنى فهو يحتال لى الحِيلَ ! .

وحُكِى عن الحارثىّ أنه قال : الوَحْدة خيرٌ من جليس السوء، وجليسُ السوء خير من أكيل السوء؛ لأن كل أكيلٍ جليس وليس كل جليس أكيلا؛ فإن كان لا بدّ من المُؤاكلة ولا بدّ من المشاركة فمع من لا يستأثر على بالمخ، ولا ينتهز بيضة البقيلة(١)؛ ولا يلتقم كَبِدَ الدجاج، ولا يُبادر إلى دماغ السُّلاءة(٢)، ولا يختطف كُلْيةَ الجَدْى، ولا يَزْدرِد قانِصة الكُرْكِىّ(٣)، ولا يَنْتَزِع شاكِلةَ الحَمَل(٤)، ولا يتلع سُرّةَ السمك، ولا يَعْرِض لعيون الرءوس، ولا يستولى على صدور الدَّرّاج(٥)، ولا يسابِق إلى أَسْقاط الفِراخ، ولا يتناول إلا [ما](٦) بين يديه، ولا يلاحظ ما بين يدى غيره، ولا يمتحن الإخوانَ بالأمور الثمينة، ولا ينتهك أستارَ الناس بأن يشتهىَ ما عسى ألّا يكون موجودا؛ فكيف تصلُح الدنيا ويطيب العيشُ بمن اذا رأى جَزُورية(٧) التقط الأكبادَ والأسْنِمة، وإذا طاين بقريّة استولى على العِراق(٨) والقِطْنة(٩)، وإن عاين بطنَ

(١) كذا فى البحلاء، وقد أوردها المحبّى فى كتابه « ما يعوّل عليه فى المصاف والمصاف اليه » فقال : « بيضة البقيلة تذكر فى عيون الأطعمة ولا تستحسن المبادرة اليها » . وفى الأصل : « البيضة المقلية » . (٢) السلاءة : واحدة السلاء وهو ضرب من الطير أغبر طويل الرجلين .

(٣) الكركى : طائر يقرب من الإوز أمتر الدبب رمادى اللون فى حده لمعات سود يأوى الى الماء أحيانا . (٤) الشاكلة : الخاصرة . (٥) الدرّاج كرمان : طائر جميل المطر ملوّن الريش، يطلق على الذكر والأنثى . (٦) التكملة عن البحلاء . (٧) كذا فى البحلاء، ويظهر أنها ضرب من الطعام ينسب الى الجزور وهو واحد الإبل يقع على الذكر والأنثى . وفى الأصل : « جررية » والجررة : الشاة السمينة أو ما يذبح من الشاء، وذكر الأسنمة فى الكلام يأباها .

(٨) العراق : ما دون السرة من الحشا معترضا بالمعى . (٩) القطنة : مثل الزمانة تكون على الكرش وهى ذات الأطباق، والعامة تسميها الزمانة .

سمكةٍ آخترق كلَّ شيء فيه، وإن أتوا بجنب شِوَاءٍ آكتسح ما عليه، ولا يرحم ذا سِنٍّ لضعفه، ولا يَرِقُّ على حَدَثٍ لِحِدّة شهوته، ولا ينظر للعيال. ولا يُبَالى كيف دارت الحال. وأشدُّ من كل ما وصفْنا أن الطبّاخ ربما أتى باللون الظريف الطّريف، والعادةُ فى مثل ذلك اللون أن يكون لطيفَ الشخص صغيرَ الحجم، فيقدِّمه حارًّا مُمْتَنِعًا(١)، وربما كان من جوهرٍ بطيءِ الفُتور(٢)، وأصحابُنا فى سهولة آزْدِراد الحارّ عليهم فى طبائع النِّعام، وأنا فى شدّة الحارّ [على](٣) فى طِباع السِّباع، فإن نظرتُ(٤) الى أن يُمكِن أتَوْا على آخره، وإن أنا بادرتُ مخافةَ الفَوْتِ وأردتُ أن أشاركهم(٥) فى بعضه لم آمَن ضررَه؛ والحارُّ ربما قتل وربما أعقَم وربما أبال الدم. قال: وعُوتِب على تركه إطعامَ الناس معه وهو يتخذ فيُكثِر، فقال: أنتم لهذا أتركُ منى، فإن زعمتم أنى أكثرُ مالا وأعدُّ عُدّةً، فليس بين حالى وحالكم من التفاوت أن أُطْعِم أبدا وتأكلوا أبدا، فإذا أتَيتُم من أموالكم من البَذْل على قدْر احتمالكم، علمتُ أنكم الخيرَ أردتم، والى تزيينى ذهبتم، وإلا فإنكم إنما تحلبُون حَلَبًا لكم شَطْرُه(٦).

قال: كان أبو ثُمامة(٧) أفطر ناسًا وفتح(٨) بابَه فكثُر عليه الناسُ، فقال: إن الله لا يَستحى من الحق، وكُلّكم واجبُ الحق، ولو استطعنا أن نَعُمّكم بالبِرّ كنتم فيه سواءً ولم يكن بعضكم أولى به من بعض؛ كذلك أنتم اذا عجَزنا أو بدا لنا، فليس بعضُكم أحقَّ بالحِرمان والاعتذار اليه من بعض، ومتى قرّبتُ بعضَكم وفتحتُ بابى لهم وباعَدتُ الآخرين، لم يكن فى إدخال البعض عذرٌ، ولا فى منع الآخرين حُجّة؛ فآنصرَفوا ولم يعودوا.

(١) كذا فى البخلاء. وفى الأصل: «ممتنعا» وهو تحريف. (٢) كذا فى البخلاء، وفى الأصل: «فى». (٣) التكملة عن البخلاء. (٤) نظرت: انتظرت. (٥) كذا فى البخلاء، وفى الأصل: «أشاركه». (٦) كذا فى الأصل، وفى البخلاء: «والى تزيينى». (٧) فى كتاب البخلاء (ص ٢١٥): «ثمامة». (٨) فى الأصل: «ويفتح».

قال : وكان محمد بن أبي المؤمّل يقول : قاتل الله رجالًا كنّا نؤاكلهم، ما رأيتُ قَصْعةً رُفعت من بين أيديهم إلا وفيها فضلٌ، وكانوا يعلمون أن إحضارَ الجَدْي إنما هو شيء من آيين(١) الموائد الرّفيعة، وإنما جعل كالقافية(٢) وكالخاتمة وكالعلامة(٣) لليسر والفراغ، ولم يُحضَر للتفريق والتخريب، وأن أهلَه لو أرادوا به سوءا لقدّموه لتقع الحِدّة به؛ ولذلك قال أبو الحارث جُمَيْز(٤) حين رآه لا يُمَسّ : هذا المدفوعُ عنه.

ولقد كانوا يتحامَوْن بيضةَ البقيلة، ويدَعُها كلُّ واحد لصاحبه، وأنتَ اليوم اذا أردت أن تُمتّعَ عينيك بنظرة واحدة منها ومن بيضة السُّلّاءة(٥) لم تقدِر على ذلك.

وكان يقول : الآدام أعداءُ الخبز، وأعداها له المالح؛ فلولا أن الله أعان عليها بالماء وطلبِ آكله له لأتى على الحَرْث والنّسل.

وكان يقول(٦) : ما بال الرجلِ اذا قال : اسقِني ماءً أتاه بقُلّة على قدر الرِّيّ أو أصغر، وإذا قال : أطعِمْني شيئا أو هات لفلان طعاما، أتاه من الخبز بما يَفضُل عن

---

(١) كذا في البخلاء، والآيين : العادة، وأصل معناه السياسة المسيرة بين فرقة عظيمة، أعجمي عرّبه المولدون، قال مهيار في قصيدة له :

يجمع الحزبَ حولا أمره * وهو لم يأخذ لها آينها

(راجع شفاء العليل) وفي الأصل : « أمس الموائد » . (٢) في البخلاء : « كالقافية » (٣) كذا في البخلاء . وفي الأصل : « كالعلاوة للشعر » وهو تحريف . (٤) في الأصل والبخلاء : « جمين » بالنون في آخره - وورد في القاموس وشرحه في مادة (ج م ن) : « أبو الحارث حين كقيط المديني، هكذا ضبطه المحدثون بالنون، وهو صاحب النوادر والمراح، والصواب بالزاي المعجمة في آخره، أنشد أبو بكر بن مقسم :

إن أبا الحارث جيزا * قد أوتي الحكمة والميزا

وقد أهمله المصنف (مؤلف القاموس) في حرف الزاي ونبهنا عليه هناك » اهـ . ولهذا رجحنا ذكره بالزاي المعجمة في جميع المواضع التي ورد فيها . (٥) تقدّم تفسيرها قريبا . (٦) كذا في البخلاء، وفي الأصل : « وكان يقال » .

الجمّاعة، والطعامُ والشّرابُ أخوان . أمَا إنه لولا رُخْص المـاء وغلاء الخبز لما كَلِبوا على الخبز وزَهِدوا فى المـاء؛ والناسُ أشـدّ شيء تعظيما للأكول إذا كثُر ثمنُه وكان قليلا فى مَنْبتِه وعُنْصره . هذا الجَزَر الصافى والباقِلاء (١) الأخضر أطيب من كُمَّثْرَى خُراسانَ والمَوْز البُستانى، وهذا الباذِنْجان أطيب من الكَمْأة ، ولكنهم لِقِصر هِمَمهم وأذهانهم فى التقليد والعادة لا يشتهون إلا على قدر الثمن .

وكان يقول : لو شرِب الناسُ المـاءَ على طعامهم لما انْتَخَموا . وذلك أن الرجل لا يَعرِف مِقدارَ ما أكل حتى ينـالَ من المـاء شيئا ، لأنه وبما كان شبعان وهو لا يَدرى . وفى قول الناس : ماءُ دِجلة أمرأ من ماء الفُرات ، وماء مِهْران (٢) أمرأ من ماء [نهر] بَلَخ (٣)؛ وفى قول العرب : هـذا ماءٌ نَمِيرٌ يَصلُح عليه [المـال] دليلٌ على أن المـاء يُمْرِئ (٤)؛ حتى قالوا : إن المـاء الذى يكون عليـه النِّفاطات أمرأ من المـاء الذى تكون عليه القيّارات (٤) . فعليكم بشرب المـاء على الغداء [فان ذلك أمرأ (٥)] .

قال وكان الثّورىّ يقول لعياله : لا تُلقوا نوى التمر والرُّطَب وتعوّدوا ابتلاعَه ، فإن النوى يَعْقِـد الشحمَ فى البطن ، ويُدْفِئ الكُلْيتيْن بذلك الشّحم؛ واعتبروا ذلك ببطون الصَّفَايا (٦) وجميع ما يَعتلِف النّـوى . والله لو حلتم أنفسَكم على قضم الشّـعير وآعتـلافِ القَتّ (٧) لوجدتموها سريعة القَبول ، وقد يأكل النـاسُ القتّ قَدّاحا (٨) ،

(١) الباقلاء (بتخفيف اللام ممدودا وتشـديدها مقصورا) : الفول الواحدة بهـاء أو الواحد والجمع سواء . (٢) مهران : نهرٌ عظيم بقدر دجلة تجرى فيه السفن . (٣) التكملة عن البحلاء (ص ١٠٤) . ونهر بلخ هو جيحون . (٤) كذا بالأصل وكتاب البخلاء . (٥) الزيادة عن كتاب البحلاء . (٦) الصفايا : جمع صفى ، والصفى : الناقة الغزيرة اللبن وكذلك الشاة . (٧) القت : حب برى يأكله أهل البرية عام القحط بعد دقه وطبخه . (٨) قداحا : رطبا قبل أن يجف .

والشعير قريكا، ونوى البُسْر الأخضر، ونوى العَجْوة ؛ وإنما بَقِيتْ عليكم الآن عَقَبة[1]؛ أنا أقدِر أن أبتلع النوى وأُعْلِفه الشاءَ، ولكنى أقول هذا بالنظر لكم .

وكان يقول لهم : كلوا البَاقِلَاء بقشوره ، فإن الباقِلَاء يقول : من أكلنى بقشورى فقد أكلنى، ومن لم يأكلنى بقشورى فأنا آكلُه؛ فما حاجتكم [إلى] أن تصيروا طَعاما لطعامكم، وأكلًا لما جُعِل أكلا لكم .

قال : وحُمّ هو وعيالُه فلم يقدروا على أكل الخبز، فربح أقواتَهم فى تلك الأيام؛ ففرِح وقال : لو كان فى منزلى سوقُ الأهواز ونَطَاة[2] خَيْبر رجوْتُ أن أستفضل فى كل سنة مائةَ دينار .

قال : ودعا موسى بنُ جَنَاح جماعةً من جيرانه [فى شهر رمضان][3]، فلما وُضعت المائدة أقبل عليهم ثم قال لهم : لا تَعْجَلوا ، فانّ العَجَلة من عمل الشيطان . ثم وقف وقفةً ثم قال : وكيف لا تَعْجَلون والله تعالى يقول : ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولًا﴾. اسمعوا ما أقول لكم ، فإن فيه حسن المُؤَاكلة والتبعُّد من الأَشَرة ، والعاقبةَ الرشيدة ، والسيرةَ المحمودة : اذا مدّ أحدُكم يدَه ليستقىَ ماءً فأمسكوا أيديكم حتى يَفرُغ ، فإنكم تجمعون عليه خصالًا : منها أنكم تتغّصون عليه فى شربه ، ومنها أنه إذا أراد اللّحاف نكم فلعلّه يتسرّع إلى لُقمةٍ حارّة فيموت ، وأدنى ذلك أن تبعثوه على الحِرْص

(١) كذا فى البخلاء . وفى الأصل : « أن أقدر أن أبيع النوى » . (٢) كذا فى البخلاء ، ويريد بسوق الأهواز : كورها وهى كثيرة الحمّى ووجوه أهلها مصفرّة مغبرة . ونطاة خيبر : قصبتها وهى مشهورة بالحمى أيضا . قدم أعرابىّ خيبر فقال :

قلت لحمى خيبر استعدى * هاك عيالى فاجهدى وجدّى

وباكرى بصالب وورد * أعانك الله على ذا الجند

ثم ومات وبقى عياله . وفى الأصل : « مظلة خيبر » . (٣) التكملة عن كتاب البخلاء .

وعلى عِظَم اللُّقَم . ولهذا قال بعضهم وقد قيل له : لم تبدأ بأكل اللحم ؟ قال : لأن اللحمَ ظاعنٌ والثريد مقيمٌ . وأنا وإن كان الطعام طعامى فإنى كذلك أفعل ؛ فإذا رأيتم فعلى يخالف قولى فلا طاعةَ لى عليكم . قال بعضهم : فربما نَسِى بعضنا فمدَّ يدَه وصاحبه يشرب ، فيقول له : يدَك يا ناسِى ، ولولا شىءٌ لقلتُ لك : يا متغافِل . قال : فأتانا بأُرْزَّةٍ لو شاء أحدُنا أن يَعُدّ حباتِها لعدّها ، لتفرُّقها وقِلّتها ، وهى مقدار نصف سُكُرُّجة ؛ فوقعتْ فى فمى قطعةٌ ، وكنتُ الى جنبه ، فسمع صوتا حين مَضْغتُها ، فقال : آجرُشْ يا أبا كعب .

قال : وكنا نسمع باللئيم الراضع ، وهو الذى يرضَع الحَلَب فلا يحلُبه فى الإناء لئلّا يُسمع صوتُ الحَلْب — وقال بعضهم : لئلا يضيعَ من اللبن شىءٌ — ثم رأيتُ أبا سعيد المَدائنى قد صنع أعظمَ من ذلك : ارتضع من دَنّ خَلّ حتى فَنِى ولم يخرج منه شىء .

قال : وكان الكِنْدِىّ لا يزال يقول للساكن من سُكّاننا — [وربما قال] للجار — إن فى دارى امرأةً بها حَبَلٌ ، والوَحْمَى ربما أسقطتْ من ريح القِدر الطيّبة ، فإذا طبختم فرُدُّوا شهوتَها بغَرْفة أو بلَعْقة فإن النفسَ يردُّها اليسير ، وإن لم تفعل ذلك وأسقطتْ فعليك غُرّةٌ : عبدٌ أو أَمَة .

---

(١) فى الأصل : «حبتها» بالإفراد . (٢) السكرجة : الصحفة .

(٣) فى الأصل : «وكذا نسمع» . (٤) الحلب (بالتحريك) : اللبن . (٥) التكملة عن كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٨٣ طبع أوربا) . (٦) الغرة : البياض الذى يكون فى وجه الفرس ، والمراد بالغرة هنا العبد الابيض أو الأمة البيضاء . وسمى غرة لبياضه ، فلا يقبل فى الدية عبد أسود ولا جارية سوداء ، وليس ذلك شرطا عند الفقهاء . وإنما الغرة عندهم ما بلغ ثمنه نصف عشر الدية من العبد والإماء .

وقال بعضهم : نَزَلنا دارًا بالكِرَاء للكِنْدِىّ على شروط، فكان فى شَرْطه على السكّان أن يكون له رَوْثُ الدابّة، وبَعَرُ الشاة، ونِشْوَارُ[1] العَلُوفة، وألّا يُخرِجوا عَظْما ولا يُخرِجوا نُحَاسة، وأن يكون له نَوَى التمر، وقشورُ الرمّان، والغَرْفة من كل قِدْر تُطبَخ للحُبْلَى فى بيته، وكان فى ذلك يَتَنَزَّل[2] عليهم، فكانوا لطِيبه وإفراط بخله يحتملون ذلك .

وقال دِعْبِل : أكلنا يوما عند سَهْل بن هارون، فأطلنا الحديث حتى اضطرّه الجوعُ إلى أن دعا بغَدَائه، فأُتِى بصَحْفة عُدْمُلِيّة[3] فيها مَرَق لحم ديك عاسٍ[4] هَرِم ليس قبلها ولا بعدها خَيْرُها ، لا تُحَزّ[5] فيه السكين، ولا تؤثّر فيه الأضراس، فاطّلع فى القَصْعة وقلّب بصره فيها ، فأخذ قطعة خبزٍ يابسٍ فقلّب بها جميع ما فى الصحفة ففقد الرأسَ، فبقِى مُطرِقًا ساعةً، ثم رفع رأسه الى الغلام وقال : أين الرأس؟ قال : رميتُ به، قال : ولِمَ؟ قال : ما ظننتُ أنك تأكله [ولا تسأل عنه[6]] ! قال : ولأىّ شىءٍ ظننتَ ذلك؟ فوالله إنى لأمْقُت من يرمِى برِجْلِه فكيف من يرمى برأسه! والرأسُ رئيس، وفيه الحواسّ الخمس، ومنه يصيح الديك، ولولا صوتُه ما أريد، وفيه عُرْفه الذى يُتَبَرّك به، وفيه عينه التى يُضرب بها المثل فيقال: "شراب كعين الديك[7]"، ودِماغه عجبٌ لوجع الكُلْية، ولن ترى عظما قطُّ أهشَّ من عظم رأسه، فإن كان من نُبْلِ أنك لا تأكله فإنّ عندنا من يأكله. أو ما علمتَ أنه خير من طَرَفِ الجَنَاح ومن الساق ومن العنق! . انظر أين هو . قال : لا والله لا أدرى أين هو، رميتُ به ؛ قال : لكنى أدرِى أنك رميت به فى بطنك، واللهُ حَسْبُك .

(١) النشوار : ما يتبقى من علف الدابة . (٢) يتنزل عليهم : ينزل عليهم ويطرقهم .
(٣) عدملية : قديمة . (٤) العاسى : الذى أسن حتى حفّ وصلب .
(٥) لا تحز : لا تقطع . وفى الأصل : « لا تجر » . (٦) الزيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) (٧) تقول العرب فى أمثالها : «أصمى من عين الديك» .

وحُكى عن رجل أنه قال : مررت ببعض طُرُقات الكوفة، فإذا رجل يُخاصِم جارًا له، فقلت : ما بالُكما تختصمان؟ فقال [أحدهما](١) : لا والله إلّا أنّ صديقا لى زارنى فاشتهى علىّ رأسا، فاشتريتُه وتغدّينا به وأخذت عظامَه فوضعتُها على باب داري أتجمّل بها عند جيرانى، فجاء هذا فأخذها وتركها على باب داره يُوهم أنه اشتراه .

قال : وتناول(٢) رجل من بين يدى أميرٍ من الأمراء بَيْضةً وهو معه، فقال : خذها فإنها بيضة العُقْر(٣)، ولم يأذن له بعد ذلك .

قال : وقُدّمت مائدة لرجلٍ عليها أرغفة على عدد الرءوس ورغيفٌ زائد يوضع على الصَّحَاف، فلما أنفد القوم خبزَهم التفت الى رجلٍ الى جانبه فقال : اِكْسِرْ هذا الرغيفَ وفرِّقْه بينهم، فتغافلَ، فأعاد عليه، فقال : يُبْتَلَى على يد غيرى .

قال المدائنىّ : كان للمُغيرة بن عبد الله الثَّقَفِىّ وهو على الكوفة حَدْىٌ يوضَع على مائدته بعد الطعام لا يَمَسُّه هو ولا غيرُه ، فقدِم أعرابىٌّ يوما فأكل لحمَه وتعرَّق(٤) عِظامَه، فقال، ياهذا، أتطالب هذا البائسَ بذَحْل(٥) ؟! هل نطحتْك أمُّه! قال : وأبيك إنك(٦) لشفيق عليه ! هل أرضعتْك أمُّه ! .

قال المدائنى : كان(٧) لزِياد بن عبد الله الحارثىّ جدى لا يَمَسُّه [أحد](٨) ، فعشّى فى شهر رمضان قومًا فيهم أشعب ، فعرَضَ أشعب يومًا للجدى من بين القوم،

(١) التكملة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) . (٢) جاءت هذه العبارة فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) ضمن الحكاية التى سيرويها المدائنى بعد عن المغيرة بن عبد الله الثقفى والأعرابى الذى قدم عليه . (٣) بيضة العقر : بيضة يبيضها الديك مرة واحدة ثم لا يعود، يضرب مثلا لمن يصنع الصنيعة ثم لا يعاودها . راجع اللسان مادة « بيض » . (٤) تعرق العظم : أخذ ما عليه من لحم . (٥) الذحل : الثأر . (٦) فى الأصل : « إنه لشفيق » .

(٧) فى الأصل : «قال» وكتب فى هامش الأصل الفتوغرافى : «لعله كان» وهو الصواب .

(٨) الزيادة عن كتاب البخلاء (ص ١٦٢ طبع أوربا) .

فقال زياد حين رُفعت المائدة : أَمَا لأهل السجن إمامٌ يصلّى بهم ؟ قالوا : لا ؛ قال : فليُصَلِّ بهم أشعب ؛ قال أشعب : أَوَغيرَ ذلك أيها الأمير؟ قال : وما هو؟ قال : لا آكل لحم جدى أبدا .

قال : وكان المغيرة بن عبد الله الثَّقَفىّ يأكل وأصحابَه تمرا فانطفأ السراج ، وكانوا يُلقونَ النَّوَى فى طَسْتٍ، فسُمِع صوتُ نواتين ؛ فقال : من ذا يلعب بالكعبتين[1] ؟

قال الأعشى[2] :

تبيتون فى المشتى مِلاءً بطونكم ، وجاراتكم سُغْبٌ يَبِتْنَ خمائصا

وقال آخر[3] :

وضيف عمرٍو وعمرٌو ساهران معا * فذاك من كِظّةٍ والضيف من جوعِ

وقال آخر :

وجيرةٍ لا تَرى[4] فى الناس مِثلَهمُ * اذا يكون لهم عِيدٌ وإفطارُ
إن يُوقِدوا يوسِعونا من دُخانِهمُ * وليس يبلُغنا ما تُنْضِج النار

وقال سَمَاعةُ بن أَشْوَل :

نزلْنا بسَهْمٍ والسماءُ تلُفُّنا * لَحَى اللهُ سَهْمًا ما أدقَّ وألأمَا
فلما رأينا أنه عاتمُ[5] القِرَى * بخيلٌ ذكرْنا ليلةَ الهَضْبِ كَرْدَمَا

(١) الكعبة والكعب : العظم الذى تلعب به الصبيان .

(٢) هو ميمون بن قيس ، قال هذا الشعر يهجو علقمة بن علاثة .

(٣) هو بشار كما فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣٢٠ طبعة أولى) ، ورواية البيت فيه :

وضيف عمرو وعمرو يسهران معا * عمرو لبطنته والضيف للجوع

(٤) فى الأصل : « لم ترَ » .

(٥) عاتم القرى : بطيئه .

فقُمْنا وحَمَّلْنا على الأَيْنِ والوَجَى * جُلَالا(١) بأوصال الرَّدِيفَيْن مِرْجَما(٢)
يَدُقُّ(٣) خراطِيمَ القِنَانِ كأنما * يدقّ بصَوَّانِ الجَلامِيدِ حَتْمَا(٤)
بَغَثْنا وقد باضَ الكَرَى فى عيونِنا * فَتًى من عيون المُعْرِقِين(٥) مسلَّما
تُنَاخُ اليه هَجْمَةٌ(٦) واتِكِيَّةٌ(٧) * رعتْ بالحِوَاءِ(٨) البَقْلَ(٩) حولًا مُجَرَّما(١٠)
كأنّ بأَحْقِيها(١١) اذا ما تَنَعَّمتْ * مَزَادًا(١٢) سقا فيه المُزَوَّدُ مُعْصَما(١٣)
فبات رفيقى بعد ما ساء ظنُّه * بمنزلةٍ من آخر الليل مُكْرَمَا
ولو أنها لم يدفَعِ العِيسَ زَمُّها * رأى بعضها من بعض أَنْسَاءَها(١٤) دمَا

وقال حُمَيدٌ الأرقط :

ومُسْتَنْبِحٍ(١٥) بعد الهدوء وقد جرتْ * له حَرْجَفٌ نَكْبَاءُ والليلُ عاتِمُ
رفعتُ له مخلوطةً(١٦) فاهتدى بها * يشبّ لها ضوءٌ من النار جاحِمُ
فأطعمتُه حتى غدا وكأنما * تنازعه(١٧) فى أَخْدَعَيْه المَحَاجِمُ

(١) الجلال : الجمل الضخم . (٢) المرجم : المصطرم العدو، وفى الأصل : «مرجما» .
(٣) فى الأصل : «تدق» . (٤) الحتم : الحرف بأنواعه ؛ قال سالم بن دارة :

وقد أوغلت فى السير حتى كأنما * يكسر قيض بينهن وحتم

والقيض : قشرة البيضة العليا اليابسة . وكتب فى الأصل الفتوغرافى أمام كلمة الحتم : «الحصيد» ولعله من معانى الكلمة . (٥) فى الأصل : «المغرقين» ، ولعله : «من عيوب المعرقين مسلما» ، و يريد مدحه بأنه سالم من عيوب المعرقين الذين أفسدوا ما عملوا من صالح بما ارتكبوه من آثام . (٦) الهجمة من الابل : أولها الأربعون الى ما زادت ، وفيها أقوال غير ذلك . (٧) هكذا بالأصل ولعلها «واثلية» .
(٨) الحواء : الواسع من الأودية ، ور بما أريد به موضع بعينه . (٩) فى الأصل : «القل» .
(١٠) مجرما : تاما ، وفى الأصل : «محزما» . (١١) أحق : جمع حقو وهو الخصر .
(١٢) المزاد : جمع مزادة وهى الراوية والقربة التى يستقى فيها . (١٣) معصما : مشدودا بالعصام وهو رباط القربة . (١٤) أنساء : جمع نسا وهو عرق من الورك الى الكعب . وفى الأصل : «أنسابها» . (١٥) فى الأصل : «ومتنبح» . (١٦) كذا بالأصل ولعلها « مخوطة » وهى الشجرة التى نفض عنها ورقها . (١٧) فى الأصل «تاعه» .

كَرَمْهانَ[1] يَفْطُو[2] المشىَ لو جُعِلتْ له * رعايا الحِمَى لم يلتفت وهو قائمُ
حريصٌ على التسليم لو يستطيعه * فلم يستطع لما غدا وهو عائمُ[3]

وقال الأعشى[4] :

اذا حلَّتْ معاويةُ بنُ عمرو * على الأَطْوَاءِ خنَّقتِ الكلابَا

وقال آخر[5] :

أيابنةَ عبد الله وابنةَ مالكٍ * ويابنةَ ذى البُرْدين والفرسِ الوَرْد
اذا ما عمِلتِ الزادَ[6] فالتمسى له * أكيلًا فإنى غيرُ آكِلِه وَحْدى
بعيدًا[7] قصيًّا أو قريبًا فإننى * أحاف مَذَمّاتِ الأحاديثِ من بعدى
وكيف يُسِيغُ المرءُ زادًا وجارُه * خفيفُ المِعَى بادِى الخَصَاصةِ والجَهْدِ
ولَلْموت خيرٌ من زيارة باخلٍ * يُلاحِظ أطرافَ الأَكِيلِ على عمدِ

وقال مُرَّةُ بن مَحْكانَ السَّعْدى :

فقلت لما غَدَوْا أُوصِى قعيدتَنا * غَدِّى بَنِيكِ فلن تُلْفِيهمُ[8] حِقَبَا
أُدْعَى أباهم ولم أُقْرَفْ بأُمِّهمُ * وقد نَجَمتُ ولم أعرِف لهم نَسَبَا

---

(١) الرمهان : الحران . (٢) عطا الدابة يفطوها : ساقها سوقا شديدا .
(٣) كذا بالأصل ، ولعلها «صائم» كما يقتضيه السياق . (٤) هو أعشى بنى ثعلب كما فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ١ ص ١٩٤) . (٥) هو حاتم الطائىّ يخاطب امرأته ماوية بنت عبدالله ، وعنى بذى البردين عامر بن أحمر بن بهدلة . (٦) رواية أشعار الحماسة :

اذا ما صنعت ... ... * ... .. فانى لست ...

(٧) روى هذا الشطر فى أشعار الحماسة :

أحا طارقا أو حار بيت فإننى *

(٨) رواية الشعر والشعراء للمؤلف (ص ٤٣٢) : « فلن تلقيهم » .

وقال حمّاد عَجْرد :

زرتُ امْرأً فى بيته مرّةً ... له حيـاءٌ وله خِـيرُ
يكرَه أن يُتْخِمَ إخوانه ... إنّ أذَى التُّخْمةِ محذور
ويَشْتَهِى أن يُؤْجَرُوا عنده * بالصومِ والصائمُ ماجور

وقال بعض المُحَدَثين :

أبو نوحٍ نزلتُ عليـه يومًا ... فغَـدَّانى برائحـة الطعامِ
وجاء بلحيم (١) لا شىءٍ سمينٍ * فقـدّمه على طبق الكلامِ
فلما أن رفَعتُ يدى سقانى * مدامًا بعـد ذاك بلا مدامِ
فكان كمن سقى الظمآن آلًا * وكنتُ كمن تغدّى فى المنامِ

وقال عُرْوةُ بن الوَرْد :

إنى امْرُؤٌ عافِى إنائِىَ شِرْكَةٌ ... وأنت امْرؤٌ عافى إنائِك واحدُ
أتهزأ منّى أن سَمِنتَ وأن ترى * بجسمِىَ (٢) مسَّ الحقِّ والحقُّ جاهدُ
أُقسِّم جسمِى فى جسومٍ كثيرةٍ ... وأحسو قَراح المـاءِ والمـاءُ باردُ

(١) رواية العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٨) :

وقـــدم بيننا لحما سميا * فقـدّمه على طبـق الكلام
فلما أن رفعت يدى سـقانى ... كؤوسا حشوها ريح المدام

(٢) فى أشعار الحماسة (ص ٧٢٣ طبع أوربا) : «بوجهى شحوب الحق» .

باب القدور والجفان

ذكر الفرزدق عقبةَ بن جَبّار المِنْقَرِى وقِدْرَه فقال :

لو أن قِدْرًا بكت من طولِ مَحْبَسِها * على الحفوفِ[1] بكتْ قِدْرُ ابن جَبّارِ
ما مسَّها دَسَمٌ مُذْ فُضَّ معدِنُها * ولا رأت بَعْدَ نارِ القَينِ من نارِ

وقال :

كأنّ تطلُّعَ التَّرْعيبِ[3] فيها[2] * عَذَارٍ يَطَّلِعْن إلى عَذَارِ

وقال الكُمَيت :

كأنّ الغُطَامِطَ من غَلْيِها * أَرَاجيزُ أَسْلَمَ تَهجو غِفَارَا[4]

وقال آخر[5] :

وقِدْرٍ بَكَوْف الليل أَحْمشتُ[6] غليَها * ترى القِيلَ فيها طافيًا لم يُفَصَّلِ

وقال ابن الزُّبير[7] يمدح أسماءَ بن خارجة :

ترى البازِلَ البُخْتِيَّ فوقَ خِوَانِه * مقطَّعةً أعضاؤه ومَفاصِلُهْ

---

(١) كذا فى ديوانه المخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢ ش أدب (ص ٣٩) . والحفوف : قلة الدسم . وفى الأصل : « الجفون » وهو تحريف .

(٢) هذا البيت من أبيات يمدح بها أبا السمحاء سحيم بن عامر أحد بنى عمرو ، ومطلعها :

سألنا عن أبى السمحاء حتى * أتينا خير مطروق لسارى

(٣) كذا فى ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب . والترعيب : السنام المقطع شظائف مستطيلة . وفى الأصل : « الترعيب » بالغين المعجمة وهو تحريف . (٤) الغطامط (بضم الغين المعجمة) : صوت الغليان ، ويقال : تغطمطت القدر اذا اشتد غليانها . وأسلم وغفار : قبيلتان كانت بينهما مهاجاة .

(٥) هو ميسرة أبو الدرداء ، كما فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٤٨ طبع أوربا) . (٦) كذا فى كتاب البخلاء . وفى الأصل : « اجشمت » وهو تحريف . وأحمش القدر : أشعل وقودها .

(٧) هو عبد الله بن الزبير الأسدى كما فى الأغانى (ج ١٣ ص ٣٥ ، ٤٢ طبع بولاق) .

وقال الرَّقَاشِيّ :

لنا من عطاء الله دَهْمَاءُ جَـوْنَةٌ (١) * تناولُ (٢) بعـــد الأقربين الأقاصِيَا
جعلتُ أَلَالًا والرِّجَامَ وطِخْفَـةً (٣) * لها فاستقلّت فوقهـــنّ الأثافِيَا
مـــؤدِّيةً عنا حقـــوقَ محمـــدٍ * إذا ما أتانا يابسَ (٤) الجسبِ طاوِيَا
أتى ابنُ (٥) يسيرٍ كي يُنَفِّسَ كَرْبَه * إذا لم يَرُحْ وافَى مع الصبحِ غادِيَا

فأجابه ابن (٦) يسير :

وتَرْمَاءَ تَلْمَـاءِ (٧) النـواحي ولا يَرى * بهـا أحدٌ عَيْبا سِـوى ذاك بادِيَا
إذا انتقاصَ (٨) منهـا بعضُها لم تَجِدْ لها * رُعُوبا لمـا قد كان منهـا مُدَانِيَا
وإن حاولوا أن يَشْـعَبوها فإنهـا (٩) * على الشَّـعْبِ لا تَزدادُ إلا تداعِيَا
مُعَـــوَّذة الإرْجَالِ (١٠) لم تُوفِ مَرْقَبًا * ولم تَمْتَـطِ (١١) الجَوْنَ الثلاثَ الأثافِيَا

---

(١) الدهماء : القدر . وجونة : سوداء . (٢) فى الأصل « ياول » بالياء المثناة .
(٣) الآل (وزان حمام ويروى بكسر همزته) : اسم جبل بعرفات . والرجام : جبل طويل أحمر نزل به جيش أبى بكر رضى الله عنه يريدون عمان أيام الردة . وطخفة (بكسر الطاء وفتح) : جبل .
(٤) فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٥٠) : « بائس الحال » . (٥) كذا فى كتاب البخلاء ، وقد ورد هذا البيت فى الأصل محرفا هكذا :

أنا ابن بشـــير ان تنفس كربة * إذا لم ترح وافا من الصبح غاديا

(٦) كذا فى كتاب البخلاء وهو محمد بن يسير اليسيرى كما فى الكامل للمبرد (ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ طبع أوربا) وطبقات الشعراء للؤلف (ص ٥٦٠ طبع أوربا) ، وفى الأصل : « ابن بشير » .
(٧) كذا فى كتاب البخلاء . وفى الأصل : « سلما » وهو تحريف . والترماء : من كسرت ثيتها ، شبه بها القدر التى تكسرت أطرافها من كثرة الاستعمال . والتلماء : المكسورة النواحى . (٨) انقاص : انشق . (٩) فى الأصل : « وانها » بالواو . (١٠) معوذة : ممنوعة ، والإرجال : مصدر أرجله اذا جعله يمشى ، ولعله يريد أن هذه القدر لاتقل لصحابتها . وفى كتاب البخلاء : « معودة الأرجال » . (١١) فى الأصل : « ولم يمتط » .

ولا اجتزعت[1] من نحو مكة شُقَّةً * إلينا ولا جازت بها العِيسُ واديَا
ولكنّها فى أصلها مَوْصِليَّةٌ * مجاورةٌ فَيْضًا[2] من البحر جاريَا
أنَتْنا تُزَجِّيها[3] المجاذيفُ نحوَنا * وتُعقِب فيما بين ذاك المَزَادِيا[4]
يقول لِمَن هذى القدور التى أرى * تَهيلُ عليها الرِّيحُ تُرْبًا وسافيا
فقالوا ولن يَخفى على كل ناظرٍ * قدورُ رَقاشٍ إن تأمل دانيَا[5]
فقلت متى باللحمِ عهدُ قدورِكُمْ * فقالوا إذا ما لم يَكُنَّ عواريَا
من اضْحَى إلى أضحى وإلّا فإنها * تكون بنَسْج العنكبوت كما هيا
فلما استبان الجَهْدُ لى فى وجوههم * وشكواهمُ ادخلتُهمْ فى عِياليَا
يُنادى ببعضٍ بعضُهم عند طلعتى * ألَا أبْشِروا هذا اليَسيرىّ جائيا

وقال أبو نُوَاس :

ودَهْماءَ[6] تُثْفيها رَقاشٌ اذا شَتَتْ * مُرَكَّبَةَ الآذانِ أُمَّ عِيالِ[7]
يَغَصُّ بحَيْزُومِ[8] البَعوضة صدرُها * وتُترِلها عفوًا بغير جِمَالِ

---

(١) اجتزعت : قطعت . وفى الأصل : «اجترعت» بالراء .

(٢) فى الأصل : «عيسا» بالعين المعجمة . (٣) كذا فى كتاب البخلاء .

وفى الأصل : «تحزينا» وهو خطأ . (٤) المزادى : جمع مزداة ، والمرداة : الحفيرة يرمى الصبيان فيها النوى . (٥) رواية البخلاء : «رائيا» .

(٦) الدهماء : السوداء من القدور . وتثفيها : تجعل لها أثافىّ . وفى ديوانه (ص ١٧٦ طبع مصر) : « ترسيها » من قولهم : قدر راسية لا تبرح مكانها ولا يطاق تحويلها . (٧) أم عيال : تقوتهم وتقوم بحاجتهم . (٨) فى الأصل : تعض بحيزون . . . . » وهو تحريف . وقد ورد هذا الشعر فى ديوانه (ص ١٧٧ طبع مصر هكذا) :

يغص بحيزوم الجرادة صدرها * وينضج ما فيها آتقاد ذبال
وتغلى بذكر النار من غير حرها * ويترلها الطاهى بغير جمال

والجمال بالكسر : خرقة تنزل بها القدر .

ولو جئتَهـا ملأى عَبِيطًا[1] مُجَزَّلًا * لأخرجتَ ما فيهـا بعُود خِلال

هى القِدْرُ قِدْرُ الشيخ بكرِ بن وائلٍ * رَبِيعِ[2] اليتـامَى عامَ كلِّ هُزالِ

وقال أيضـا :

رأيتُ قُدورَ الناسِ سُودًا[3] من الصَّلَى * وقِدْرَ الرَّقاشِـيّين زَهْراء كالبـدرِ

ولو جئتَهـا مَلأى عَبِيطًا مُجَزَّلًا * لأخرجتَ ما فيها على طَرَفِ الظُّفرِ

يُثَبِّتُهـا[4] للعُـتَفى بِفِنـائهـم * ثلاثٌ[5] كحَظِّ الشاء من نُقَط الحِبرِ

تَرُوح على حَيّ الرِّبابِ[6] ودَارِمٍ * وسَـعْدٍ وتعـروها قَرِاضِبةُ الفِزْرِ

ولِلْحَيّ عَمْـرٍو نَفْحَةٌ من سِجالِهـا * وتَغْلِبَ والبِيضِ اللَّهامِيمِ[7] من بَكْرِ

إذا ما يُنادَى بالرحيـل سَعَى بهـا * أمامَهُـمُ الحَوْلِيُّ من وَلَدِ الذَّرِّ

وقال أبو عُبَيدة : كان لعبد الله بن جُدْعان جَفْنَة يأكل منها القائمُ والراكب . وذكر غيرُه أنه وقع فيها صبيّ فغرِق .

---

(١) العبيط : اللحم الطرى . ومجزل : مقطع .

(٢) كذا فى الديوان وكتاب البخلاء . وفى الأصل : « منيع » .

(٣) فى البخلاء (ص ٢٥١) : «سودا على الصلى» . والصلى : النار . (٤) كذا فى البخلاء (ص ٢٥١) : وفى الأصل : « يبينها للعتى غنائه » . (٥) كذا فى كتاب البخلاء . وفى الأصل «محط» وهو تحريف . (٦) الرباب ودارم وسعد والعزر : أسماء قبائل . والقراضبة : اللصوص والفقراء ، واحده قرضاب أو قرضوب . (٧) كذا فى كتاب البخلاء . واللهاميم من الخيل : جيادها ، ولهاميم الإبل : عزارها ، ولهاميم الناس : أشياخهم . وفى الأصل : « اللهابين من مكر » وهو تحريف .

وقال الأشعر[1] :

وأنت مَليخٌ[2] كلحم الحُوَار * فلا أنتَ حُلْوٌ ولا أنت مُرّ

وقد عَلِم الضيفُ والطارِقون * بأنك للضيف جوعٌ وقُرّ

سأل يحيى[3] بن خالد أبا الحارث جُمَيْزاً[4] عن طعام رجلٍ، فقال : أما مائدته فمقنة وأما صحافه فمنقورةٌ من حَبّ الخَشْخاش، وبين الرغيف والرغيف نقرة جوزة، وبين اللونِ واللونِ قَتْرَةُ نَبِيّ. قال : فمن يحضرها ؟ قال : الكِرام الكاتبون . قال : فيأكل معه أحدٌ؟ قال : نعم، الذُّباب . قال : فلهذا ثوبُك مخرّق ولا يَكْسُوك وأنتَ معه وبفنائه؟ ! قال أبو الحارث : جُعِلتُ فِداءَك، واللهِ لو مَلَك بيتًا من بَغْدادَ الى الكوفة مملوءا إبراً، فى كل إبرةٍ خيط، ثم جاءه جبريلُ وميكائيلُ معهما يعقوبُ يَضْمَنان عنه إبرة يَخيط بها قميصَ يوسف الذى قُدّ من دُبرٍ، ما أعطاهم .

وقال بعضهم :

ولو عليك آتّكالِى فى الغِداء اذًا * لكنتُ أوّلَ مدفونٍ[5] من الجوعِ

---

(١) هو الأشعر الرقبان الشاعر، واسمه عمرو بن حارثة أسدى جاهلى، قال هذا الشعر يخاطب به رجلا اسمه رضوان (انظر اللسان وشرح القاموس مادة مسح) وقد ورد هذان البيتان فيما ضمن شعر له مع اختلاف فى بعض الكلمات وهو :

بحسبك فى القوم أن يعلموا * بأنك فيهم غنىّ مضرّ

وقد علم المعشر الطارقوك * بأنك للضيف جوع وقرّ

اذا ما انتدى القوم لم تأتهم * كأنك قد ولدتك الحمر

مسيخ مليح كلحم الحوار * فلا أنت حلو ولا أنت مرّ

(٢) المليخ : الذى لا طعم له، وخص به بعضهم لحم الحوار (وهو ولد الناقة) حين ينزل من بطن أمه .

(٣) يلاحظ هنا أن صدر كلام جميز فى حاجة الى الوضوح لغموض عبارته . (٤) كذا بالأصل . والذى فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) : « أما مائدته فمعيه » بالعين والياء المثناة من تحت والهاء الموحدة . (٥) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) : « مقتول » .

سياسة الأبدان بمـا يصلحها من الطعام وغيره

قال الحجاج لتياذوق[(١)] متطبّبه: صِف لِي صفةً آخُذُ بها [فى نفسى] ولا أعْدوها، قال تياذوق: لا تَتَزوّج من النسـاء إلا شابّة، ولا تأكل من اللحم إلا فَتِيًّا، ولا تأكله حتى يُنْعَم طَبْخه، ولا تَشرَبَنّ دواءً إلا من عِلّة، ولا تأكل من الفاكهة إلا نَضيجَها، ولا تأكل طعاماً إلا أَجدْتَ مَضغَه، وكُلْ ما أحببتَ من الطعام واشرَبْ عليـه، وإذا شَرِبت فلا تأكل عليـه شيئا، ولا تحبِس الغائطَ والبولَ، وإذا أكلتَ بالنهارِ فنَمْ، وإذا أكلتَ بالليل فتمشّ ولو مائةَ[(٢)] خُطْوةٍ.

رَوى عبـد العزيز بن عِمْـران عن الحُلَيْس بن حَيّان الأَشْجَعيّ قال حدّثنى أبى عن شـيوخ من أشجع قال: سألنا يهودَ خَيْبَر: بِم صَحَحْتُم بخيبر؟ قالوا: بشرب الخمرِ، وأكل الفُوم، وسكونِ اليَفاعِ، وتجنُّبِ بطونِ الأودية، والخروج من خيبر عند طلوع الفجرِ[(٣)] وسقوطه.

قال الحجاج للحَكَم بن المُنْـذِر بن الجَارُود: أخبِرنِي عن صفاء لونِك وغِلَظ قَصَرتِك[(٤)]، أَشَرَبُ اللبن فهو منه؟ قال: لا؛ قال: ولم؟ قال: لأنه مَنْتَنَةٌ مَنْفَخَةٌ. قال: فما شرابُك؟ قال: نبيذ الدُّقَلِ[(٥)] فى الصيف ونبيذ العسلِ فى الشتاء.

---

(١) كذا فى تاريخ الحكماء للقفطى (ص ١٠٥ طبع أوربا) وطبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة (ج ١ ص ١٢١)، وكان طبيبا مشهورا فى صدر الاسلام والدولة الأموية واختص بالحجاج بن يوسف فكان يثق به ويعتمد عليه فى مداواته. وهذا الاسم ذكر مرة فى الأصل «بياذوق» ومرة أخرى «بيادوق»، وفى العقد الفريد «يتنادون» - وكله تحريف. (٢) فى طبقات الأطباء: «خمسين خطوة». (٣) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧): «عند طلوع النجم وعند سقوطه». (٤) القصرة: أصل العنق اذا علظ. وفى الأصل: «... عن صفاء لونك وقصر علظ قصرتك». (٥) الدقل (بالتحريك): أردأ التمر وضرب من النخل تمره صغير الجرم كبير النوى.

قال عبد الملك لأعرابى : إنك حَسَنُ الكِدْنَة[1]، قال : إنى أُدْفِئُ رِجْلىَّ فى الشتاء، وأُغْفِل غاشيةَ الغَمِّ، وآكُلُ عند الشهوة .

عن علىّ رضى الله عنه أنه قال : مَنِ ابتدأ غِذاءَه بالملح أذهَب الله عنه سبعين نوعًا من البلاء . ومن أكل كلَّ يومٍ سبعَ تمرات عَجْوةٍ قتلت كلَّ داء فى بطنه . ومن أكل كلَّ يومٍ إحدى وعشرين زبيبةً حمراءَ لم يَرَ فى بَدَنه شيئا يكرَهُه . واللحم يُنبِتُ اللحم . والثريدُ طعام العرب . ولحم البَقَر داء، ولبنُها شِفاء ، وسَمْنها دَواء . والشَّحمُ يُخرِجُ مِثْلَيْه من داءٍ . ولم يَسْتَشْفِ الناسُ بشىء أفضلَ من الرُّطَبِ . والسَّمك يُذيب الجسدَ، وقراءةُ القرآنِ[2] والسواكُ يُذهِب البلغم . ومن أراد البقاءَ — ولا بقاءَ — فليُباكِرِ الغَداءَ، وليُقَلِّل غِشْيانَ النّساء، ويخفِف الرداء ، وليَلْبَس الحِذاء . قيل : وما خِفّةُ الرِّداء فى البقاء ؟ قال : قِلّة الدَّيْن .

قيل لرجل : إنك لحَسَن السَّحْنة ؛ فقال : آكُل لُبَابَ البُرّ بصِغار المَعَزِ، وأدّهِنُ بِحام[3] البنفسج، وألبَسُ الكَتّان .

ويقال : ثلاثة أشياء تُورِثُ الهُزالَ : شربُ الماءِ على الرِّيق، والنومُ على غير وِطاء، وكثرةُ الكلام برفع الصوت .

ويقال : أربعُ[4] خِصالٍ يَهْدِمن العُمْرَ وربما قَتَلْنَ : دخولُ الحمّامِ على بِطْنة ، والمجامعة على الامتلاء، وأكل القَديد[5] الجافّ ، وشربُ الماء البارد على الرِّيق ؛ وقيل : ومجامعة العجوز .

(١) الكدنة (بالكسر وقد يضم) : غلظ الجسم وكثرة اللحم . وفى الأصل : «الكدية» بالياء المثناة من تحت ، وهو تحريف . (٢) كذا فى الأصل ، والعبارة غير واضحة ، ولعلها محرّفة . (٣) كذا بالأصل ، ولعلها «بحمّ البنفسج» والحم : ما أذيبت إهالته ، والمراد به دهن البنفسج وهو زيته الذى يستخرج منه . (٤) هى من نصائح تياذوق الطبيب للحجاج كما فى طبقات الأطباء ، ونسبها صاحب العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) لبرزجمهر . (٥) القديد : اللحم المجفف ، وقيل ما قطع منه طولا .

وفى الحديث : "ثلاثةٌ أشياءَ تُورِث النِّسيان أكل التُّفاح الحامض وسُؤْر الفأرة(١) ونَبْذُ القملة" . وفى حديث آخر "والحِجامة فى النُّقْرة(٢) والبَوْل فى الماءِ الراكِدِ"

ويقال : أربعه أشياء تَقْصِد الى العقلِ بالإفسادِ : الإكثارُ من البصل ، والباقِلَاءُ ، والجماع ، والخُمَار .

وقال النَّظام : ثلاثةٌ أشياء تُخْلِق العقل وتُفسِد الذِّهنَ : طولُ النَّظرِ فى المِراءِ ، والاستغراب فى الضَّحِك ، ودوام النَّظرِ الى البحر .

وكان يقال : عَشَاءُ الليلِ يُورِث العَشَا(٣) .

ويروى فى الحديث : "تَرْكُ العَشاءِ مَهْرَمة" . والعرب تقول : ترك العَشاءِ يذهب بلحم الأَلْيَتَيْنِ(٤) .

باب الحِمْيَـــة

قال الحارث بن كَلَدَةَ طبيب العرب : الدواء هو الأَزْم . يعنى الحِمْيَة .

قال آخر : الحِمية إحدى العِلَّتَيْنِ .

وقيل لجالِينوس(٥) : إنك تُقِلّ من الطَّعامِ ؛ قال : غرضى من الطَّعامِ أن آكُلَ لأَحْيا ، وغرض غيرى من الطعامِ أن يَحيا ليأكُلَ .

---

(١) ورد هذا الحديث فى كتاب حياة الحيوان للدميرى (ج ٢ ص ٣١١) هكذا : قال النبى صلى الله عليه وسلم : «ست خصال تورث النسيان : أكل سؤر الفأر وإلقاء القملة وهى حية والبول فى الماء الراكد وقطع القطار ومضغ العلك وأكل التفاح الحامض» . (٢) النقرة : الوهدة فى القفا .

(٣) العشا : أن يسوء بصر الانسان أو هو العمى ، أو أن يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل . (٤) قال أبو زيد : مثنى الألية أليان كما تقول هما حصيان وواحده حصية وقد ورد أليتان فى شعر عنترة :

متى ما تلقنى فردين ترجف * روادف أليتيك وتستطارا

(٥) ورد هذا الخبر فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) منسوبا لأبقراط .

وقال العَمّي[1] : مَن احتَمى فهو على يقينٍ من المكروهِ، وفي شكٍّ مما يأمَنُ من العافية .

وكان يقال : ليس الطبيب من حمَى المَلِكَ ومنَعَه الشهواتِ ، إنما الطبيب من خلّاه وما يُريد وساس بدنَه .

وقال بعض الشعراء :

ورُبَّتَ حزمٍ كان للسُّقْمِ عِلَّةً ، وعِلةُ بُرْءِ الداءِ خَبْطُ المُغَفَّلِ

ويقال : الحميةُ للصحيح ضارّة كما أنها للعليلِ نافعة .

وفي الحديث : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى صُهَيْبا يأكل تمرًا وبه رمَدٌ، فقال له : "أتأكل التمر وبك رمَد"[2]، فقال : يا رسول الله، إنما أمضُغ بهذه .

إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جدّه[3] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تُكْرِهوا مَرْضاكم على الطّعام والشّراب فإن الله يُطعمهم ويَسقيهم" .

باب شوب الدواء

قال عبد الله بن بكر السَّهْميّ : حدّثنا بعض أصحابنا يرفعه الى النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "من استقلّ بدائه فلا يتداوَيَنّ فإنه رُبّ دواء يُورث الداءَ" .

---

(١) هو عقبة بن مكرم (بضم أوله وإسكان الكاف وفتح المهملة) أبو عبد الملك البصري الحافظ مات سنة أربعين ومائتين (انظر الخلاصة في أسماء الرجال) .

(٢) يريد أنه يمضغ ناحية العين التي لا رمد فيها . ونص الحديث في الجزء السابع من شرح الزرقاني على المواهب : «وفي سنن ابن ماجة عن صهيب قال : قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر، فقال : «أدن وكل» فأخذت تمرا فأكلت، فقال : «تأكل تمرا وبك رمد» فقلت : يارسول الله أمضغ من الناحية الأخرى، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي لأنه إن كان يضره أكل التمر لم يضره المضغ من ناحية العين التي لا رمد بها .

(٣) كذا بالأصل، ولعل هذه الكلمة زيادة من الناسخ، لأنه ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف روى عن أبيه، وجدّه مات مقتولا في الجاهلية، كما في كتاب المعارف لابن قتيبة، فلم تكن له رواية عن النبيّ صلى الله عليه وسلم .

وكانت الحكماء تقول : إياك وشربَ الدواء ما حَمَلت صِحّتك داءك .

وقالوا : مَثَلُ شُرْب الدواء مثل الصابون للثوب يُنْقِيه، ولكنه يُخلِقُه ويُبْلِيه .

عن يزيد بن الأصَمّ قال : لقيتُ [طبيب][1] كسرى شيخًا [كبيرا][2] قد أوثق حاجبيه بخِرْقة، وسألته عن دواء المَشْي[3]؛ قال : سهمٌ يُرمى به فى جوفك أخطأ أو أصاب .

قال ابقُراط : الدواءُ من فوقُ، والدواءُ من تحتُ، والدواءُ لا فوقُ ولا تحتُ . ٥

وفسّره المفسّر فقال : من كان داؤه فى بطنه فوق سُرّته سُقِيَ الدواء ، ومن كان داؤه تحت سُرّته حُقِن ، ومن لم يكن به داءٌ لا من فوقُ ولا من تحتُ لم يُسْقَ الدواء، فإن الدواء اذا لم يجد داء يعمَل فيه وجد الصحّة فعمِل فيها .

قال أبو اليَقْظان : كان عبد العُزّى[4] بن عبد المُطّلِب يشتكى عينَه وهو مطرِقٌ أبدا؛ وكان يقول: ما بِعَيْني بأس، ولكن كان أخى الحارث اذا اشتكت عينُه يقول: اكحَلُوا عينَ عبد العُزّى معى فيأمُرُ[5] من يكحَلنى معه ليُرضيَه بذلك فأمرَض عينى . ١٠

قال ابن أحمر حين شُفِى بطنُه :

شربتُ الشُّكاعَى[6] واقتددتُ أَلِدّة[7] * وأقبلتُ أفواهَ العروق المكاوِيا

شربْنا وداوَيْنا[8] وما كان ضارنا * إذا الله حَمَّ المرءَ أنْ لا تَداوِيا

وفى الحديث : "داوُوا مَرضاكم بالصّدقة وحصِّنوا أموالكم بالزّكاة واستقبلوا[9] أنواعَ البلايا بالدعاء" . ١٥

(١) التكلة عى أسد الغابة . (٢) المشى : الإسهال ودواؤه المَشِىّ وهو المسهل .
(٣) فى الأصل : « أم » . (٤) هو أبو لهب . (٥) لعل الفاعل «أبى» أو نحوه ممن له ولاية الأمر عليه . (٦) الشكاعى : من دق السات وهى دقيقة العيدان صغيرة حمراء يتداوى بها الناس . قال سيبويه : هو واحد وجمع ، وقال غيره : الواحدة منها شكاعة . واقتددت ألدة من قولهم اقتد الرجل اذا اتلع اللدود وهو ماسق فى أحد شقى الفم ، جمعه ألدة . (٧) أقبل المكواة الداء : جعلها قبالته . (٨) كذا فى الشعر والشعراء ص ٢٠٨ وفى الأصل : « لما » .
(٩) فى الجامع الصغير : « واستعينوا على حل البلاء بالدعاء والتضرع » .

الحَدَثُ والحُقْنة والتَّخَمة

عن وَهْب قال قال لُقْمان لابنه : إن طول الجلوس على الخلاء يرفع الحرارةَ إلى الرأس، ويُورِث الباسُورَ وتَيَجُّع[1] له الكبد؛ فأجلس هُوَيْنَى وقم هويْنى . فكتبتُ حكمتَه على باب الحُشّ[2] .

وكان يقال : إذا خرج الطعام قبل ستّ ساعات فهو مكروه ، واذا بَقِيَ أكثر من أربع وعشرين ساعه فهو مرض .

وكان أبو دُفافَةَ الباهليّ اشتكى ، فأشار عليه الأطبّاء بالحُقْنة فامتنع ؛ فانشأ أعرابيّ يقول :

لقد سرّنى — واللهُ وقّاك شَرّها — * نِفَارُك منها إذْ أتاك يقودُها
كفى سَوْءَةً ألّا تزالَ مُجَيَّبًا[3] * على شَكْوَةٍ[4] وَفْرَاءَ فى اسْتِكَ عُودُها

وأشاروا على عُبَيْد الله بن زِياد بالحُقْنة فتفحّشها ؛ فقالوا : إنما يتولّاها منك الطبيبُ ؛ فقال : أنا بالصاحب آنَسُ .

قال المَدائنيّ : سأل الحجّاجُ جلساءَه : ما أذهبُ الأشياءِ للإعياء ؟ فقال بعضهم : أكْل التَّمْر، وقال بعضهم : الحمام، وقال بعضهم : التَّمْرِيخ[5] .

وقال فَيْروز : أذهبُ الأشياءِ للإعياء قَضاء الحاجة .

---

(١) تيجع من وجع يوجع (بقلب الواو ياء) اذا مرض وتألم .
(٢) الحش : البستان وقيل : المحل المجتمع ، ويكنى به عن بيت الخلاء لأنه كان من عادتهم التغوط فى البساتين .
(٣) مجيبا : مكبا على وجهه ، وفى الأصل : « محيبا » .
(٤) الشكوة : وعاء من جلد . ووفراء : ملاى .
(٥) التمريخ : التدهين .

وحدّثنى بعضُ الأطِبّاء أن رجلًا شَرِب خَبَثَ الحديد المعجون فبَقِى فى جوفه، فاشتدّ عليــه وجَعُه ، فسُحِقَتْ له قِطْعةٌ من المغاطيس وسُقِى إيّاه ، فتعلّق بالخَبَث وخرج مع العائط .

قال : وقال تيادوق[1] طبيب الحجّاج للحجّاج : إن اللحم على اللحم يقتل السِّباع فى البَرّيّة . ثم قال لى جعفر : قالت جارية لنا : كان لى ظبىٌ فمرّ بعجينٍ قد هُيِّئَ للخُشْكانَ[2] ، فأكل مــه قَفَس — والقَفَس : الحَبَطُ وانتفاخُ البطن — فسُلِخ فوُجد قــد شَرِق بالدم . وقال يونس (طبيب لنا) : هكذا يُصاب[3] الإنسان اذا بَشِمَ .

الأصمعى : قال بعض الأعراب : اللّهمّ إنى أسألك مِيتةً كمِيتةِ أبى حارِجة، أكل بِذَجًا[4]، وشَرِب مُعسَّلًا[5]، ونام فى الشمس، فَلَقِىَ اللهَ شبعانَ رِيّان دَفْآن .

وقال آخر من الأعراب : اللهم اجعلِ التُّخَمة دائى ودواءَ عيالى .

قال ابن شَبَابَةَ مولى بنى أسد : من بال ولم يَضْرِط كُتِبت اسْتُه من الكاظمين العيــظ .

---

(١) فى الأصل «دياذوق» وقد صححناه فيما مر . أنظر صفحة ٢٧٠ حاشية رقم ١

(٢) الخشكان كلمة فارسية ؛ ومعناها : الخبز الجاف ؛ أو هى ضرب من الحلوى .

(٣) فى الأصل : « يصيب » . (٤) البذج : الحمل . (٥) المعسل : شراب معمول بالعسل ، ومنه قول الشاعر .

اذا أخذت مسواكها مجت به * رضابا كطعم الزنجبيل المعسّل

باب القيء

عن جعفر بن سليمان أنه قال لإسان أكول يَقِيء[1] اذا أكل : لا تعجل، فإن المَعِده تَضْفِزُ[2] الى القَيْء كما تَضفِزُ الدّابّة الى العَلَف، فَلا يُنْضَج الطعامُ .

وأُخِذ مُزَبِّد شارِبا فاستُنْكِه[3]، فأُتِي به الوالىَ فاستَنْكهوه، فقالوا[4] نَكْهَتُه لاتُنْبِئ عنه، قال مزبّد : إن لم أَقِئْ نبيذا فمن يضمن لى عَشَاءً . ٥

رُئِى الجمّال يأكل فقيل له : ما تأكل؟ قال : قَيء كلب فى قِحْف[5] خنزير .

النَّكْهَةُ

سُئِل نياذوق عن البَخَر فقال : دواؤه الزبيب يُعجن بسعتر[6] ثم يُؤْكَل أسبوعين أو ثلاثة . جُرِّب فذَهَب .

وتقول الروم فى الكَرْفس : إنه يُطيّب الفم ويُذهب البخر، ويحتاج إلى أكله من يشاهد السلطان ويحافِل الناس وكان أكثرُ كلامه السِّرارَ[7] . ١٠

قالت الأطباء : الجَزَر المشوِىّ والخبز المَقْلُوّ بالزيت أو بالسمن إذا مُضِع ورُمِى بثُفْلِه[8] قاطعٌ لرائحة البصل من الفم . والفُوم[9] إن أكله آكلٌ فأحبّ أن يقطع رائحتَه مضَغ ورقَ الزيتون الطّرِىّ وتمضمض بعده بالخَلّ .

---

(١) فى الأصل : «ليق» . (٢) تضفز : تثب . (٣) استنكهه : شمّ ريح فمه، وأمره أن يكلمه ليعلم أشارب هو أم غير شارب . (٤) فى الأصل : « قالوا » . ١٥

(٥) القحف : ما انفلق من الجمجمة فانفصل ، ولا يدعى قحفا حتى يبين أو ينكسر منه شيء .

(٦) السعتر : نبت طيب الرائحة حريف زهره أبيض إلى الحمرة . (٧) السرار : المسارّة .

(٨) الثفل : ما سفل من كل شيء وهو حثارته . (٩) الفوم : الثوم .

والسَّعْد[1] قاطع لرائحة النبيـذ من الفم . وحَبّ الأُتْرُجّ مطَيِّب للنَّكْهة . والبَحَر لا يكاد يكون فى الملّاحين لأكلهم المُلّاح[2] .

وقرأت فى الآيين : أن رئيس الحرم أمر حوارىَ الملك ألّا يأكلن الثُّوم والبصل والكرّاث واللُّفّاح[3] والحِمّص الرّطْب والمشمش ؛ فإنه يُورِث البخر .

باب الميـاه والأَشْرِبة

قالت الأطِبّاءُ : معرفة خِفّة المـاء بأن يكون سريعَ الغَلَيان ويكونَ سريعَ البَرْد . وأحْمَد الميـاه ما كان قِبالَةَ المشرق ومجراه مجرى الشمال ومرورُه على الطين الأحمـر وعلى الرمل . قالوا : وممّـا يُصَفّى من المـاء الكَدِرَ فيصـفو سريعًا أن يُلقَى فيـه قِطَعٌ من خشب السّاج[4] أو قطعٌ من آجُرّ جديد .

قال بعض المُحْدَثين :

يمنع أمَـــه بالشمال * وماؤها البارد الزلال
يصيح فيهـا وقايتونا * يجرى به الثلج فى مثال[5]

---

(١) السعد نبات له أصل تحت الأرض أسود طيب الرائحة . وفى الأصل : «السعد» .

(٢) فى الأصل : « لأكلهم الملاحين » ولم نجد له معنى مناسبا ، فعلها محرفة عما أثبتناه . والملاح . ضرب من نبات الحمص أو حصـة مثل القُلّام فيه حمرة . (٣) اللفاح : نبات يقطينىّ أصفر شبيه بالبادنجان . (٤) الساج : شجر يعظم جدّا لا ينبت إلا ببلاد الهند ، وخشبه أسود رزين لا تكاد الأرض تبليه . (٥) كذا بالأصل ، ولم نعثر على هذين البيتين ولم نوفق الى تصويبهما

وقال صاحب الفلاحة . من أراد أن يعذب له الماءُ الزُّعاقُ[1] جعله فى قِدْر حديدة من خزف وغطّى فاها بأسحال[2] ثم أوقد تحتها حتى تغلى ويحصل فيها نصف ذلك الماء ثم صفّاه وتركه ، فانه يجده شروباً[3] .

وقالوا : ماء دِجْلة يقطع شهوةَ الرجال ويذهبُ بصهيلِ الخيل ونشاطها ، ومن لم يأكل الدسم عليه انحلّ عظمُه ويَبِسَ جِلْدُه ، وهو مع هذا أهضمُ للطعام من غيره من المياه وأسرعُها بردا .

قال : والنّيل يستقبل الشّمال وينصُبُّ فى وقت زيادة الأودية ويزيد فى وقت نقصانها . وزيادة أوّله وآخره معها ؛ ولا تكون التماسيحُ إلا فيه ؛ قال الشاعر :

أضمرتُ للنيل هِجْرانًا ومَقْلِيّةً * إذ قيل لى إنما التمساح فى النيلِ
لمن رأى النيل رأىَ العين من كَثَبٍ * ما أرى النيل إلا فى البواقيلِ[4]

والسَّقمقور[5] أيضا لا يخرج إلا منه .

---

(١) الزعاق : المرالمليط . (٢) أسحال : جمع سحل وهو الحرقة البيضاء . وفى الأصل : «سحال» ولم يرد هذا فى جمع سحل وانما جمعه أسحال وسحول وسحل . (٣) الشروب : الماء دون العذب يصلح للشرب مع بعض كراهة . (٤) البواقيل — كما فى معجم البلدان (ج ٤ ص ٨٦٨ طبع أوربا) — : كيران يشرب منها أهل مصر . وقد روى فى شفاء العليل وزهر الآداب (ج ٢ ص ١٨٠ طبع المطبعة الرحمانية) : «البراقيل» بالراء وفسره الحفاجى بأنه جمع برقال وقال إنه كوز من الزجاج . ولم نجد هذين البيتين فى ديوان أبى نواس وهو الذى نسب له البيتان . (٥) السقمقور كما فى خطط المقريزى (ج ١ ص ٦٦) : صنف يتوالد من السمك والتمساح فلا يشاكل السمك لأن له يدين ورجلين ، ولا يشاكل التمساح لأن دبره أحرد أملس عريض غير مضرس ، ودنب التمساح سخيف مضرس . وذكره ابن البيطار فقال : هو شديد الشبه بالورل يوجد بالرمال التى تلى نيل مصر فى نواحى صعيدها وهو مما يسعى فى البر ويدخل فى الماء — يعنى النيل — ولهذا قيل له الورل المائى لشبهه به ولدخوله فى الماء .

ورُوى فى الحديث عن الضحّاك بن مُزَاحِم أنه قال قَذَفَ[1] القُرات فى المَدّ رُمّانةً كأنها البعير البارك، وتحدّث أهلُ الكتاب أنها من الجَنّة .

وقال ابن ما سويه : ينبغى للماء الغليظ الذى ليس يَعسُر أن يُطْبَخ حتى يَذْهب منه بصفه، ثم يُطرَح فيه السَّوِيقُ أو الطينُ الأحمرُ فانه يلطّفه ويُذهب غائلتَه ويُعْذِبه ويمنع كَدَرَه .

قالت الأطباء : القُقَاع[2] المُتَّخَذُ من دقيق الشعير نافع من الجُدَام . والجُلَّاب[3] قاطع لكثرة دم الحيض، . والسَّكَنْجَبِين[4] نافع من الدُّبْحة اذا كانت من حرارة، يُشرب ويُتَغَرْغَرُ به .

باب اللّحمان وما شاكلها

قالت الأطباء : لحمُ الماعز يُورث الهمّ، ويُحرّك السوداءَ، ويُورث النسيانَ، وتَخْبُل الأولاد، ويُفسد الدم، وهو ضارٌّ لمن سكن البلادَ الباردةَ . وأَحْمَدُ اللّحمان ماخُصِيَ من المَعز . والضأنُ نافع من المِرّة السَّوداء[5]، إلا أن المَرورين الذين يُصْرَعون، اذا أكلوا لحمَ الضأن اشتدّ بهم ذلك حتى يُصْرَعوا فى غير أوانِ الصَّرْع . وأوانُ الصَّرْع الأهِلّةُ وأنصافُ الشهور .

---

(١) فى معجم البلدان لياقوت (ج٣ ص ٨٦١) : « ومما يروى عن السدىّ، والله أعلم بحته من باطله، قال : مدّ الفرات فى زمن علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه، فألقى رمانة فقطعت الجسر من عظمها، فأحدث فكان فيها كرّ حبّ، فأمر المسلمين أن يقتسموها بينهم وكانوا يروم من الجنة . وهذا باطل لأدعوا كه الجنة لم توجد فى الدنيا . ولولا ذكر هذا الخبر فى عدّة مواضع من كتب العلماء، استحرت كتابته » اه .

(٢) الققاع : شراب يتخذ من الشعير، سمى بذلك لما يعلوه من الزبد . (٣) الجلاب : باللام مشدّدة ومخففة : العسل أو السكر، عقد بوزنه أو أكثر من ماء الورد . (٤) السكنجبين : شراب من خل وعسل، ويراد به كل حلو وحامض . (٥) المرّة السوداء : خلط من أخلاط البدن .

قال الشاعر[١] :

كأن القومَ عُشُّوا لحمَ ضأنٍ * فهم نَعِجونَ[٢] قد مالت طُلَاهم

قالوا : واللحم أقلّ الطعام تَجْوًا[٣] . ولحم الدّجاج الهَرِم شرُّ اللُّحْمان وأغلظُها .

والبيْضُ إن سُلِق بالخَلّ ثم أُكل بالسُّمّاق[٤] وحبِّ الرمّان المُفَلَّق والملح والمُرِّيّ[٥] عقّل الطبيعةَ .

والزُّبْدُ إن طُلِي على منابت أسنان الطفل كان مُعِينًا على نباتها وطلوعها، والمخّ والدِّماغ يفعلان ذلك .

مَضارُّ الأطعمة ومنافعها

الكَمْأة[٦] والفُطْر[٧] — عن أبي هريرة أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم يذكرون الكَمْأةَ وبعضُهم يقول جُدَرِيّ[٨] الأرض ، فقال : "الكَمْأةُ من المَنّ[٩] وماؤها شِفاءٌ للعينِ والعَجْوةُ من الجنّةِ وهي شِفاء من السُّمّ" .

(١) هو غلان بن عقبة العدوىّ المعروف بذى الرمة . (٢) كذا فى اللسان (مادة نعج)، ونعجون : ثقل أكل لحم الضأن على قلوبهم، يريد أنهم قد انحوا من كثرة أكلهم الدسم فمالت طلاهم (أعناقهم) ، وفى الأصل « نعجون » بالياء الموحدة وهو تحريف . (٣) النحو : ما يخرج من البطن من ريح أو غائط . (٤) السماق : (بالتشديد) من شجر القفاف والجبال وله ثمر حامض عناقيد فيها حب صغار يطبخ ، وهو شديد الحمرة . (٥) المرىّ : يعمل عمل الملح الا أنه أقوى منه وألطف . وفى مفردات ابن البيطار : «وليس يوافق البيض وخاصة المسلوق منه أصحاب المعدة الضعيفة فإذا اضطر الى إدمان أكله فليؤكل بالملح والفلفل والمرىّ» . وفى الأصل : «والملح المشوى» وهو تحريف . (٦) الكمء : نبات مستدير كالقلقاس لا ساق له ولا عرق ، لونه الى الغبرة والسواد ، يوجد فى الربيع تحت الأرض . وهو عديم الطعم وأنواعه كثيرة يؤكل بيثا ومطبوخا . (٧) الفطر : ضرب من الكمأة قتال . (٨) شبهت الكمأة بالجدرى ، وهو الحب الذى يطهر فى جسد الصبى ، لظهورها من بطن الأرض كما يظهر الجدرى من باطن الجلد ، ويراد بذلك ذمها (انظر النهاية لابن الأثير) .

(٩) معنى الحديث أن الكمأة شىء أنبته الله من غير سعى ولا مؤونة من أحد ، وهو بمنزلة المنّ الذى كان ينزل على بنى اسرائيل .

الأصمعيّ عن بعض مشايخه قال : ثلاثة أشياءَ رُبَّما صرَعت أهل البيت عن آخرهم الحرادُ، ولحوم الإبل، والفُطْر .

وتقول الأطبّاء: إنّ أردأَ الفُطْر ما نَبَت بحذاء طلال السحر، وأردأه كلّه ما كان في طلّ شجر الرمّان فإنه قتّال .

قالوا : والكُمْأَة إذا طُبِخ مع الفُطْر أذهب ضررَه .

قالوا والفُطْرُ يُورِث الذُّبْحَةَ(١) .

قدِم أعرابيٌّ المِصْرَ فأكل فُطْرا، فأصابته ذُبْحة، فقيل له إن الطبيب يبعث أن يُحْلَب في فيك، فقال . ما رأيت أسمع باللئيم الرَّاضِع(٢) ولا والله لا أكونه، قالوا : فتموت إذًا، قال وإن متُّ .

وتقول الأطباء إنْ أكل آكِلٌ الفُطْرَ فأضرَّ به، سُقِي الكُمْأَة المعصورَ وسُقِي من خُرْء الدَّجاج وزنَ درهمين مع حَلّ وعسلٍ مطبوخ وقُفِّيَ به .

قالوا . والكَمْأَة تُورِث وجع القُولَنج(٣) والسَّكْتَة والفالِج ووجَع المَعِدة .

قالوا : والدبّاب لا يَقْرَب قِدْرًا فيه كَمْأَةٌ .

ومن أراد اتّخاذَ الكَمْأَةِ اليابسةِ جعلها في الطِّس الحُرِّ يومًا وليلةً ثم غسلها واستعملها .

يُحكى عن فتًى من أهل الكتّاب أنه قال كنا في طريق مكّة بالحُرَيْمِيَّة(٤)، فإذا أعرابيٌّ بكَمْأَةٍ في كِساءٍ قَدْرَ ما أطاق، فقلنا بِكَمِ الكَمْأَةُ ؟ قال بدرهمين ،

(١) الذبحة داء يأخذ في الحلق ويخنق .

(٢) يذكر المؤلف أنه الذي يرضع الحلب فلا يحلبه في الإناء لئلا تسمع صوت الحلب، وقال بعضهم لئلا يسمع من اللبن شيئا .

(٣) القولنج مرض معويّ مؤلم يصحبه حبس شديد للغائط والريح، والفالج الشلل .

(٤) الحريمة منزل من منازل الحاج بعد الثعلبية بالكوفة وبعد الأحمر ودون يوم منه وبين الثعلبية ثلاثون ميلا، وقيل إنه "الخريبة" بالخاء المهملة .

فاشتريناها منه ودفعنا الثمنَ إليه ، فلما مضى قال له بعضنا : « ى آستِ المَعْنُون عودٌ[1] » ، قال . بل عودان ، وضرب الأرضَ برجله ، فاذا نحن على الكمأة .

قال بعض الشعراء :

حَيَيْتُها تملأ كفَّ الحانى * سوداءَ مما قد سَقَى السَّوانِى[2]
* كأنها مدهونةٌ بالبانِ[3] *

وهذه صفة أحود الكمأة وأقلها أذى .

البصل والثوم

دخل داخلٌ على نَصْر بن سيّار وحوله سَوْنَ له صِغارٌ ، فقال : هل تَدْرُونَ ما ولدى هؤلاء ؟ هؤلاء سو البصل ، وكان يأكله نِيئاً ومشوياً ومطبوخا .

والأطبّاء تقول فى البصل إنه يشهّى الى الطعام إن أُكل مشوياً أو نِيئاً ، ويشهّى الى الجماع . وإن دُقّ وشُمّ عَطَس وشَهّى الطعامَ . وإن اكتُحِل عائه مع العسل جلا البصرَ . وإن وُضع مع الملح والسِّنابِ[4] على عَضّه الكلْبِ الذى ليس بكَلِبٍ نَفَع . والإكثارُ منه يُفسد العقلَ . والمسلوقُ منه يُدِرّ البولَ والدَّمعة .

(١) مثل يضرب لمن مضى . (٢) السوانى جمع سانية وهى ما يسقى عليه الزرع والحيوان من بعير وغيره (٣) البان شجر يسمو ويطول فى استواء مثل سائر الأثل ، وورقه هدب كهدب الأثل ، وخشبه خوار وخوره خفيف ، وغصنانه سمحة خضر ، وهدبه شبيه بالقضب ، وهو طويل أخضر شديد الخضرة ، وثمرته تشبه قرون اللوبيا إلا أن خضرتها شديدة وفيها حبه ، واذا انتهى النضج واشتد ، حبه أبيض أعسر مثل الفستق ومنه يستخرج دهن البان . (راجع مفردات ابن البيطار) .
(٤) السناب . نبت هزع فروعا تطلع من ساقه له غصيرة متشعب عليه شعب مثل الأغصان ، وتحمل فى أطراف أغصانه رءوسا تنفتح عن ورد صغار الورق أصفر ، واذا انتشر سقط منه الحب ، وله طبائع وخواص مذكورة فى كتب الطب .

العصافير إن أُكلتْ بالزَّنجبيل والبصل هيّجت شهوةَ الجماع وأكثرتِ المَنِيّ .

عن طارق بن شِهاب قال : بعث سُليمان النبيّ عليه السلام بعضَ عفاريته وبعث معه رجلًا وقال : رُدَّه إليّ وانظرْ الى صنيعه . فمرّ على أهل بيتٍ يبكون فضحِك ، ودخل الى السوق ونظر الى الناس فرفع رأسَه الى السماء وهَزّه ، ونظر الى الثُّوم وهو يُكال [كيلا] والفُلْفُلِ [وهو] يُوزَن وزنا ، فضحك . فلما ردّه الى سليمانَ عليه السلامُ وأخبره بما جرى منه ، قال : لِمَ ضحِكتَ من أهل البيت ؟ ولِمَ هَزَزْتَ رأسك حين نظرتَ الى السوق ؟ ولِمَ ضحكتَ من الثُّوم والفُلفل ؟ قال : أمّا أهلُ البيت فإنّ الله أدخل مَيِّتَهم الجنّةَ وهم يَبكون عليه ، ونظرت الى الناس فى السُّوق والملائكةُ من فوق رُءوسهم ، والناسُ يُمْلُون والملائكةُ سِراعًا يكتبون ، فهززتُ رأسى ، ونظرتُ الى الثُّوم وهو شِفاءٌ يُكال كيلا ، والى الفلفل وهو داءٌ يوزن وزنا . وعن وَهْبٍ : أنّ سليمان(١) عليه السلام قال : مم كنتَ تضحك ؟ قال إنى مررتُ برجل يشترى خُفّين ويقول لصاحبهما : شَرْطى عليك أنْ ألبَسَهما عشرَ سنين لايتخرّقان ، فعَجِبتُ كيف شَرَط أملَه ونسِى أجلَه . ومررت بعجوزٍ دُهْرِيّة(٢) تَتكهّن وتُخبر الناسَ بما لايعلمون ، والّذى سَخّر لك الريحَ وأذلّ لك الجنّ وعَبّدلك الشياطينَ إنّى لأعلم فى بيتها تحت فراشها مطمورةً(٣) فيها قناطيرُ من ذهب وفضّةٍ وهى لا تدرى ما تحتها ، وقد ماتت هَزْلًا(٤) وجوعا وحاجةً . ومررتُ بأُخرَى دُهْرِيّةٍ تتطبّب وكان بها

(١) فى قصص الأنبياء (ص ٢٤٣ طبع بولاق) : «أن سليمان عليه السلام دعا صخرا الجنّ لتحت الجواهر من غير تصويت ، فأقبل مسرعا مع الرسل حتى دخل على سليمان ، فسأل سليمان رسله عما أحدث صخر فى طريقه ، فقالوا : يا نبى الله إنه كان يضحك فى بعض الأحايين من الناس ، فقال له سليمان ... الخ» وقد ورد فى الحكاية تقديم وتأخير مع اختلاف فى بعض الألفاظ . (٢) الدهرية (بضم الدال) : هى التى أتى عليها الدهر وطال عمرها . (٣) المطمورة : الحفيرة تحت الأرض . (٤) الهزل : الضعف .

مرّة داءً، فأكلتِ البصل فصادفتْ منه بُرءًا، فظنّت أنه حَسَم داءَها وشفاها، فهى تَصِفُه للناس من كل داء. وقد كان فى ظهرها ربحٌ حبِستْ[1] منذ زمانٍ فأكلتِ الثُّوم أحدًا وعشرين يومًا فسَقِيت منه، فعَجِبتُ لها كيف تَدَعُ أن تَصِفَه. ومررت برجلٍ على شاطئ نهر يستقى منه فى قُلّة له ومعه بغلة، فلما سقَى البغلةَ ملأ القلّة ورَبَط البغلةَ بأُذُن القُلّة وذهب لبعض حاجته، فعَثَرت البغلةُ وكسرت القلّة، فجعل يلعن الشيطان، ويَرُدّ عقلَه ونسِى فعلَه. ومررتُ بقومٍ يذكرون الله فاجتهدوا وتَصِبوا وأبتهلوا، فلما أطَلّت الرحمةُ مَلّ رجل منهم فقام، وجاء آخر لم يَنصَبْ معهم فجلس مجلسه، فراث الرحمةُ فدخل فيها معهم وحُرِمَها الأوّلُ، فعَجِبتُ من سعادة هذا وشقاوة هذا.

وقول الأطِبّاء: إن الثُّوم إذا شُوِىَ بالنار ووُضِع على الضِّرس المأكول ودُلِكتْ به الأسنان التى يَعْرِض[2] فيها الوجع من الرطوبة والريح، أذهب ما فيها بإذن الله من الوجع.

قال: وهو ينفع من العَطَش الحادث من البلغم، ويوم مقام التِّرياق فى لَسْع الهوامّ، والأمراض الباردة.

ويقول الرومُ فى الثُّوم: إنه دواء لمن أصابه وجَعُ السَّوْق[3] فى بطنه. وإن أكلَه مَن طهر [فيه][4] حَرَّه من شَرًى[5] أو عيره أبرأه. وإن دُقّ الثُّوم ياسًا فأُغلِى بسَمْنٍ ولبن ثم جعله مَن ينسكى ضِرسَه فى فيه سُخْنًا فأمسكه ساعة، ذهب وجَعُ ضرسه؛ وهو نافع لمن آجتوى[6].

(١) وردت هذه الجملة فى الأصل محرّفة هكذا: «حتهارماب».

(٢) يعرض: يظهر. (٣) السوق: مرض يقع فى المعى وهو المعروف فى الطب بالاستسقاء أو الصفار. وفى الأصل: «السقيا». (٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) الشرى: ثور بعضها صغار وبعضها كبار حكاكة مكروهة ماسة الى الحمرة مائية. (٦) آجتوى: من الجوى وهو داء السل أو داء يأخذ فى الصدر أو هو كل داء يأخذ فى الباطن لا يستمرأ معه الطعام.

الكـــراث

قالت الأطباء : الكُرّاث النَّبَطِيّ اذا أُدمِن كانت فيه أحلامٌ رديئة ، وولّد بُخَارًا فى الرأس رديئاً . وإن صُبّ فى مائه خلٌّ ودُقَاق كُنْدُر[1] واسْتُعِطَ به سَكَّن الصُّدَاع . وإن سُلِق أو طُبِخ وأُكِل أو ضُمِّد به البواسيرُ العارضةُ من الرطوبة نفَع منها .

وماءُ الكراث إذا خُلِط بمثله من أَلْبانِ النساء ودُهْنِ الوردِ والكُنْدُرِ وكُحِّل به عينُ من أصابته غَشَاوةٌ فى عينه فلم يُبْصر ليلًا نفعه . وأكلُ البصل نافعٌ لذلك أيضا .

الكُزْنُبُ والقُنَبِيط

قالوا : الكُزْنبُ مُعِينٌ على الإكثار من النبيذ إذا أُكِل ، وهو مُدِرٌّ للبول . وقالت الروم : بين الكُزْنبِ والكَرْم عداوةٌ ؛ ولا يكاد يَصْلُح الكَرْمُ والكُزْنُب اذا تجاورا . قالت الأطباء : إن احتملت [المرأة][2] زِرّ الكُزْنب بعد الحَيْض أسهل المَنِيّ وأفسده ولم يكن معه حمل ، وشربُ مائه مع الشِّيح الأرْمَنِيّ غير المطبوخ أو ماءِ التُّرْمُس المُنْقَع مُخْرِجٌ لحَبّ القَرْع[3] من البطن . والقُسْطُ[4] أيضا خاصّةً بزْرُه يُفْسِد المَنِيّ إذا احتملتْهُ المرأة بعد طُهْرِها ؛ ومقدارُ ما يُحْتمَل وزنُ درهمين .

وتقول الروم : الكُزْنب إن طُبِخ وحُلِط ماؤه بالحَنْدَقُوق[5] وسُقِى المرأةَ التى تأخّر حَيْضُها حاضت لحينها .

---

(١) الكندر ضرب من العلك وهو اللبان الذكر .

(٢) زيادة يقتضيها السياق . (٣) حب القرع : اسم درد يكون فى العلى . (ابن البيطار ج ١ ص ١٥١) . (٤) القسط . عود هندىّ يداوى به . (٥) الحندقوق : بقلة وحشيشة كالحلث الرطب (شجر يبيت فى السهول والآكام وله حب كالحمص) وقيل هو الهيد ، والهيد : الحنطل ، سطىّ معرّب ويقال لها بالعربية : الدرق .

قالوا : وادا حُلط ماءُ الكُزْبَر بالبَنْج[1] كان نافعا للسُّعال .

قال أبو محمد : شكوتُ الى حُيَيّ الطبيب عِلّةً كنتُ أجِدُها فى حَلْقى لا أكاد أبتلِعُ معها رِيقى ؛ فقال : هى بيّنة فى عينك . فتَغَرْغَرْ بعَقيد العنب مع خميرٍ ثلاثةَ أيام فى كل يوم ثلاثَ مرات ، ففعلتُ ذلك يوما واحدًا فذهب .

قالوا : وادا دُقّ الكُزْبَر وخُلِط به شئٌ من زَاج[2] الأساكفة وشئٌ من خلّ ، فأُوجِف[3] ذلك بالخَطْمىّ[4] ، ثم طُلِى به بَرَصٌ أو جَرَبٌ نفع باذن الله تعالى .

السَّلْجَم[5] والفُجل

تقول الأطباء فى الفجل : إنه مهيِّج للجماع زائدٌ فى المَنِىّ ، وبِزْرُه نافعٌ من السموم قالوا : والفُجل هاضِمٌ للطعام ، فإن أُكِلَ بِزْرُه بعسل كان دواء من السُّعال والفُوَاق ؛ واذا شُدِخَتْ[6] قطعةُ فجل فطُرِحت على عَقْرب ماتتْ ؛ وماؤُه وبِزْرُه للسموم بمنزلة التِّرياق . وأذا طَلَى أحدٌ يدَه بمائه ثم قبض على حيّةٍ أو غيرها من الهوامّ لم يُضارَّ ذلك

(١) البنج : هو الشيكران بالعربية ، وهو نبت له قضبان غلاظ وورق عراض صالحة الطول مشققة الأطراف الى السواد ، عليها زغب وعلى القضبان ثمر شبيه بالبلوط مملوء ببزر شبيه ببزر الخشخاش (ابن البيطار ج ١ ص ١١٧) .

(٢) الزاج : الشب اليمانى ، وجاء فى مفردات ابن البيطار أن الزاج العراقى هو المعروف بزاج الأساكفة . (٣) أوجف : حرك . (٤) فى الأصل كالخطمى . والخطمى نبات ينفع الأمراض الصدرية . (٥) السلجم : يلاحظ هنا أنه لم يتكلم عنه فى هذا الباب من هذا الكتاب ، وربما كان ذلك عن نقص فى النسخ . ونحن ننقل هنا باختصار ما قيل عنه فى كتاب الجامع لابن البيطار إتماما للفائدة قال : السلجم ، وقد تعجم سينه ، هو اللفت . وبزر هذا النبات يهيج شهوة الجماع لأنه يولد رياحا نافخة ، وأصله نافع عسر الانهضام ويزيد فى المنى ، وقلوب ورقه تؤكل مطبوخة فتدرّ البول ، وبزره يستعمل فى أخلاط بعض الأدوية المحبوبة النافعة من لسع دوات السموم ، واذا عمل السلجم بالماء والملح كان أقل لغذائه اذا أكل ، غير أنه يحرّك شهوة الطعام . (٦) كذا فى مفردات ابن البيطار . وفى الأصل «واذا شدخ والرطب فطرحت» وهو تحريف .

الموضعُ. قالوا . وإن دُقّ بِزْره مع الكُنْدُر وطُلِي به البَهَقُ الأسودُ فى الحمّام أذهبه. وإن شُرِب ماءُ ورَقِه نفع من الأَرَقانِ(١) الحادِث من الطِّحال .

البَـاذِنْجَان

قالوا : والبادِنْجان مُكْلِف(٢) للوجه يُورِث داءَ السَّرطانِ والأَوْرامَ الصُّلْبَه . وحدّثنى أبى عن أبى الحـارث حُمَيْرٍ أنه سمعه يقول فى البادِنْجان : لا آكلُه ، لون العقرب وشَـهُ المِحْجَمه(٣) . قيل له . فقد رأيناك تأكله على حِوَار فلانٍ ! قال كان مَيْتَةً وأنا مُضْـطَرّ .

الخِيَـار والقِثّـاء

قالوا : شَمّ الخِيَار نافع لمن أصـابه العَشْيُ(٤) من الحراره . وبِزْر القِثّاءِ اذا سربه من به حُمّى الأسى(٥) نفعه. وإن أصابت رصيعا حُمّى فألزقتَ به خِيارتين تَمَسّان جلدَه إحداهما عن يمينه والأخرى عن شماله ، أقلعت الحُمّى عنه .

السِّـلْق

قالوا : والسِّلق إن دُقّ مع أصله وعُصِر ماؤُه وغُسِل به الرأسُ دهب بالأَرَنة وأطال الشعر .

---

(١) الأرقان لغة فى البرقان وهو، كما فى اللسان والقاموس وشرحه، داء يصيب الناس يصفرّ منه الجسد، وفى الأصـل « الأرقال » باللام وهو تحريف . (٢) مكلف معير للوجه بحمرة كدرة تعلوه تسمى الكلف وتعرف بالنمش . (٣) المحجمة : قارورة الحجام .

(٤) العشى بالفتح ويضم : تعطّل أكثر القوى المحرّكة والحساسة لضعف القلب من الجوع أو الوجع .

(٥) كذا بالأصل ، ولعله « الأسر » وهو احتباس البول .

الهِلْيَوْن[1]

قالوا : والهِلْيَوْن مُدِرٌّ للبول، نافع من القُولَنْج .

القَـــرْع

قالوا : إذا شُوِيَ القرعُ بالنار ثم عُصِر بخِرْقة من مائه فى أُذُن من آشتكى أُذُنَه نفعه . وإن دُهِنت منابت شعر القَحْفة بدهن القرْع المُرّ، وقِثّاءِ الحِمار[2] مُنابًا فيه شِيحٌ أرمَنِيّ أسرع فيها نباتُ الشَّعر .

البقـــول

قالوا : والخِرْجيرُ رائد فى الباه والإسهاط مُدِرٌّ للبول . وتذكر الروم أنّ من أكل الجرجير ثم صُرِبَ بالسِّياط هَوَنَ عليه بعضَ ذلك الجَلْدِ . قالوا : وهو يسمع من دفر[3] الإسْطَيس إذا أُكِلَ على الريق وطُلِيَ الإسْطان بمائه . وتزعم الروم أنّ ماءه يسمع من عَصَة[4] آبن عِرْس .

وقال بعض الأطباء . إن دُرَّ بِزْرُ الخِرْجير مدقوقًا فى البيض وحُشِيَ كان ذلك رائدا فى الباه والإسهاط زائده تنبيه . قال أبو حاتم عن القَحْذَميّ قال . أكله أعرابيّ فأسهط شهرا، فقال العرزدق يَفْخَر به :

---

(١) الهليون : نبت ورقه كورق الثوم ولا ساق له الساق وله زهر مدوّر أحمر ثم يسود و حمز (مفردات ابن البطار، ج ٤ ص ١٩٥). (٢) قثاء الحمار : نوع من أنواع القثاء . وفى الأصل «قثاء الخيار» وهو تحريف . (٣) الدفر : رائحة الإسطيس الكريهة . (٤) كذا فى نهاية الأرب للنويرى فى باب الخضراوات والبقول ومفردات ابن البطار فى اسم الخرجير . وفى الأصل وردت هذه الفقرة هكذا «عصة ابن مقرض» وهو تحريف

ومنا التميمىُّ الذى قام أَيْرُه * ثلاثين يومًا ثم زَادَهُمُ عَشْرَا[1]

قالوا : والسَّذَّاب[2] قاطع لشهوة الجماع . وقالت الروم : إن أَكلتِ امرأةٌ حاملٌ أربعةَ مثاقيلَ[3] كلَّ يوم بماء سُخْنٍ أو نبيذٍ خمسةَ عشر يوما أسقطتْ ولَدَها .

وقال بعض الشعراء :

كم نعمةٍ للسَّذَاب * جَليلةٍ فى الرِّقاب
النـاسُ عنها غُفُولٌ * إلّا ذَوِى الألبـاب
فالحمـد لله شكرًا * لولاَ مكانُ السَّذَاب
لَغَيَّبَ[4] الأرضَ نسلُ الـ * ـمُغْتَنِّيات القِحاب

قالوا : والبقلةُ[5] الحمقاء اذا مُصغت أذهبتِ الطَّرَش ، واذا أُكلت أذهبتْ شهوةَ الجماع . والروم تقول : إن نظر ناظرٌ عند رؤيه الهلال الى الهِنْدِبَاء[6] فحلف بإله القَمَرِ ألّا يأكلَ هِنْدِباءَ ولا لحمَ فَرَس ، سَلِمَ فى كلّ شهر يحلِف فيه من وجع الضِّرس .

قالت الأطباء : الخَسُّ اذا أُكِلَ على الريق نافعٌ لتغيير الماء ومن يتأذّى باحتلام . واذا شُرِب بِزْره بماءٍ باردٍ [قطع شهوةَ[7] الجماع] .

(١) كذا بالأصل ولم نجد هذا البيت فى ديوان الفرزدق ، ولعله أجرى الأيام مجرى العاقل أو لعلها «ثم قد زادها عشرا» أو «ثمّ أتبعها عشرا» أو نحو ذلك . (٢) تقدّم شرح هذه الكلمة فى ص ٢٨٣ من هذا المجلد . (٣) تمام الكلام يحتاج الى أن يكون بعد كلمة «مثاقيل» من «السذاب» أو «من برر السذاب» . (٤) فى الأصل : «تعيب الأرض» . (٥) يقال : بقلة الحمقاء بالاضافة على تأويل بقلة الحبة الحمقاء ، والبقلة الحمقاء بالنعت . قال ابن سيده : هى التى تسميها العامة الرجلة . (٦) الهندباء . صنفان برى وبستانى والأوّل أعرض ورقا من الثانى ، والبستانى صنفان : أحدهما قريب الشبه من الخس عريض الورق والآخر أدق ورقا منه وفى طعمه مرارة (مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ١٩٨) . (٧) الكلمة عن ابن البيطار فى كلامه على الخس .

قالوا : والخَرْدل إن أُكثِرَ من أكله أورَثَ ضعفا فى البصر، وهو مُكثِّر للبن مُدِرٌّ للبول ، وهو نافع من الصَّرْع . وإن اكتُحِل بمائه بعد أن يُغْلَى عليه ويُصَفَّى جلا البصرَ الضعيفَ من الرطوبة . وتزعم الروم أن ماءه يَصْلُح للأطفال من الحُمّى اذا أصابتهم . وهو يُفسِد الذهن ويُورِثُ النِّسيانَ ويُضعِف البصرَ .

قالت الأطباء : النَّعْنَاع[1] يُسَكِّن القىء ، وينفع من القُوَاق الحادث من البلغم اذا شُرِب مع النُّمَّام.

وتقول الروم : الحَبَق[2] الذى على شطوط الأنهار نافعٌ للرَّمَد اذا دُقّ وخُلِّل واكتُحِل به، وإن مضغه ماضغٌ ووضعه على عينه نفعه .

وأما الفُوذَنْج[3] النَّهرِى — [فإنه] يُدِرُّ الطَّمْث[4] . وإن أُخِذَ من الفُوذَنْج الجبلىّ أُوقِيَّةٌ وطُبِخ بنصف رِطل من ماءٍ حتى يبقى الثلثُ ويُشرَب، سَهّل السَّوْداء .

وقالت الأطباء : الحَنْدَقُوق[5] يُورِثُ وَجَع الحَلْق، ويَذْهَب بصره مَن يأكل بعده الكُزْبَرة الرَّطْبَة والبَقْلَة الحَمْقَاء والهِنْدِباء .

والطَّرْخُون[6] يُؤكل مع الكَرَفْس .

قالوا : والرَّاسِن[7] ينفع من قِطَار البول اذا كان من بَرْدٍ، ويُقَوِّى المثانةَ .

---

(١) النعنام : نبت ورقه كالسذاب، له زهر كالريحان، عطرى قوىّ الرائحة، سمى بذلك لسيطوع رائحته . (٢) الحبق : سات طيب الرائحة . (٣) الفوذنج : نبت، معرّب عن بودينه، و يقال فيه : فودنج (باهمال الدال وضم الأول والرابع) . وأجناسه ثلاثة : برى وبهرى وجبلى ولكل منها أوصاف وخواص تجدها مفصلة فى مفردات ابن البيطار. (٤) الطمث : دم الحيض.
(٥) تقدم شرح هذه الكلمة فى ص ٢٨٦ من هذا المجلد . (٦) قال ابن البيطار : الطرخون : بقلة معروفة عند أهل الشام وهى قليلة الوجود بمصر . وقال أبو حنيفة . ورقه طوال دقاق .
(٧) الراسن : نبات يشبه الزنجبيل .

قالوا : والكَشُوثُ[١] يَذْهب بالأَرَقان .

قالوا : وعِنَبُ الثعلب قاطعٌ لدم الحيض إن شُرِب أو احْتُمِل .

وقالوا : الكَرَفْسُ[٢] اذا طُبِخ وشُرب كان دواءً من وجع الكُلْيَتَيْن ومن الأُسْر[٣] .

باب الحبوب والبزور

تقول الأطبّاء فى حَبّ الفُلْفُل : اذا خُلِط بالسَّمْسِم وعُجن بعسلِ الطَّبَرْزَذ[٤] يَزيد فى الجماع .

والعرب تزعُم أنّ الحبّة الخضراءَ وشُرْبَ ألبان الإبِلِ عليها تبعَثُ الشَّهوةَ .

قال جرير :

أجَعْثَنُ[٥] قد لاقَيْتِ عمرانَ شارِبًا[٦] * على الحبّة الخضراءِ ألبانَ إبِّلِ[٧]

والحِمّص زائد فى الجماع ، مُكْثِرٌ للمَنِيّ ، محسِّن لِلّون ، زائدٌ فى لبن المُرْضِع ، يُدِرُّ دَم الحيض ، وإن خُلِط بالبَاقِلّاء أسمَنَ .

---

(١) الكشوث (بالفتح وهى أفصح لغاته) قال ابن البيطار : هو شىء يتعلق بالنبات مثل الخيوط يشرب من ماء النبات الذى يتعلق به ولا أصل له فى الأرض ولا ورق ، لكن فى أطراف فروعه ثمر لطاف وهو يسمو فى الشجر وتشتبك فروعه ، ويكثر فى الكروم الرطاب ، وكثيرا ما يفسد النبات ... الخ .

(٢) الكرفس : (بفتح أوّله وثانيه وسكون ثالثه) : نبت معروف وهو من أحر البقول عظيم المنافع .

(٣) الأُسْر : احتباس البول . (٤) الطبرزد : السكر الأبيض . (٥) جعثن : اسم امرأة وهى أخت الغرزدق .

(٦) كذا فى لسان العرب مادة « أول » وفى الأصل : « سار يا » بالسين والياء وهو تحريف

(٧) الإبل (بكسر الهمزة وفتح الياء المشدّدة) : جمع أيل (بفتح الألف وكسر الياء المشدّدة) (وهو الذكر من الأوعال) . واختير الجمع هاهنا على الإفراد مع أن كليهما يترن الشعر ، « لجمع ألبان » ، إذ لو كان واحدا لقال لبن أيل (انظر اللسان مادّة أول) .

الأصمعيّ قال : قلت لابن أبي عُطارد : بلغني أنّ أباكَ كان ذا منزلة من ابن سِيرين، فما حَفِظتَ عنه؟ قال قال أبي : قال لي ابن سيرين : يا أبا عُطارِد، إن سَوِيق العَدَس بارد وهو يَدفعُ الدَّمَ .

قالت الأطبّاء : إنّ الخَرْدَلَ، نافعٌ من حُمّى الرِّبْع(١) والحُمَّيات المتقادِمة ووجع الأرحام ويُحَفِّف(٢) من البلغم، ويُنْزِل الرطوبةَ من الرأس، وإن أُكِل مع السِّلْق المسلوق نفع من الصَّرْع، وإن طُلِيَ البَرَصُ به زال .

وقالت الأطباء: الحُرْفُ(٣) يُخرِج حَبّ القَرْع من البطن، وينفَع من عِرْق النَّسَا ووَجع الوَرِك . وإن سُخِّن بالماء الحارّ وشُرِب منه وزنُ أربعةِ دراهمَ أو خمسة أسهلَ الطبيعةَ ونفَع من القُولَنْج .

وقال رجل من قُدماء الأطبّاء في البَاقِلَّاء(٤) : إنه اذا أُدْمِن أكلُ البصَر، وأحال الأحلامَ أضغاثاً لا يُنتفَعُ بها ولا يجد عابرُ الرؤيا إلى تأويلها سبيلا .

ودهن الشَّاهْدَانِج(٥) نافعٌ لوجع الأُذن العارض من البَرْد والعِلَل المتقادِمة منها .

---

(١) حمى الربع هي التي تأتي في اليوم الرابع، وذلك أن يجم يوما ويترك يومين لا يجم ويجم في اليوم الرابع . (٢) لم تتبين مكان هذه النقط في الأصل فقد وقعت في أول الصفحة ولم تظهر بالتصوير . وفي مفردات ابن البيطار في الكلام على حواص الخردل أنه « يجفف اللسان الثقيل من اللغم » . (٣) الحرف (بالضم) حب الرشاد . (٤) أنظر شرحه في ص ٢٥٦ من هذا الجزء . (٥) الشاهدانج (ويقال فيه شاهدانك وشاهدانق وشهدانج بغير ألف بعد الشين) : القنب (بكسر القاف وتشديد النون مفتوحة) وهو نبات ذو قضبان طويلة نارعة منتن الرائحة وله حب مستدير يؤكل وتتخذ منه حبال قوية .

باب الفاكهة

عن مَعْمَر بن خُثَيم عن حدّثته قالت : سمعت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : اذا أكلتُم الرُّمّانَ فكلوه بشحمه فإنه دِباغ للمَعِدة ، وذلك يومَ الجمعة على المِنبر .

الأصمعيّ : قيل لأعرابيّ : لِمَ تُنغِص الرمّانَ ؟ قال : لأنه مَنْحَرة[1] مَحْفَرة مَجْمَرة .

قال : وقال يحيى بن خالد : شيئانِ يُورِثانِ القملَ : التّينُ اليابس اذا أُكِلَ ، وبحار اللُّبان اذا بُخِّر به .

وقالت الأطبّاءُ : ورق الخوخ وأقماعه إن دُقّ وعُصر وشُرب أسهل حبَّ القَرْع والدِّيدانَ والحيّاتِ المتولّدة فى البطن ، وإن صُبّ ماءُ ورقه فى الأذن أمات الدّيدانَ فيها ، وإن دُلِّك بورقه بعد النُّورة[2] قطع ريحَها .

وحُمّاضُ الأُتْرُجّ[3] إن لُطِخ به الكَلَفُ والقُوبُ أذهبه . وحَبُّ الأُتْرُجّ نافعٌ من السّموم .

---

(١) منحرة : مظنة للنحر وهو تغير ريح الفم . ومحفرة أى أنه يذهب شهوة الطعام . ومجمرة بذ يبس الطبيعة أى انه مضة لذلك ، ومنه حديث عمر رضى الله عنه «ويل لكم وويل لعداتكم من مجمرة مجمرة» . (انظر اللسان والقاموس مواد نحر وحفر وجمر) (٢) النورة (بضم النون) : حجر الكلس ، ثم غلبت على أخلاط تضاف الى الكلس من زرنيخ ونحوه ، وتستعمل لإزالة الشعر . قيل عربية وقيل معرّبة ، قال الشاعر :

فابعث عليهم سنة قاشوره * تحتلق المال كخلق النوره

وسنة قاشورة : مجدبة تقشر كل شيء (انظر المصباح المنير مادة نور) . (٣) حماض الأترج ما فى جوفه ، قال ابن البيطار فى مفرداته نقلا عن الحسفة الديورى الأترج كثير بأرض العرب وهو مما يغرس غرسا ولا يكون بريا ، وأخبرنى بعض الأعراب أن شجرته تبقى عشرين سنة تحمل وحملها مرة واحدة فى السنة ، وورقها مثل ورق الخوخ وهو طيب الرائحة ، وقماحه شبيه بقماح الترنج إلا أنه ألطف منه .

وورق التُّفّاح الغضّ إن دُقّ بالرّفق أيّامًا خمسةً أو ستةً ثم ضُمِد به الوَشْمُ قلعه من غير أن يَقْرَحَ موضعَه .

عن الزُّهريّ قال : حدّثني رجلٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من بات وفي بطنه جَزَرةٌ أو جزَرتانِ أو ثلاثٌ أمِن القُولَنْج والدُّبَيْلة[1] " .

والفُسْتُق : إن دُقّ وشُرِب بالمطبوخ الشديد نفَع من لَسْع الهَوَامّ .

واللُّفّاح[2] : سمّ ، وربما قتل آكلَه . وتُدفع مضرّتُه بالقيء بالشّراب والعسل والإسهال وشَمّ[3] الفُلْفُل والخردلِ والجندبادستر[4] والسَّذاب والتَّعطُّس .

قال وحدّثني شيخٌ من الدّهاقين عالمٌ بأيام العجم : أن بُزُرْجِمِهْر قال لأهل الحبس : سلُوا الملك أن يَرْزُقَكم مكان الأُدْمِ الأُتْرُجّ ، ليكون القشر لطيبكم ، ولَحْمتُه لفاكهتكم ، والحُمّاض لصاغكم ، والحَبّ لدُهنكم . فكان ذلك أوّل ما عُرِفت به حكمتُه .

---

(١) الدبيلة (وزان جهينة) : جراح ودمّل كبير ، تظهر في الجوف فتقتل صاحبها عالما .

(٢) اللفاح (وزان رمان) : ثمر البيروح ، وهو أصغر طيب الرائحة فيه حب شبيه بحب الكمثرى والبيروح صنفان . أحدهما يعرف بالأبيض ولونه الى السواد و يقال له ريوفس أي الخبيث لأن في ورقه مشاكلة لورق الحنس إلا أنه أدق من ورقه وأصغر ، وهو رهم ثقيل الرائحة يبسط على وجه الأرض وليس له ساق . والآخر يعرف بالذكر له ورق بيض ملس كأوراق عراص شبيهة بورق السلق ولونه كالزعفران ، طيب الرائحة مع ثقل ، وتأكله الرعاة فيعرض لها يسير سبات وليس له ساق أصلا ، واللفاح أيضا : نوع من الطيخ صغير جسمه مخطط ورائحته طيبة الشم . (٣) في ابن البيطار في الكلام على اليروح أن ضرر اللفاح يعالج بأكل الفلفل وشرب الجندبادستر والسذاب والخردل . (٤) كذا في مفردات ابن البيطار وفي الأصل : « الحندجدستر » .

باب مصـالح الطعام

قال رئيس من رؤساء الطبّاخين . العجينُ يُمْلَك . وفى الحـديث المرفوع : " أمْلِكُوا[1] العجينَ فإنه أحدُ الرَّيْعَيْن" .

السَّوِيقُ : يُغْسَل بالمـاء الحارّ مرّاتٍ ثم بالبارد ويشرب .

والمِـلْح : يُتَقَبَّل به الطبخُ .

والخَـلُّ : يُنْضِج العَدَس ويُصلِحه للأكل .

البَـاقِلَّى : يُنْقَع ثم يُطبخُ . ولا يُؤكَلُ من الفاكهة إلا ما يَصلح على شحره، ويُلْقَى ثُفْلُه وعَجَمُه[2]، ويؤكل على ريق النَّفْس .

والعِنَب : يُقطف ويُمهل أيّاماً ثم يؤكل . ولا يُؤكل من القِثّ[3] إلا لُبُّه . ولا يُؤكل من الرأس إلا أسنانُه[4] وعيونُه .

البَاذِنجان : يُشَقّ ويُحشى بالملح ، ويترك ساعةً فى المـاء البارد، ثم يصبّ عنه ويعاد الى المـاء مرارا، ثم يُسْلَق بعد ذلك .

الكَـبَرُ : يؤكل بالخلّ بعد غسله بالمـاء من الخلّ .

الزيتون : يؤكل وسط الطعام ويُصَبّ فى الخل .

---

(١) ملك العجين وأملكه عجنه فأجاد عجنه وأحاده . والريع الزيادة أراد أن جوده ربح مما يحمله من الماء لجوده العجن . (٢) عجمه نواه . (٣) القث نبات من الزاحفة له حب مستدير يؤكل ، وفى الأصل «العند» وهو سكر القصب ولا لب له والتحريف فيه ظاهر . (٤) كذا فى الأصل ، ويحتمل أن يكون « لسانه » .

ويؤكل من الأُشْتُرغاز[1] خلّه ولا يُعرض لحسمه .

والكَمْأَةُ : تُصَفُّ ويُفْشَر عليها قِشرُها، وتُسلقُ بالماءِ والملح ثم تُستعمل بالسَّعتَر[2] والفُلْفُل، وتُقلى بالزَّيتِ الزَّكابيّ[3]، وكذلك الفُطْر .

السِّلْقُ والكُرُنْبُ : يُسْلَقانِ بالماءِ والملح، ويُصَبُّ ماؤهما ثم يُستعملانِ.

والبقولُ : تمسحُ ثم تؤكل ولا تُغسل بالماءِ .

وأحمد الثُّمُورِ الهَيْرُون[4]. وأحمد السُّود الجَيْسَرانُ[5] . وما اصفرّ أحمدُ مما اسودّ .

وخير السَّمكِ الشَّبُّوط[6] والبَنانيّ والمَيّاح . ولا يؤكل السمك الطَّرِيّ إلا حارًّا بالخَرْدل في الشتاء، وفي الصيف بالخَلّ وبالأبازير . وأقلّ السَّمك أذى المَقُور[7]. وشرُّ السَّمكِ يكاره السمارِيس[8] . وخيرُ السمارِيس البِيضُ، [وأكلها][9] خيرٌ من أكل الحمرِ، وشرُّها السُّودُ .

---

(١) الاشترغاز . نبات له بالفارسية شوك الجمال ، وهو نبات حريف رحو وليس له صمغ وهو طويل الشوك ترعاه الابل (٢) السعتر نبات طيب الرائحة حريف زهره أبيض الى الحمرة ، ويقال له الصعتر بالصاد وهي اللغة الجيدة ، والعامة تبدل السين زايا (٣) كذا في مفردات ابن البطار في الكلام على حواص لكمأة وقد نقل ياقوت أن هذا الزيت منسوب الى الزكاية وهو موضع على عشرة أميال من المدينة ، ثم قال وأراه وهما لأن تلك النواحي عليه الزيت إنما تحلب إليها من الشام على الركاب فهو منسوب إليها . (٤) الهيرون : الذرى من التمر والرطب (٥) الجيسران جنس من أجود النخل معرب ، وفي الأصل «حسوان» وهو تحريف . (٦) الشبوط (بفتح الشين وتضم وضم الباء المشددة) . ضرب من السمك دقيق الذنب عريض الوسط صغير الرأس ليس بالملس . (٧) المقور الخامص المقموع في الخل أو الماء والملح (٨) السماريس صنف من السمك ، رأس المملوح منه إذا أخرق طلع اللحم الزائد في الفروج ومنع الفروج الحيشة من أن تمشي في الدن ، ويقلع الثآليل (راجع مفردات ابن البيطار) وفي الأصل «عماريس» وهو تحريف . وأصل الجملة في الأصل هكذا «وشر السمك كاره العماريس البيض وخير العماريس السمن الخ والسياق يقتضي حذف «السمن» الأولى . (٩) زيادة يقتضيها السياق .

وخيرُ البَيْضِ بَيْضُ الشَّوات من الدَّجاج، ولا خيرَ فى بَيْضِ الهَرِمةِ . وأخفّ البَيْضِ الرقيقُ، وأثقلُه البيضُ الصلب .

ولا يُعْرَضُ من الرأسِ للدِّماغِ ولا لِلسانِ، ولا الفَلْصَمةِ[1] ولا الحَرَاطِيم .

ولَحْمُ العُنُقِ حفيفٌ سريعُ الانهضامِ . وفى الحديثِ المرفوع . "العُنُقُ هادية[2] الشاةِ وهى أبعدُها من الأذى" .

والفُقَّاعُ[3] : يُشرَبُ قبل الطَّعامِ ولا يُشرب بعده .

واللَّبِنُ : لا يُؤكَلُ ولا يشرب إلا بعد وضْع الشاة بشهرٍ ونحوه .

والبَاقِلَّى[3] : يُؤكَل بعده الفُوذَنَجُ فإنه يَذْهَب بصفحته .

اللُّوبِيَاءُ[4] : يؤكل بعده الخَرْدَلُ الرَّطْب ، ويُشرب بعده ماء الرُّمَّانِ والسَّكَنْجَبِين[5] المعمول بالسكرِ .

الهَرِيسةُ[6] : تُؤكَل بالفُلْفُل الكثير والمُرِّىّ[7] ولا تُجعل فيها السَّمْنُ .

والمَضِيرةُ[8] : تُطْبَخ بالفُودَنج والسَّدابِ والكَرْفس .

---

(١) الفلصمة رأس الحلقوم بشواربه (عروق فى الحلق) وحدقته (عقدة الحلق) (٢) الهادية من كل شىء : أوّله . (٣) تقدم تفسيره فى صفحة ٢٨٠ من هذا المجلد . (٤) اللوبياء (بالمد والقصر، ويقال أيضا اللوبا، وهو مذكر) بات معروف . (٥) السكنجبين : شراب من خل وعسل، ويراد به كل حلو وحامض، وهو معرب . (٦) الهريسة طعام يعمل من الحب المدقوق واللحم (٧) المرىّ : الذى يؤتدم به، والعامة تحمله نسبة الى المرارة، وتسمى الكامخ، وهو عند الأطباء من الأدوية القديمة، وأجوده المعد من دقيق الشعير . وقد ذكر حواصه ابن البطار فى معرداته وداود فى تذكرته، فراجعهما . (٨) المضيرة : اللحم المطبوخ باللبن الماسر أى الحامض . كان أبو هريرة تعجبه المضيرة فيأكلها مع معاوية، فاذا حضرت الصلاة صلى خلف على كرم الله وجهه، فاذا قيل له فى ذلك قال : مضيرة معاوية أدسم والصلاة خلف على أفضل، فقيل له شيخ المضيرة . (راجع مطالع البدور) .

الزَّيْتُ الرِّكابِيّ : اذا خُلِط بالخَلّ أو أُعْلِيَ على النار ثم رُفِعت رُغْوتُه عاد كالمغسولِ . وفى الحديث : أن عمر رضى الله عنه قال : عليكم بالزَّيْتِ، فإن خِفْتم ضَرَره فأنجعوه بالماء فإنه يصير كالسَّمْنِ .

عن عُقْبَة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "عليكم[1] بالشَّجرةِ التي نادَى اللهُ منها موسى عليه السلام زيت الزيتون ادّهِنوا به فإنه شِفاءٌ من البَاسُورِ" .

الخَرْدَلُ : يُسْحَن بالخَلّ ويُغسل بالماءِ ورَمادِ البَلُّوط أو رمادِ الكَرْمِ مِرارًا بعد أن يُنعَمَ دقُّه وسَحْلُه ، ثم يُغسل بالماءِ القَراح ويُرَشّ بالماء حتى تخرُجَ رغوته ويكثر خلُّه ، ويُخلَط معه اللَّوزُ الحُلْو أو ماءُ الرُّمّانِ الحامِض وماءُ الزَّبيب .

[صورة ما جاء بخاتمة الجزء التاسع من النسخة الخطية التى نقل عنها الأصل الفتوغرافى] .

تم كتاب الطعام وهو الكتاب التاسع من عيون الأخبارِ لابن قتيبة ، ويتلوه فى الكتابِ العاشِرِ كتابُ النساءِ . والحمد للهِ ربِّ العالمين، وصلاتُه على خيرِ خَلْقه محمدٍ وآله أجمعينَ .

وكتبه الفقيرُ الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علىّ الجزرىّ الواعظ، فى شهور سنه أربع وتسعين وخمسمائة هجرية .

نجز كتاب الطعام ويتلوه فى الجزء العاشر كتاب النساء .

---

(١) ورد هذا الحديث فى الكشاف للزمخشرى (ج ٢ ص ٨٣ طبع مصر) والجامع الصغير هكذا : «عليكم بهذه الشجرة المباركة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور» .

جاء بعـــد خاتمة الجزء التاسع من النسخة الخطية التى نقـــل عنها الأصل الفتوغرافى ما يأتى :

قال الأصمعىّ : دخلتُ على هارونَ الرشيدِ و بين يديه نَدْرةٌ، فقال ياأصمعىّ، إذ حدّثنى بحديثٍ فى النَّحْر فأضحكنى وهتُك هذه الدرة، فقال: نعم ياأمير المؤمنين، بينا أنا فى صَحَارَى الأعرابِ فى يومٍ شديدِ البردِ والرِّيح وادا بأعرابىٍّ قاعدٍ على أَجَمَةٍ وهو عُرْيان، قد آحتملت الرِّيحُ كِساءَه، فألقَتْه على الأجمةِ، فقلت له : يا أعرابىّ، ما أجْلَسَـك هاهنا على هـذه الحـالةِ ؟ فقال . جاريةٌ وعدتُها يقال لهـا سَلْمى، أنا منتظرٌ لهـا ؛ فقلت : وما يَمْنَعُك من أحدِ كِسائِك ؟ فقال : النَّحْز يوقِفُنى عن أخْذِه، فقلت له : فهل قلت فى سَلْمى شيئا ؟ فقال : نعم، فقلت : أسمِعنى لله أبُوك ! فقال: لا أُسْمِعك حتى تأخذ كِسائى وتُلْقِيه علىّ، قال : فأخذتُه فألقيتُه عليه، فأنشأ يقول :

لعلّ الله أن يأتى بسلمى * فيَمْنَحَها ويُلقِيها عليها

ويأتى بعد ذاك سَحابٌ مُزْنٍ * تُطَهِّرنا ولا نَسْعَى إليها

فضحك الرشيدُ حتى آستلقى على ظهره، وقال : أعطوهُ النَّدْرة، فأخذها الأصمعىّ وانصرف .

---

(١) كذا بالأصل، وأوقعه يوقعه لغة رديئة، والفصحى «وقعه» بسر الهمزة .

(٢) السحاب الغيم، وهو اسم جنس جمعىّ ولذلك توصف بالمفرد مراعاة للفظه كقوله تعالى . «والسحاب المسخر بين السماء والأرض» وبالجمع مراعاة لمعناه كقوله تعالى . «ويُنشئ السحاب الثقال» ويعامل الفعل معه معاملته مع أمثاله من أسماء الجموع فيقول أقرع السحاب ماءه، وأقرعت السحاب ماءها . ولذلك قال: تطهرنا على الوصف بالجمع .

ويُروى أن الحسن بن زَيْد لما وَلِيَ المدينةَ قال لابن هَرْمة : إنى لستُ كمَن(١) باعَك دِينَه رجاءَ مدْحِك أو خوفَ ذمّك، فقد رزقنى الله بولادة نبيّه عليه السلام المادِح وجنّبنى المقابِحَ، وإنّ من حقّه علىّ ألّا أُعْصِى على تقصيرٍ فى حقّ ربّه . وأنا أُقسِم لئن أُتيتُ بك سَكرانَ لأصيرنّك حدًّا للخمر وحدًّا للسكر، ولأُريدنّ لموضع حُرْمتك بى . فليكُنْ تركُك لها لله تُعَنْ عليه ، ولا تَدَعْها للناس فتُوكَل اليهم، فنهَض ابن هَرْمة وهو يقول .

نهانى ابنُ الرسولِ عن المُدام * وأدّبنى بآدابِ الكرامِ
وقال لِىَ اصطبِر عنها ودَعْها * لخوفِ اللهِ لا خوفِ الأنامِ
وكيف تصبُّرى عنها وحبّى * لها حبٌّ تمكّن فى عظامى
أرى طِيبَ الحلالِ علىّ خُبْثا * وطِيبَ النفسِ فى خُبْثِ الحَرامِ

ذكر هذا الخبر أبو العباس المبرّد فى كتاب الكامل .

(١) كذا فى الكامل للمبرد (طبع ليبزج ص ١٣٨) وفى الأصل «ممن» .